المدرسة الوطنية العليا للعلوم السياسية

قسم العلاقات الدولية

توظيف الأقليات "الروسوفونية"

في السياسة الخارجية الروسية (2008-2022)

مذكرة مقدمة لاستكمال متطلبات الحصول على شهادة ماستر في العلوم السياسية

تخصص علاقات دولية

إعداد:

- رانية ساعد

إشراف:

- د. مصطفى خواص

أعضاء لجنة المناقشة

الاسم واللقب والرتبة العلمية	مؤسسة الانتساب	الصفة
سيد أحمد كبير	المدرسة الوطنية العليا للعلوم السياسية	رئيساً
مصطفى خواص	المدرسة الوطنية العليا للعلوم السياسية	مشرفاً ومقررا
إيمان بلقرشي	المدرسة الوطنية العليا للعلوم السياسية	عضواً مناقشاً

السنة الجامعية: 2022-2023م/ 1443-1444هـ

شكروعرفان

بسم الله الرحمن الرحيم، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين،

أستهل هذا العمل بحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وشكره عز وجل على توفيقه لي لإتمام هذا البحث والخروج به بهذا الشكل، فلولا رحمته رب العالمين وفضله لما استطعت إنجازه،

كما أتوجه بالشكر الجزيل للأستاذ الدكتور مصطفى خواص الذي قدم لي يد العون ورافقني طيلة فترة إنجاز البحث، وأشكر أسرتي وكل من صبر وتحمل ومنحني الدعم على كافة الأصعدة.

الإهداء

إلى من لا يضاهيهما أحد في الكون،

إلى من أمرنا الله ببرّهما،

إلى من بذلا الكثير، وقدّما ما لا يمكن أن يردّ،

إليكما تلك الكلمات أمي وأبي الغاليان، أهدي لكما هذا البحث؛

فقد كنتما لي خير داعم وسند في كل خطوة أخطوها طوال مسيرتي الدراسية.

قائمة الجداول

شكل رقم	العنوان	الصفحة
04	جدول نسبة الروس في الجمهوريات السوفياتية السابقة وعلاقتهم بلغاتهم المحلية	48
05	جدول يوضح أعداد ونسب الشعوب الأصلية والروس العرقيين والمتحدثين باللغة الروسية كلغة أم في جمهوريات الاتحاد السوفيتي في عام 1989 وفي الدول ما بعد السوفيتية في عام 1999-2004 (استنادًا إلى تعداد الاتحاد السوفيتي لعام 1989 والتعدادات الما بعد السوفيتية المعنية)	54

قائمة الخرائط

شكل رقم	العنوان	الصفحة
01	خريطة تمثل الكثافة السكانية لروسيا بعد ضم شبه جزيرة القرم في 2014	18
02	خريطة تمثل أكبر توسع عرفته روسيا القيصرية حتى عام 1914	33
03	خريطة تمثل انتقال السكان فترة الإتحاد السوفياتي بداية من 1930	46
06	خريطة تمثل التقسيم الإداري لجورجيا والمناطق الانفصالية (أوسيتيا الجنوبية وأبخازيا)	75
07	خريطة تمثل توزع الأقليات الناطقة باللغة الروسية كلغة أم في شبه جزيرة القرم لسنة 2001	77
08	خريطة تمثل توزع الأقليات الناطقة باللغة الروسية كلغة أم في أوكرانيا لسنة 2001	86
09	خريطة تمثل موقع إقليم ترانسنيستريا المنفصل عن مولدوفا	98

الملخص

أدى انهيار الاتحاد السوفياتي في التسعينات من القرن الماضي إلى استبدال القوة العظمى السابقة بروسيا الاتحادية و14 دولة مستقلة مجاورة لها، احتوت هذه الدول أقليات ناطقة باللغة الروسية الذين عرفوا بروس الشتات. نشأت هذه الأقليات بسبب مختلف السياسات التي طبقتها روسيا سواء في الفترة القيصرية من أجل تنمية روح القومية خلال عمليات الترويس، أو في الفترة الستالينية التي تميزت بأعمال الهجرة الجماعية والإبادات في كل أنحاء الاتحاد السوفياتي، الأمر الذي أدى إلى تغيير التركيبة اللغوية إلى جانب العرقية، وإنتاج روسوفون عبر كامل مناطق الاتحاد. تزامنا مع تنامي الصراعات الداخلية الهوياتية بعد الحرب الباردة، استفادت روسيا من وجود هذه الأقليات خارج حدودها لاستعادة مكانتها في الساحة الدولية وفرض نفوذها على الدول المجاورة لها فاستهدفت من أصبح لها ولاء للغرب والذي تعتبره روسيا المهدد الرئيسي لوجودها، تهدف دراستنا إلى معرفة كيف تحولت خطابات الرئيس الروسي بوتين حول مسألة حماية الأقليات الروسوفونية إلى تدخل عسكري في كل من جورجيا عام 2008، و أوكرانيا مع ضم شبه جزيرة القرم في 2014 و خلال الأزمة الحالية في مناطقها الشرقية. إضافة إلى معرفة دور مؤسسة روسكي مير ضمن مشروع العالم الروسي، كل هذه العوامل كانت أبرز سمات توظيف الأقليات الروسوفونية التي تعكس الطموحات التوسعية في السياسة الخارجية الروسية.

الكلمات المفتاحية: الأقليات الروسوفونية، العالم الروسي، روس الشتات، السياسة الخارجية الروسية، الأزمة الأوكرانية.

Keywords: Russophone minorities, Russian World, Russian diaspora, Russian foreign policy, Ukrainian crisis.

The collapse of the Soviet Union in the 1990s led to the replacement of the former superpower by the Russian Federation and 14 neighbouring independent states. These ones contained Russian-speaking minorities known as the Russian diaspora. These minorities emerged due to various policies implemented by Russia, whether in the Tsarist period by developing the sense of nationalism with Russification policies, or in the Stalinist period which was characterized by mass migrations and genocides throughout the Soviet Union, these procedures changed it linguistic and ethnic composition and produced Russophones across the USSR. Along with the rise of internal identity conflicts after the Cold War, Russia took advantage of the presence of these minorities outside its borders to regain its status in the international arena and impose its influence on neighbouring countries. It targeted those who became loyal to the West, which Russia considers the main threat to its existence. Our study aims to find out how Putin's speeches on the issue of protecting Russophone minorities turned into military intervention in Georgia in 2008, and Ukraine with the annexation of

Crimea in 2014 and during the current crisis in its eastern regions. In addition, we aim to find out the role of Russkiy Mir Foundation within the Russian World project, all these factors were the most prominent features of exploiting Russophone minorities that reflect expansionist ambitions in Russian foreign policy.

قائمة المحتويات

شكر وعرفان.....أ

الإهداء.....ب

قائمة الجداول والخرائط.....ج

الملخص.....هـ

مقدمة.....1

الفصل الأول:

السياسة الخارجية الروسية في الجيوسياسية الأوراسية: مدخل الأقليات الروسوفونية

المبحث الأول: السياسة الخارجية الروسية تجاه دول الجوار الروسي.....15

المطلب الأول: المحددات الجغرافية والحضارية في السياسة الخارجية الروسية.....15

المطلب الثاني: المحددات العسكرية والاقتصادية في السياسة الخارجية الروسية.....20

المطلب الثالث: مبادئ السياسة الخارجية الروسية تجاه دول الجوار.....25

المطلب الرابع: توجهات السياسة الخارجية الروسية على المستوى الإقليمي والدولي..... 27

المبحث الثاني: تشكل الأقليات الروسوفونية في دول الجوار الروسي.....30

المطلب الأول: التركيبة العرقية لروسيا القيصرية.....31

المطلب الثاني: الترويس في روسيا القيصرية.....37

المطلب الثالث: سياسات الترويس وتداعياتها في مختلف أجزاء روسيا القيصرية.....39

المطلب الرابع: سياسة الإتحاد السوفياتي في تشكيل الأقليات الروسوفونية.....44

الفصل الثاني:

مظاهر توظيف الأقليات الروسوفونية في السياسة الخارجية الروسية

المبحث الأول: وضع الأقليات الروسوفونية بعد الحرب الباردة وظهور العالم الروسي.....52

المطلب الأول: توزيع الأقليات الروسوفونية ما بعد الحرب الباردة.....52

المطلب الثاني: تطور سياسات الشتات / الدياسبورا الروسية في عهد يلتسن وبوتين قبل 2007.....60

المطلب الثالث: منظمة العالم الروسي "روسكي مير".....62

المبحث الثاني: تحول الخطابات السياسية الى سياسات عسكرية خلال النزاعات (الحرب في جورجيا 2008 وضم شبه جزيرة القرم 2014) 66

المطلب الأول: روسكي مير كقوة ناعمة.....66

المطلب الثاني: الأزمة الجورجية سنة 2008.....70

المطلب الثالث: ضم شبه جزيرة القرم في 2014.....75

الفصل الثالث:

انعكاسات توظيف الأقليات الروسوفونية في السياسة الخارجية الروسية تجاه دول الجوار

المبحث الأول: تداعيات مسألة الأقليات على الدول المجاورة لروسيا.....81

المطلب الأول: الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في جورجيا.....81

المطلب الثاني: تبعات ضم شبه جزيرة القرم على الأوضاع السياسية والأمنية في أوكرانيا.....83

المطلب الثالث: تأثير العوامل الخارجية على صناعة القرار الروسي في مسألة الأقليات الروسوفونية.....87

المبحث الثاني: تأثير سياسة الهوية واللغة على العلاقات الروسية مع دول الجوار.....90

المطلب الأول: السياسة الخارجية الروسية وفق الطرح البنائي.....91

المطلب الثاني: التوجه التوسعي لروسيا الاتحادية وانعكاس هذا الطرح على الوضع الداخلي الروسي.....94

المطلب الثالث: العوائق والتحديات المستقبلية في السياسة الخارجية الروسية تجاه دول الجوار.....98

الخاتمة.....102

قائمة المراجع.....105

مقدمة

تطورت المجتمعات عن طريق حركات هجرة وتجارة، حروب واستعمار، تحرير واندماج وانفصال، كان لجميعها أثر على التنوع العرقي والديني واللغوي الذي شهدته، فقد نتجت لنا ظاهرة الأقليات التي أثرت تفاعلات الأحداث الماضية على وضعها وانتشارها في كل دولة. وبسبب ارتباط الظاهرة بالرهانات السياسية، فقد أصبحت ذات تأثير على مستوى المحلي والإقليمي والدولي. فكما ساهمت داخليا في الحروب الأهلية. ارتبطت إقليميا ودوليا بالسياسات الدولية، فقد حظيت مسألة الأقليات بمكانة كبيرة في تحديد طبيعة البيئة الداخلية للدول ومدى الاستقرار السياسي والاجتماعي الذي يحدث بينها. وهذا ما يجعلها من أعمق وأعقد الظواهر دراسة في العلاقات الدولية.

عرفت روسيا تاريخ طويل ومعقد من التحولات السياسية والاجتماعية والثقافية. فتشكلت من إمارات صغيرة توحدت وكونت إمبراطورية مترامية الأطراف، امتد نفوذها على مساحات شاسعة من أوروبا وآسيا. وضمت على أراضيها مختلف الشعوب والأديان واللغات، فوصل عدد العرقيات إلى أكثر من مئة عرقية. بينما كانت اللغة الروسية هي اللغة الأم لنصف سكان الإمبراطورية، لكن بدأت الأوضاع الاجتماعية تتغير بعدما قرر القياصرة الروس إنشاء هوية قومية روسية موحدة تستند إلى اللغة والدين والثقافة الروسية، فواجهت هذه العرقيات تحديات وصراعات عديدة. بعضها كان يناضل من أجل المحافظة على هويته وثقافته ولغته في مواجهة الترويس والتهميش كاليهود والبعض الآخر كان يطالب بالحصول على حكم ذاتي أو استقلال تام عن روسيا كالبولنديين.

اندلعت الثورة البلشفية في روسيا وأطاحت بالحكم القيصري لتأسس الاتحاد السوفيتي كأول كيان ذو نظام شيوعي، وأحدث فترة حكم ستالين جدلا واسعا بسبب سياساته حول الأقليات والعرقيات السوفييتية التي كانت أراضيه امتدادا للإمبراطورية، ازدادت التركيبة المجتمعية تغيرا وتعقيدا بسبب حملات الإبادة والتهجير لمختلف الجماعات العرقية، وصارت اللغة الروسية لغة التعليم والسياسة والإدارة، وقد أعقب هذه الفترة تشكل روسيا كدولة مستقلة، وأصبح الروسوفون بين ليلة وأخرى شتاتا مبعثرا في الدول المجاورة لها.

فقد شهدت روسيا عبر مراحلها فترات ضعف و فتور لكنها سرعان ما كانت تجد قوتها وتعيد مكانتها، ولا يتحقق لها ذلك إلا عندما يتوفر لها عاملين متكاملين، الهوية الروسية و التوسع، فلا وجود لهوية روسية دون توسع ولا وجود للتوسع دون الهوية الروسية مهما اختلفت الأنظمة السياسية ومهما تعددت الوسائل، فرغم ما واجهته روسيا من تحديات اقتصادية وسياسية وأمنية كبيرة، إلا أنها استعادت قوتها في رحلتها عن البحث عن الذات وبسطت نفوذها في المنطقة واستطاعت روسيا أن تحافظ على هويتها كدولة متعددة الثقافات والأديان، وأن تلعب دورًا فعالًا في البيئة الدولية، فالأقليات الروسوفونية باعتبارها عنصر من عناصر الهوية الروسية أصبحت أداة

فعالة لتحقيق هدف التوسع والذي جاء خاصة مع فترة برزت فيها هذه المتغيرات التي لم تكن تحظى بنفس الاهتمام مع تنامي الصراعات الداخلية و النزاعات العرقية.

لقد أصبحت السياسات المرتبطة بالأقليات الروسوفونية تبرز إلى الواجهة في كل مرة تستعمل فيها روسيا قوتها العسكرية لتحقيق مصالح معينة سواء داخل حدودها كالقضية الشيشانية أو في جوارها الإقليمي مع كل من جورجيا وأوكرانيا، فالعديد من الجمهوريات السوفياتية السابقة تملك أقليات ناطقة باللغة الروسية، وفي إطار إعادة بسط نفوذها، تعطي هذه المسألة أولوية في سياستها الخارجية فتستغل ما خلفه الماضي لتستفيد منه في الحاضر وتعزز به طموحاتها المستقبلية.

1- إشكالية البحث.

روسيا الاتحادية دولة متعددة الأعراق والقوميات، وشهد تاريخها وحاضرها سواء في الفترة القيصرية، أو مع الاتحاد السوفياتي أو في فترة ما بعد نهاية الحرب البادرة وصولا إلى القرن الواحد والعشرين، موجات توسع هامة جسدت الدور الإقليمي والدولي الذي تمثله سياستها الخارجية، فقد استغلت روسيا جميع الوسائل العسكرية والاقتصادية للحفاظ على هذا الدور تحت أي ظرف وأي تغيير في التفاعلات الدولية، وقد شكلت الهوية الروسية والإرث الثقافي الروسي أحد عناصر القوة والأدوات التي وظفتها روسيا، من خلال التركيز على عامل اللغة في إعادة إحياء هذا الإرث الذي جمعها ودولها المجاورة لعدة قرون، كما أن الخطابات السياسية الروسية قد عبرت في كل تدخل عسكري منذ استقلالها عن أحقية روسيا في حماية هذه الأقليات اللغوية وفق المنظور الهوياتي الروحي الذي يجمع هذه الأخيرة بوطنها الأم، وهذا ما يدفعنا إلى طرح عدة تساؤلات حول الكيفية التي تشكلت بها هذه الأقليات، ومظاهر توظيفها في السياسة الخارجية الروسية، إضافة إلى تداعيات هذا التوظيف على أمن المنطقة الأوراسية ومستقبل روسيا، بالتالي نطرح إشكالينا للإحاطة بمختلف جوانب الدراسة على النحو التالي:

كيف تستخدم روسيا الأقليات الروسوفونية في دول الجوار لتحقيق توسعاتها الخارجية الإقليمية؟

ويندرج ضمن هذه الإشكالية مجموعة من الأسئلة الفرعية التالية:

- ماهي محددات السياسة الخارجية لروسيا التي تسمح لها بلعب دور على المستوى الإقليمي والدولي؟

- كيف أدت المراحل التاريخية لروسيا في تشكل الأقليات الروسوفونية في دول الجوار؟

- هل استطاعت مؤسسة روسكي المساهمة في تعزيز الطموحات الروسية التوسعية في دول الجوار بعد الحرب الباردة؟

- ماهي مظاهر تحول الخطابات السياسية الروسية حول مسألة الأقليات إلى تحركات عسكرية في كل من جورجيا وأوكرانيا؟

- ماهي انعكاسات توظيف مسألة الأقليات الروسوفونية على أهداف السياسة الخارجية الروسية؟

2- الفرضيات.

تستند السياسة الخارجية الروسية إلى التمدد في البلدان المجاورة كلما كانت هناك أقليات روسوفونية.

للإجابة عن الأسئلة الفرعية، وضعنا الفرضيات التالية:

- هناك ارتباط وثيق بين التطور التاريخي لروسيا ككيان موحد وتوسعها وبين عملية تشكل الأقليات الروسوفونية في دول الجوار، خاصة مع نهاية الفترة القيصرية وبداية الحقبة السوفييتية.
- كلما زادت نشاطات مؤسسة روسكي في دعم استعمال اللغة الروسية خارج حدود روسيا بعد الحرب الباردة كلما برزت الطموحات الروسية التوسعية في دول الجوار.
- هناك ارتباط بين الخطابات السياسية حول مسالة الأقليات وتوظيف مختلف الوسائل العسكرية خلال الأزمات الجورجية والأوكرانية.
- عندما تستعمل روسيا مسألة الأقليات في سياستها الخارجية يتزايد التضييق الغربي عليها مما يعرقل مسار تحقيق أهدافها.

3- مجالات الدراسة.

- المكاني: سنركز في دراستنا على روسيا الإتحادية بما أنها الدولة الوحيدة التي وظفت الأقليات الروسوفونية في سياستها الخارجية، وكذلك نتطرق إلى الدول المجاورة لها والتي كانت جزءا من الاتحاد السوفياتي السابق وطُبّق فيها التوظيف.

- الزمني: بما أن توظيف الأقليات الروسوفونية في السياسة الخارجية الروسية بدأ فعليا عن طريق التدخلات العسكرية أولها كان سنة 2008 في جورجيا وآخرها بدأ في 2022 في أكرانيا، فقد خصصنا هذه الفترة الزمنية للدراسة، مع ضرورة العودة إلى الأحداث التاريخية التي نستعين بها لفهم الواقع الحالي.

4- الأدبيات والدراسات السابقة

بعد الرجوع إلى الأدبيات والدراسات السابقة، وجدنا أنها قليلة فيما يتعلق بموضوع دراستنا، أو أنها غير مباشرة أوضمن دراسات أخرى أكثر تعميما.

- كتاب المؤرخ والمفكر السياسي الروسي **ألكسندر دوغين** بعنوان: **" أسس الجيوبوليتيكا: مستقبل روسيا الجيوبوليتيكي "**، الصادر عام 1997 والذي يتناول فيه المقاربة الجيوبوليكية لروسيا ضمن المفهوم الأوراسي، حيث لا يمكن الاستغناء عن هذا الكتاب كمنطلق لفهم الاستراتيجية الروسية كدولة ذات أهمية محورية وحضارة مميزة عن الغرب و الشرق، والتي يستند عليها الكاتب لرسم مستقبل روسيا بتاريخها و جغرافيتها و كذا ثقافة مجتمعها.

- كتاب لـ **Andreas kappeler** بعنوان: **" The Russian Empire: A Multiethnic History"** المترجم عن النسخة الأصلية باللغة الألمانية، الصادر عام 2001 والذي يدرس فيه الكاتب مسألة القومية الروسية وكيف استطاعت الإمبراطورية الروسية الصمود رغم التعدد العرقي الذي شهدته منذ المراحل الأولى لجمع الأراضي الروسية، إلى فترة التوسع الشرقي والغربي وصولا إلى الاتحاد السوفياتي، ومختلف السياسات التي وضعتها في كل مرحلة وساهمت في تماسك الإمبراطورية، وكيف قاومت هذه المجموعات العرقية أو تكيفت مع الهيمنة الروسية، فهو كتاب مهم من حيث دراسته الشاملة و العلمية و توسعه في الطرح وتتبعه لمراحل تشكل الهوية الروسية.

- كتاب جماعي لكل من **Emil Payin** و **Vladimir Shlapentokhو Munir Sendich** بعنوان: **" the New Russian Diaspora: Russian Minorities in the Former Soviet Republics"** الصادر سنة 1994 وهو مجموعة من المقالات التي تستكشف الوضع والتحديات التي تواجه الروس العرقيين الذين أصبحوا أقليات في الدول المستقلة حديثًا بعد انهيار الاتحاد السوفيتي. يدرس الكتاب الجوانب التاريخية والسياسية والاجتماعية والثقافية للجالية الروسية الجديدة، بالإضافة إلى آثارها على العلاقات الإقليمية والدولية. وهو كتاب شامل يحلل السياسات والمواقف التي تتبناها روسيا والجمهوريات السوفياتية السابقة التي تنتشر فيها هذه الأقليات وطبيعة العلاقة بينهما.

- مقالة لـ**Moritz Pieper** بعنوان: **" Russkiy Mir: The Geopolitics of Russian Compatriots Abroad"** الصادرة سنة 2018، تدرس دور وتأثير الروس العرقيين الذين يعيشون في الجمهوريات السابقة للاتحاد السوفيتي على سياسة روسيا الخارجية. ويشير إلى استخدام "المواطنين الروس" في الخطابات الروسية لتبرير سياستها خاصة في جورجيا في عام 2008 وأوكرانيا في عام 2014. كما تتبع المقالة تطور سياسات "العالم الروسي" ، وتظهر كيف تأثرت بالعلاقات

المتغيرة بين روسيا والغرب، وهي دراسة مهمة في كل ما يخص سياسة روسيا الخارجية والجيوبوليتيكا والهوية.

- مقالة لـ **Aneta Pavlenko** بعنوان: "**Multilingualism in Post-Soviet Countries: Language Revival, Language Removal, and Sociolinguistic Theory**" الصادرة سنة 2008، تدرس التغيرات والتحديات اللغوية التي حدثت في جمهوريات الاتحاد السوفيتي السابقة بعد انهيار الاتحاد السوفيتي. تحلل المقالة كيف تم إحياء أو إزالة أو تعديل لغات مختلفة في مجالات وسياقات متنوعة، مثل التعليم، والإعلام، والقانون، والهوية. كما تناقش المقالة كيف تعكس هذه التغيرات التحولات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية التي حدثت في البيئة ما بعد السوفيتية، فهي دراسة متخصصة في سياسات اللغة و أيديولوجية اللغة في الدول السوفياتية السابقة.

كل هذه الدراسات اختصت بظاهرة معينة وتوسعت فيها من كل جوانبها، فالبعض ركز على الأقليات العرقية، والبعض على سياسات اللغة وانعكاساتها في عالم ما بعد الحرب الباردة، إلا أن دراستنا ستختلف عما سبقها من حيث أنها لا تهتم بتاريخ روسيا العرقي أو اللغوي المعمق أو وضع الجالية الروسية بصفة عامة، بل تحاول التركيز على الأقليات الروسوفونية وتتبعها منذ نشأتها إلى ماهو عليه واقعها اليوم وربطها بكيفية توظيفها في السياسة الخارجية الروسية من خلال دراسة مختلف الأحداث السياسية ومتغيرات البيئة الدولية الحالية، للوصول إلى تداعيات هذا التوظيف سواء على روسيا أوعلى الدول المجاورة لها.

5- منهج الدراسة.

استخدمت الدراسة منهج دراسة الحالة لأننا ركزنا على دراسة ظاهرة واحدة وهي الأقليات الروسوفونية وتخص دولة واحدة وهي روسيا، وذلك بهدف التعمق والدراسة التفصيلية للظاهرة.

كما تم توظيف الاقتراب التاريخي للحاجة إلى العودة للأحداث الماضية وأهم المحطات التاريخية التي مرت بها روسيا الاتحادية، بالتالي العودة للباحثين الذي أسهموا في إثراء هذا الجانب، إضافة إلى التعرف على أبرز السياسات العرقية والقومية واللغوية التي ميزت روسيا، ودولها المجاورة بعد استقلالها عن الاتحاد السوفياتي وذلك ضروري لفهم أسباب الصراح وجذور الأزمات في المنطقة التي توظف فيها الأقليات الروسوفونية.

إضافة إلى أسلوب المقارنة لفهم اختلاف السياسات اللغوية التي وضعتها روسيا بين فترة روسيا القيصرية، والاتحاد السوفياتي، وتوضيح الفوارق التي تعاملت بها روسيا مع مختلف العرقيات في الفترة القيصرية، والجمهوريات في الفترة السوفياتية، إضافة إلى إبراز اختلافات سياسات اللغة التي طبقتها الدول المجاورة لروسيا بعد الحرب الباردة لمحو هيمنة اللغة الروسية على اللغات المحلية، واختلاف درجة وفاعلية تطبيق هذه السياسات في مختلف هذه الدول. وكذا المقارنة بين وضع أحداث الأزمة الأوكرانية بين 2014 و2022.

6- الإطار النظري للدراسة

بالإضافة إلى المناهج البحثية السابقة، اعتمدنا في هذه الدراسة على مجموعة اقترابات كالتالي:

اعتمدنا **النظرية البنائية** لفهم توجه السياسة الخارجية الروسية انطلاقا من الخطابات السياسية التي تعد أداة من أدوات بناء الهوية، فانطلاقا من الخطابات الروسية ترجح أجندات على أخرى انطلاقا من المتغير الهوياتي الذي يشمل عناصر الدين واللغة والتاريخ والثقافة، والذي تتغير وتأثر في السياسات الدولية وتستعمل لتبريرها، وبربط الطرح البنائي المصلحة الوطنية بالهوية، ندرس ونحدد مصالح روسيا انطلاقا من الهوية التي تتبناها ومنه تحدد طبيعة تفاعلها مع بقية الفواعل الدولية.

الاقتراب الجيوبوليتيكي حيث لا يمكننا فهم الظواهر المتعلقة بروسيا وسياستها الخارجية دون الاعتماد على استخدام الخصائص الجغرافية كمصدر لقوة روسيا ومواقفها السياسية، وسياسات الدول تجاهها، من خلال أعمال ألكسندر دوغين ودور روسيا كقوة أوراسية، وبريجنسكي حول المحاور الجيوبوليتيكية وربطه مسائل الهوية بالمقاربة الجيوسياسية في روسيا، وفهم سلوكيات روسيا الخارجية انطلاقا من المقولة الشهيرة لماكيندر "من يسيطر على أوروبا الشرقية يسيطر على قلب العالم ومن يسيطر على قلب العالم يسيطر على العالم".

7- مفاهيم الدراسة.

تم توظيف جملة من المفاهيم المفسرة للظاهرة من بينها:

الأقليات: يشير مصطلح الأقليات الى مجموعة من السكان أو الأفراد في منطقة ما و الذين يختلفون عن المجموعة المشكلة للأغلبية في خصائص معينة سواء من حيث الدين أو اللغة أو العرق، فكما تعرفها موسوعة الكيالي " مجموعة من سكان قطر أو إقليم أو دولة ما تخالف الأغلبية في الانتماء العرقي أو اللغوي أو الديني، دون أن يعني ذلك بالضرورة موقفا سياسيا و طبقيا متميزا "[1]، من خلال

[1] عبد الوهاب الكيالي وآخرون، **الموسوعة السياسية، الجزء الأول** (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1985)، 244.

هذا التعريف أهم عنصرين مشكلين لأقلية و هي المعيار العددي حيث أن مجموع السكان في إقليم معين الأقل عددا هم من يشكلون أقلية، إضافة الى المعيار الهوياتي الذي يحدد بالدين أو اللغة أو العرق و الذي يكون مختلفا عن الأغلبية .

على عكس التعريف الأول هناك تعاريف أخرى تدرج طبيعة علاقتها بالسلطة ومخرجات هذه العلاقة، وهذا الموقف يتحدد نتيجة التراكمات الزمنية والاندماج التدريجي للأقليات سواء بتأثيرها الإيجابي بإبراز خصائصها، كدعم الاقتصاد ة، أو السلبي بتأجيج النزاعات بين الأقلية والأغلبية الحاكمة بسبب أي نوع من أنواع التهميش واللاعدالة الاجتماعية، فهي حسب معجم بلاكويل للعلوم السياسية تحمل مدلولا اجتماعيا-سياسيا أكثر منه عدديا وأصبحت تعني" فئة محرومة اجتماعيا".[1]

الأقليات اللغوية: نوع من أنواع الأقليات، وهي مجموعة من الأفراد لديهم لغة أقل استخداما بما يقل عن 50% في المجتمع أو المنطقة التي يعيشون فيها [2]. قد يواجهون تحديات في التواصل والمشاركة في المجتمع لأن لغتهم ليست هي اللغة المهيمنة، مما قد يؤدي إلى التهميش والتمييز ومحدودية الوصول إلى التعليم والرعاية الصحية والخدمات الأخرى. وقد تكافح الأقليات اللغوية أيضا للحفاظ على لغتها وهويتها الثقافية وتطويرها في مواجهة ضغوط الاستيعاب.

الأقليات الروسوفونية: هي أقلية لغوية، يشير مصطلح "الروسوفونية" إلى الأشخاص الذين يتحدثون الروسية كلغة أولى أو رئيسية ويعيشون في بلدان لا تعتبر الروسية لغة رسمية أو مهيمنة. وغالبًا ما يكونون من أحفاد المهاجرين أو المستوطنين من الاتحاد السوفيتي السابق أو الإمبراطورية الروسية. وهو يشمل المجتمع العالمي لناطقي اللغة الروسية، بما في ذلك الناطقين الأصليين، أو أولئك الذين تعلموا اللغة الروسية كلغة ثانية.[3] توجد الأقليات الروسوفونية في أجزاء كبيرة من العالم، مثل دول البلطيق وآسيا الوسطى وفنلندا وعلى نطاق واسع في أوكرانيا وبيلاروسيا وكازاخستان، ويستمد المصطلح من الكلمة الفرنسية "فرانكوفوني"، والتي تشير إلى المجتمع العالمي لناطقي اللغة الفرنسية.

---

[1] فرانك بيلي، **معجم بلاكويل للعلوم السياسية**، (دبي: ترجمة ونشر مركز الخليج للأبحاث، 2004)، 418.

[2] Lenore Grenoble and Adam Roth Singerman, **"Minority Languages,"** Oxford Bibliographies Online: Linguistics, last modified February 25, 2014, https://tinyurl.com/4d5hwfar.

[3] "Russophone," Trésor de la Langue Française informatisé, accessed June 6, 2023, https://tinyurl.com/3ks2z7ap.

بدأ استخدام المصطلح في الأبحاث العلمية منذ أواخر القرن العشرين، خاصة بعد انهيار الاتحاد السوفيتي وظهور دول جديدة مستقلة بها أقليات روسوفونية كبيرة[1].

الدياسبورا: أو الشتات تتمثل الدياسبورا في أقليات تتشكل جراء انتقال السكان من بلدهم الأم وانتشارهم في مناطق أخرى، إما لظروف قهرية جراء أحداث سياسية أو حروب أهلية أو إبادات دينية وتطهير عرقي أدت بهم الى الانتقال القسري، أو نتيجة قيامهم بمغامرات طوعية كالهجرة للبحث عن عمل بسبب الظروف المعيشية المتدنية والتي تكون بصفة فردية لكن سرعان ما تؤدي الى تجمعات عائلية مهاجرة تحمل معها هويتها الثقافية إلى بلد الإقامة الجديدة، نجد على سبيل المثال الدياسبورا اليهودية، الأرمنية واللبنانية [2]

تتميز الدياسبورا بثلاث عناصر مهمة حسب دراسة بروباكر Brubaker سنة 2005: التشتت Dispersion و الذي يكون عابرا للحدود، التوجه الوطني Homeland orientation و التي تعرف كذلك بالذاكرة الجماعية والعلاقة العاطفية بالوطن، والحفاظ على الحدود -boundary maintenance، والذي يعرفه بالحفاظ القوي على هوية و ثقافة مميزة مقارنةً بالمجتمع المضيف رغم اندماجهم في المحيط الذي يقطنونه، [3] وقد استخدم هذا النوع من الأقليات في مختلف الأبحاث المتعلقة بالأقليات الروسية التي تشكلت بعد تفكك الاتحاد السوفياتي و التي توافقت خصوصياتها مع هذه المعايير بالتالي نستعين بها خلال الفصول التالية.

الترويس/ الروسنة: الترويس مصطلح مأخوذ من لفظة " روسيا"، وهو على صيغة المصدر من الفعل " روَّس"، ويشير هذا المصطلح إلى صبغ الأقليات الدينية والعرقية والإثنية في الإمبراطورية القيصرية بالصبغة الروسية، وهو جزء من عملية التحديث والتوحيد التي قامت بها الإمبراطورية الروسية وحاولت من خلالها فرض سلطة الحكومة المركزية على كل جوانب الحياة الخاصة والعامة للمواطنين بحيث يصبح انتماؤهم وولاؤهم لها كاملا.[4]

---

[1]"Évolution historique de l'usage du mot « russophone »," La langue française, accessed June 6, 2023, https://tinyurl.com/293xnch6.

[2]جورج بيير، **جيوبوليتيكا الأقليات**، ترجمة عاطف علبي، بيروت، دار العلم للملايين، 1999، ص ص14-15.

[3] Pieper, Moritz A. "Russkiy mir: The geopolitics of Russian compatriots abroad." **Geopolitics** 23, no. 3 (2018). P6.

[4]**موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية**، عبد الوهاب المسيري، (القاهرة: دار الشروق، المجلد الأول، 2003)،"الترويس"،474، 475.

8- الأهداف

يكمن الهدف من دراسة الأقليات الروسوفونية والسياسة الخارجية الروسية التي توظفها من خلال إبراز أسباب نشأة الأقليات اللغوية، والسياسات والأحداث التي تساعد في توظيفها لمسائل وطموحات استراتيجية، كغيرها من أنواع الأقليات العرقية أو الدينية.

إضافة إلى دراسة ردود أفعال الدول وكيفية مواجهة هذا السلوك الخارجي من طرف المجتمع الدولي، من أجل معرفة العلاقة التي تربط الأقليات و الدول التي تحتضنها و تأثيرها على سيادتها، فلفهم هذه الظاهرة تم الاعتماد على النموذج الروسي من خلال دراسة تاريخ روسيا السياسي والعرقي والثقافي لفهم أسباب تواجد هذه الأقليات الروسوفونية في الدول المجاورة لروسيا وطبيعة علاقتها مع هذه الأقليات اللغوية ، إلى جانب مظاهر توظيفها وكيف يلعب الانتماء الهوياتي والثقافي دورا في تعزيز هذا التوظيف.

كما يتمحور الإطار الزمني للدراسة ما بين 2008، والذي يعتبر نقطة محورية في تحديد توجه السياسة الخارجية الروسية وعلاقتها مع المنظومة الغربية، فقد تم فيها الانتقال من مجرد استعمال للأقليات في الخطابات إلى أرض الواقع إلى دعم الموقف السياسي الروسي بالآلة العسكرية، وهو ما تكرر في 2014، و2022، حتى نتمكن من فهم أسباب التدخل في جورجيا وأوكرانيا دون باقي الدول التي تحتوي الأقليات الروسوفونية، ولماذا لم يتم حسم وضع أوكرانيا وبقاء التوترات من 2014 إلى يومنا هذا. قد تعطي الدراسة نتائج يمكن استعمالها لمعرفة مصير الأقليات اللغوية عندما تشكل جزء من تاريخ دولة وكيانها وهويتها التي لا يمكنها محوها أو الاستغناء عنها والتي تفنى بفناء وجودها وتغيب بغيابه.

9- الصعوبات

إن شساعة مساحة روسيا وامتداد حدودها بسبب بعدها الأوراسي، إلى جانب سياساتها ومكانتها في مختلف التفاعلات الدولية، وتاريخها الحافل بالأحداث جعل عملية البحث والإحاطة والتعمق في الموضوع تأخذ وقتا أكبر خاصة في الفصلين الأول والثاني، إضافة إلى أن الظواهر ذات الأبعاد الهوياتية كالعرق والدين واللغة، تكون مواضيع حساسة لما يرتبط بها من رهانات سياسية واجتماعية خاصة في ظل الأزمة الأكرانية الراهنة، فالتعامل مع هذا النوع من الظواهر يكون أصعب.

قلة المراجع باللغة العربية التي تدرس الأقليات اللغوية، بسبب تركيز هذه الأخيرة على الأقليات العرقية والدينية بحكم ارتباط هذه الأخيرة أكثر بصراعات المنطقة العربية خاصة منطقة الشرق الأوسط، ونقص المراجع العربية التي تدرس الأقليات الروسية والجوانب الثقافية في سياستها

الخارجية وروسيا تاريخيا بشكل عام سواء كتب أو مقالات، حيث يتم التركيز فيها أكثر على البعد الأمني الاستراتيجي والطاقوي الروسي.

عدم التحكم في اللغة الروسية بحكم اختيارنا لموضوع حول روسيا، لذا يبقي عملنا مرهونا بالترجمات المتاحة سواء باللغة العربية أو الفرنسية أو الإنجليزية لمختلف الأعمال البحثية، وكذا الاعتماد على مراجع باللغة الإنجليزية تصدرها الدول الغربية التي تحمل سياسات وقيم معادية للسياسات والقيم الروسية، فيمكن أن تختلف المعلومات حتى من ناحية الأرقام والنسب لاعتبارات سياسية مصلحية، وهذا ما يجعل الدراسة نظرية بشكل أكبر.

يمكن إرجاع أسباب اختيار الموضوع إلى:

أ- **أسباب ذاتية:** تتمثل في:

إهتمامي بموضوع الأقّليات اللغوية والعرقية والدينية ومختلف الجوانب الثقافية المعنوية والهوياتية التي تساهم في تسيير العلاقات الدولية والسياسات الخارجية، وكذا ومطالعتي بقدر كبير للمقالات والكتب حول روسيا وتاريخها، واهتمامي بالثقافة الروسية ومكانتها بين الدول.

ب- **أسباب موضوعية:** تتمثل في:

أحداث الأزمة الأوكرانية الحالية التي ظهرت مع نهاية 2021 وبداية 2022 والتي لا تزال قائمة إلى يومنا هذا، وما تتخذه روسيا من حيز كبير من مختلف النقاشات الدولية، كما وأن سياستها الخارجية نشطة وفي حركة دائمة، بسبب مفاوضاتها مع غيرها من الفواعل الدولية وكذا القرارات والخطابات التي تصدر عن موسكو.

تزايد الاهتمام الدولي بمسالة الأقليات وحقوق الإنسان خاصة بعد أزمة اللاجئين الأوكرانيين إلى غرب أوروبا، ومدى الصدى الذي شهدته مسائل الأقليات في الحفاظ على استقرار العالم.

من أجل فهم الأسباب التي تدفع روسيا في كل مرة إلى ذكر مسألة الأقليات الروسية التي تنتمي إلى وطنها الأم وتحميها واستحضار الإرث التاريخي الروسي، وهذا دفعنا إلى التخصص بالأقليات التي يستهدفها أي الأقليات اللغوية عن غيرها من الأقليات، وعن سبب تواجدها خارج حدود روسيا الحالية.

ولأن روسيا دائما ما تدرس في أغلب مواضيع البحوث العلمية في تخصص العلاقات الدولية من الزاوية الاستراتيجية والعسكرية الأمنية، فأردنا التمعن في الجوانب الثقافية أكثر التي تخدم سياستها الخارجية.

حداثة موضوع الأقليات الروسوفونية في الأوساط العلمية الأكاديمية العربية التي تهتم أكثر بالأقليات العرقية والدينية مما تعرفه من أزمات ذات صلة في الشرق الأوسط، وبالتالي عدم توفر خلفية علمية للموضوع يلجأ إليها الباحثون باللغة العربية، وهذا العمل يعتبر كإضافة في هذا الرصيد العلمي.

10- تقسيم الدراسة

تم تقسيم دراستنا إلى ثلاثة فصول، كل فصل يتناول جانبا من الموضوع أو مرحلة من المراحل، ففي الفصل الأول تم التركيز على السياسة الخارجية الروسية تجاه دول الجوار من خلال ذكر المحددات التي تتميز بها، وكذا مبادئها وتوجهاتها على المستوى الإقليمي والدولي، إضافة إلى التطرق إلى تشكل الأقليات الروسوفونية في دول الجوار الروسي من خلال تقديم التركيبة العرقية لروسيا القيصرية وعمليات الترويس، وسياسة الاتحاد السوفياتي في تشكل هذه الأقليات وما نتج عنها. أما الفصل الثاني، تناولنا فيه مظاهر توظيف الأقليات الروسوفونية في السياسة الخارجية الروسية، من خلال التطرق إلى توزيع الأقليات الروسوفونية بعد الحرب الباردة، وتطور سياسات الشتات قبل تأسيس منظمة روسكي مير ودور هذه الأخيرة في مسألة الأقليات، وبعدها خلال الأزمة الجورجية وضم شبه جزيرة القرم. أما الفصل الأخير فخصصناه حول انعكاسات توظيف الأقليات الروسوفونية في السياسة الخارجية الروسية تجاه دول الجوار على الأوضاع الأمنية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية في المنطقة كأحداث الأزمة الأوكرانية الحالية، وتأثير سياسة الهوية واللغة على العلاقات الروسية مشيرين إلى العوائق والتحديات المستقبلية التي يمكن أن تواجه روسيا وتحول دون تحقيق أهدافها التوسعية.

خطة البحث جاءت على النحو التالي:

مقدمة

الفصل الأول: السياسة الخارجية الروسية في الجيوسياسية الأوراسية: مدخل الأقليات الروسوفونية

- المبحث الأول: السياسة الخارجية الروسية تجاه دول الجوار الروسي.
- المبحث الثاني: تشكل الأقليات الروسوفونية في دول الجوار الروسي.

الفصل الثاني: مظاهر توظيف الأقليات الروسوفونية في السياسة الخارجية الروسية

- المبحث الأول: وضع الأقليات الروسوفونية بعد الحرب الباردة وظهور العالم الروسي.
- المبحث الثاني: تحول الخطابات السياسية الى سياسات عسكرية خلال النزاعات (الحرب في جورجيا 2008 وضم شبه جزيرة القرم 2014).

الفصل الثالث: انعكاسات توظيف الأقليات الروسوفونية في السياسة الخارجية الروسية تجاه دول الجوار

- المبحث الأول: تداعيات مسألة الأقليات على الدول المجاورة لروسيا.
- المبحث الثاني: تأثير سياسة الهوية واللغة على العلاقات الروسية مع دول الجوار.

الخاتمة

الفصل الأول:

السياسة الخارجية الروسية في الجيوسياسية الأوراسية: مدخل الأقليات الروسوفونية

تمهيد:

تستند السياسة الخارجية لأي دولة على مجموعة من المتغيرات أو المحددات التي توضح مجال سلوك الدولة وحيز مناورتها في الساحة الدولية لتحقيق المصلحة الوطنية وتنعكس هذه المتغيرات سلبا حيث تقلص مجال حركتها أو إيجابا فتفتح المجال على نطاق واسع مما ينعكس على طبيعة ومحتوى السياسة الخارجية[1]. استطاعت روسيا من خلال ما تملكه من محددات طبيعية بما تتوفر عليه من موارد وثروات، واقتصادية وعسكرية بفضل امتلاكها لأحدث الأسلحة وأقوى الجيوش، وكذا تراكمات التاريخ التي أنتجت الحضارة الروسية، أن تعزز من دور سياستها الخارجية وفقا لما تحدده من مصالح استراتيجية.

وقد أدت التطورات التي واكبت نهاية الحقبة السوفياتية وبداية معالم النظام العالمي الجديد بما يحمله من مظاهر العولمة وتقسيم جغرافي جديد وانتشار القيم الديمقراطية إلى جعل روسيا تبحث عن هويتها الجديدة في هذا النسق الدولي، فبسبب سياستي البيروسترويكا والغلاسنوست.[2] التي أقرهما الرئيس السوفييتي السابق ميخائيل غورباتشوف، عرفت روسيا من جهة تحولات أعمق وأخطر مست المستوى الأيديولوجي، والاقتصادي و السياسي و القيمي و المعلوماتي، ومن جهة أخرى، فقد أثرت التحولات الجديدة على العلاقات الدولية، ومصير التحالفات التي كانت بين الدول، فقد تغيرت هيكلة النظام مما أثر على روسيا و جعل صناع القرار الروس يتساءلون حول المكانة و الدور الذي يجب على روسيا وضع أجنداتها نحوه.

وعلى عكس باقي دول، فإن مسألة هوية روسيا قد ارتبطت بتاريخها الذي امتد إلى الإمبراطورية القيصرية في القرن الخامس عشر ، ومع توسع أراضيها ازدادت التركيبة العرقية و اللغوية والثقافية تنوعا، أعقبها الحكم السوفياتي الذي حافظ على نفس التعدد من كل من آسيا و أوروبا، لكن اللغة

1- حسين بوقارة، **السياسة الخارجية: دراسة في عناصر التشخيص و الاتجاهات النظرية للتحليل**، (الجزائر: دار هومه، 2012)، 75.

2- البروستوريكا Perestroika و الغلاسنوست Glasnost هما كلمتان روسيتان تعنيان إعادة البناء reconstruction و الشفافية transparency على التوالي. وظف هذين المصطلحين آخر رؤساء الاتحاد السوفييتي ميخائيل غورباتشوف في محاولة لإدخال إصلاحات ديمقراطية واقتصادية في النظام الشيوعي، وله كتاب بنفس العنوان. هذه السياسات أثارت جدلا واسعا داخليا وخارجيا وأدت إلى انسحاب الاتحاد السوفييتي من مجمل القضايا الدولية وانهياره ككل عام 1991.

الروسية كمحدد هوياتي بقي محافظا على وجوده، فقد انتشرت على نطاق واسع في كلا المرحلتين من تاريخ روسيا، كل بأساليبها وأهدافها، فبرزت أقليات روسية في هذا النظام الجديد كانت جزءا من النفوذ الروسي، وسنتطرق من خلال هذا الفصل إلى هذه الفترات التي نشأت فيها الأقليات الروسوفونية، وكذا أبرز السياسات التي مرت بها وتأثيرها على أوضاع روسيا عليه مع دولها المجاورة.

المبحث الأول: السياسة الخارجية الروسية تجاه دول الجوار الروسي

تؤثر السياسة الخارجية لروسيا على علاقاتها مع الدول الأخرى وتحدد مكانتها في الساحة الدولية سواء إقليميا أو دوليا. فقد تميزت روسيا منذ استقلالها بخصائص فريدة عن باقي الدول، حيث تغطي مساحتها ما يقرب من ربع مساحة اليابسة الكلية في العالم تتربع على قارتي آسيا وأوروبا، كما تتوفر على ثروات طبيعية باطنية وسطحية هائلة، واقتصادها من بين أكبر الاقتصادات، إضافة إلى ما تملكه من محددات حضارية وتنوع ثقافي وتاريخ مازالت آثاره موجودة إلى يومنا هذا، كل هذه العوامل قد ساعدت روسيا على فرض وجودها كقوة عظمى تتبع في سياستها الخارجية مبادئ محددة واستراتيجيات معينة، خاصة مع الدول المجاورة لها التي كانت لفترات طويلة مجال نفوذها.

المطلب الأول: المحددات الجغرافية والحضارية في السياسة الخارجية الروسية

تمتلك روسيا الإتحادية إرثا تاريخيا وحضاريا هاما وتتربع على مساحة شاسعة وتتضمن تركيبة عرقية ودينية ولغوية متنوعة، بناء على ما تملكه روسيا من مقومات يمكننا تحديد مجموعة من المحددات التي تلعب دورا جوهريا في سلوكها الخارجي.

1-المحدد الجغرافي

موقع روسيا الجغرافي وشساعة مساحتها وما تحمله من موارد طبيعية هائلة وكذا حدودها البرية والبحرية جعلها محور هام في الدراسات الجيوسياسية التي ترتكز على هذه الأبعاد بشكل أساسي في تحليلاتها. بداية بفريديريك راتزل Friedrich Ratzel الذي يعتبر أب الجيوبوليكا[1] من خلال أفكاره حول توسع الدولة ككائن حي إنطلاقا من المعطيات الجغرافية وفكرة المجال الحيوي، مرورا بماهان A.Mahan و ماكندر H. Mackinder مع بدايات القرن العشرين.

تقع روسيا ضمن ما ذكره المفكر وعالم السياسة الروسي ألكسندر دوغين Aleksandr Dugin في كتابه "أسس الجيوبوليتكا" الذي نشر سنة 1997بالدائرة الأوراسية وقد أعتبر روسيا ال Heartland [2] وأن مصيرها محكوم بأراضيها مهما كان نظام الحكم فيها فكما جاء في كتابه" *تمثل*

[1] ألكسندر دوغين، **أسس الجيوبولتيكا**، ترجمة: عماد حاتم، (بيروت: دار الكتاب الجديد المتحدة)، 2004، 75.

[2] Heartland أو قلب الأرض، هي المنطقة الداخلية المحصورة في قارة أوراسيا والتي اعتبرها سير هالفورد ج. ماكندر في أوائل القرن العشرين مفتاح الهيمنة على العالم في عصر تراجع أهمية القوة البحرية التقليدية. وأشار ماكندر إلى أن معظم سكان العالم

روسيا من وجهة النظر الاستراتيجية، كتلة قارية هائلة تتماهى مع الأوراسية نفسها. وبعد استصلاح سيبيريا وتكاملها تطابقت روسيا مع مفهوم ال Heartland الجيوبوليتيكي أي 'الأرض المتوسطة' في القارة. وقد حدد ماكيندر المدى المكاني الروسي الكبير بأنه 'المحور الجغرافي للتاريخ'. وتمثل روسيا الناحية الجغرافية وسطحية الأرض، و من الناحية اللغوية، المناخية، الثقافية و الدينية الوحدة النسيجية للغرب الأوراسي و الشرق الأوراسي، ووظيفتها الجيوبوليتيكية تؤدي إلى إجمال التوجهات الغربية و الشرقية، أو الحديث عنها بالوساطة، فروسيا – شيئ ثالث، مستقل وخاص – لا هي الشرق ولا هي الغرب"[1].

فيجدر الإشارة إلى أن روسيا لوحدها تغطي حوالي 11% من اليابسة بمساحة تقدر بحوالي 17.1 مليون كيلومتر مربع، مما يجعلها أكبر دولة في العالم من حيث المساحة، كما أنها دولة عابرة للقارات لكل من آسيا وأوروبا. ويحد روسيا العديد من الدول على طول 60 ألف كيلومتر تتمثل في النرويج وفنلندا في الشمال الغربي ومن الغرب إستونيا ولاتفيا وليتوانيا وبولندا وبيلاروسيا وأوكرانيا، من الجنوب جورجيا وأذربيجان وكازاخستان ومنغوليا والصين، ومن الشرق اليابان وكوريا الشمالية. كما لها حدود بحرية هامة فهي تطل على المحيط الهادي والمحيط المتجمد الشمالي وبحر البلطيق و البحر الأسود و بحر قزوين وتحوي بحيرة بايكال التي تعتبر أعمق بحيرة في العالم (1637 كيلومتر) بنسبة 20 %من إحتياطي المياه العذبة في الأرض و تشمل طبيعتها السهوب و الجبال و الغابات و الأنهار أهمها نهر الفولجا الذي يمتد على مسافة 3530 كيلومتر. أكبر موانئها يقع في الجنوب على البحر الأسود.

تعتبر روسيا واحدة من أغنى الدول في العالم من حيث الثروات الطبيعية، حيث تمتلك أهم مورد جيواستراتيجي في القرن الواحد والعشرين وهو النفط والغاز الطبيعي بثالث أكبر احتياطي للنفط والغاز الطبيعي في العالم، كما تزخر بالعديد من المعادن مثل الحديد والذهب والفحم والنيكل والفضة والألماس، كما تغطي الغابات نحو ثلث مساحتها وتعد صناعة الأخشاب من أهم الصناعات الروسية، إضافة إلى موارد طبيعية أخرى كالأراضي الزراعية والثروة الحيوانية.

تغيرت حدود روسيا منذ ولادتها كإمبراطورية عن طريق التوسعات المتتالية، و مع افتقارها لحواجز طبيعية لحماية الأراضي التي تمت السيطرة عليها خاصة من الجهة الغربية ، تعرضت للعديد من الهجمات، كحملة نابليون بونابرت في 1812 لغزو روسيا وأحداث الحرب العالمية الأولى والثانية، تم تغيير حدود روسيا كذلك بعد انهيار الاتحاد السوفيتي عام 1991 و من ثم بعد ضم شبه جزيرة القرم من أوكرانيا في 2014 و من ثم تجدد الاشتباكات بين روسيا وأوكرانيا مؤخرا في

يقطنون في جزيرة العالم (أوراسيا وأفريقيا) وأن السيطرة على هذه الجزيرة ستؤدي إلى هيمنة على العالم. ويمكن التحكم في هذه الجزيرة حسبه بشكل أفضل من منطقة القلب، التي ستضمن الاكتفاء الذاتي في الغذاء للدولة التي تسيطر على المنطقة، وتوفر حاجزًا دفاعيًا صعب التغلب عليه بسبب عدم قابلية المنطقة للوصول إليها بحرًا.

[1] دوغين، **أسس الجيوبولتيكا**،207.

فبراير 2021 في إقليم دونباس الشرقي في أوكرانيا و التي لازال التوتر قائما فيها إلى يومنا هذا، ما يجعل روسيا أكثر الدول قابلية لتغيير حدودها الجغرافية.

وقد عبر الدبلوماسي وعالم السياسة الأمريكي جورج كينان [1] George Kennanعن تغير حدود روسيا المتواصل بـ'شعور الروس بعدم الأمان، الذي يعود إلى عدة قرون' والخوف من النظام الغربي الذي يعتبر تهديدا للقيم الروسية مما تسبب في النزاع في جورجيا وأوكرانيا عام 2008 واندلاع الحرب في أوكرانيا. ويشير إلى أن الحدود الشرقية ليست متنازع عليها إلا في بعض الأقليم مثل ساخالين وكوريلس مع اليابان، وإنما هي الحدود الغربية هي التي تجذب انتباه روسيا بشكل كامل ويقول " ***لطالما خشي الزعماء الروس من التسلل الأجنبي، ومن الاتصال المباشر بين عالمهم والعالم الغربي...وتعلموا البحث عن الأمان في القتال، المطول ولكن المميت، الذي يؤدي إلى تدمير القوة المنافسة بالكامل، ولكن أبدا عن طريق التقارب أو التوصل للتسوية معها***"[2].

2- المحدد الحضاري/المجتمعي

يعتبر المحدد الحضاري والمجتمعي من بين أهم المحددات التي أثرت ومازالت تأثر في السلوك الخارجي الروسي سواء على المستوى اللإقليمي أو الدولي.

تقدر التركيبة السكانية الحالية في روسيا بحوالي 144 مليون نسمة لسنة 2021حسب إحصائيات البنك الدولي، وهي تتميز بالتنوع الثقافي واللغوي والعرقي فتضم العديد من الأقليات العرقية والدينية المختلفة مثل التتار والشيشان والباشكير والمسلمين. يتوزع السكان في روسيا بشكل غير متساو بالنسبة لمساحتها الواسعة، حيث يعيش أكثر من 80% من السكان في المدن والمناطق الحضرية، بينما تعتبر الأجزاء الريفية والنائية أقل كثافة سكانية كمنطقة سيبيريا.

[1] جورج كينان هو دبلوماسي ومؤرخ أمريكي لعب دورًا هامًا في وضع سياسة الخارجية الأمريكية في عصر الحرب الباردة. وهو معروف بتصوره لفكرة "الحصار" أو "الاحتواء" التي تهدف إلى احتواء انتشار الشيوعية في العالم. كان أيضًا سفيرًا للولايات المتحدة في الاتحاد السوفيتي وكتب العديد من الكتب حول السياسة الخارجية وتاريخ أوروبا الشرقية. يعتبر جورج كينان واحدًا من أعظم المفكرين والاستراتيجيين في الدبلوماسية الأمريكية في القرن العشرين.

[2] **Grand Atlas 2023**, Frank Tétart**,** (Paris : Éditions Autrement, 2022), « La formation du territoire russe », PP. 120, 121.

الشكل رقم1: خريطة تمثل الكثافة السكانية لروسيا بعد ضم شبه جزيرة القرم في 2014

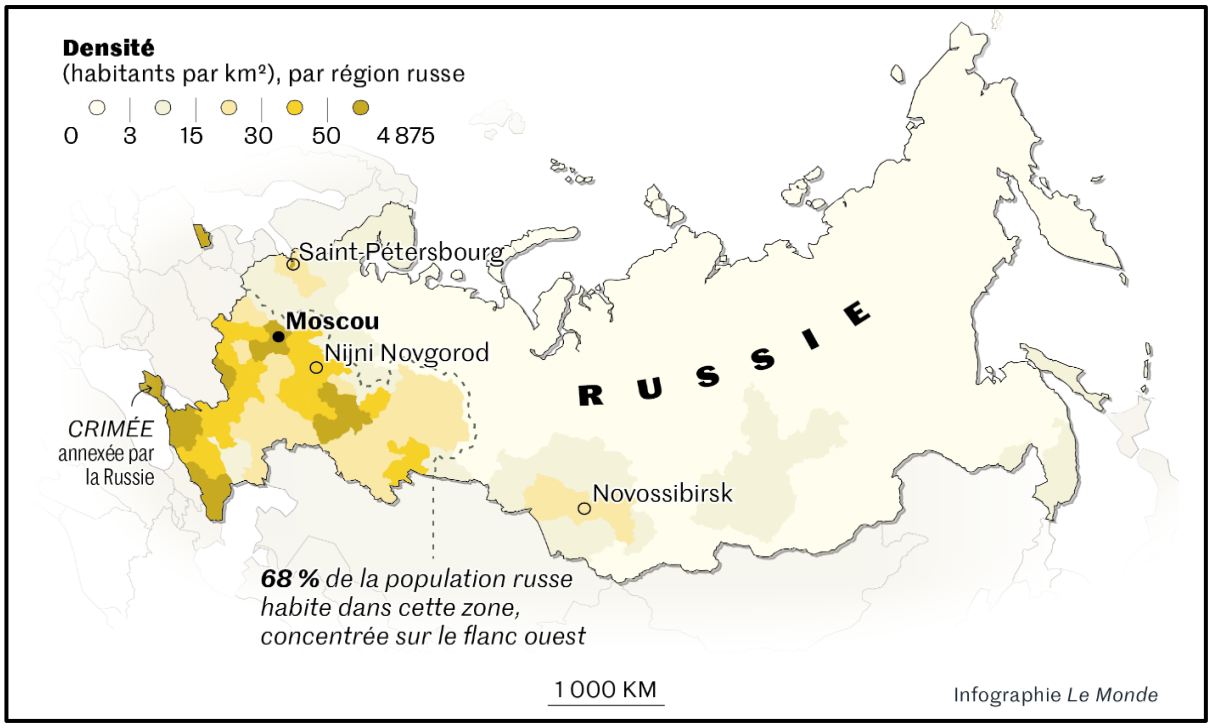

Source: Le Monde. "Le déclin démographique de la Russie depuis la chute de l'URSS." Le Monde. March 13, 2022. https://www.lemonde.fr/international/article/2022/03/13/la-demographie-l-autre-front-russe_6117305_3210.html .

توضح الخريطة الكثافة السكانية لروسيا بعد ضم شبه جزيرة القرم عام 2014، حيث نلاحظ من خلالها أن68% من سكان روسيا يقطنون الجزء الغربي من مساحتها الكلية، حيث تصل في العاصمة موسكو والأجزاء المحاذية لأوروبا الشرقية إلى 4875 نسمة في الكيلومتر المربع الواحد، بينما هي شبه نائية في الوسط والجزء الشرقي الشمالي والجنوبي، حيث لا تكاد تتعدى 3 نسمة في الكيلومتر المربع الواحد في أقصى الشمال مما يشكل خللا في التوزع السكاني لروسيا.

اللغة الرسمية في روسيا هي الروسية وتستخدم على نطاق واسع في جميع أنحاء البلاد، كما أن هناك عدد قليل من اللغات الأخرى المستخدمة محليا، مثل اللغة التترية والبشكيرية والأرمينية. ويتحدث اللغة الروسية بشكل واسع أيضا في الدول المجاورة أيضا مثل كازاخستان وبيلاروسيا وأوكرانيا والبلدان السوفيتية الأخرى السابقة الذين يشكلون الأقليات الروسوفونية. أما من الناحية الدينية فروسيا هي دولة ذات تعدد ديني إلا أنه يعتنق معظم الروس المسيحية الأرثوذكسية، ولكن هناك عدة فئات مسيحية أخرى، مثل المولوكانية والكاثوليكية. فقط عدد محدود من الروس يتحدثون أيضًا لغة المنطقة التي يعيشون فيها. ويطلق على أنفسهم اسم الروس russkie ، وهي ليست بنفس معنى russijanin ، والتي تشير إلى أي مواطن في روسيا الاتحادية بغض النظر عن خلفيته

العرقية. الروس هم أحفاد القبائل الشرقية السلافية الرحّالة الذين كانوا يقيمون في الشمال، ولكن امتدوا من البلطيق إلى البحر الأسود وكان لديهم كييف ونوفغورود كمراكز رئيسية.[1]

بدأت أول سلالة روسية في عام 862، تكاثروا في الشمال الشرقي والشمال الغربي، وأصبحت كييف مركز القوة في الإمبراطورية،و التي عرفت باسم روس كييفان kievan Rus، التي وصلت إلى ذروتها في القرن الحادي عشر. في عام 1223، اجتاحت الجيوش المغولية كييفان روس وتدريجياً انتقل المركز إلى موسكو. عندما بدأت قوة المغول تتضاءل في نهاية القرن الرابع عشر، بدأ الروس في استعادة جميع الأراضي التي كانت سابقًا روسية من الناحية العرقية. تقدموا أكثر من ذلك في القرن السادس عشر من خلال ضم خانات التتار في قازان وأستراخان. خلال العصور الوسطى كانت هناك اتفاقيات روسية-تشركسية، وكانت هناك علاقات تجارية نشطة بين روسيا والقوقاز. وقد أدى الانضمام الرسمي للقوقاز إلى الإمبراطورية الروسية في نهاية القرن الثامن عشر إلى حروب عديدة مع الإمبراطوريات الفارسية والعثمانية.[2]

تلعب الخلفية الحضارية جزءا هاما في توجيه السياسة الخارجية لأي دولة وأصبحت معيارا هاما في تحديد سلوك الدول خاصة بعد الحرب الباردة، كما أشار إليها صامويل هنتغتون، عالم الاجتماع الأمريكي في كتابه" صدام الحضارات" عام 1996، ***"وفي أواخر الثمانينات انهار العالم الشيوعي وأصبح نظام الحرب الباردة العالمي في ذمة التاريخ. وفي عالم ما بعد الحرب الباردة لم تعد الفروق المائزة بين الشعوب إيديولوجية أو سياسية أو اقتصادية.. وانما هي فروق ثقافية"***[3].و أكد هنتغتون الصراع بين الحضارات على أنه القوة الرئيسية والمنظمة لعالم ما بعد الحرب الباردة، و يحدث هذا الصراع بسبب اختلافات الثقافة والدين والتاريخ والتقاليد والقيم بين الحضارات.

تمثل روسيا إرث حضاري هام وثقافي غني بما تحمله من فنون وموسيقى وأدب وعلوم وفلسفة، ودين، وعادات وتقاليد. ترجع جذورها إلى العصور الوسطى ببداية تشكل الإمبراطورية الروسية القيصرية، وقد أنتجت الثقافة الروسية جزءا حيويا في تاريخ المسرح والرقص والأوبرا والباليه والموسيقى الكلاسيكية والبناء المعماري والأدب والشعر التي أنتجت لنا ألكسندر بوشكين، فيودور دوستويفسكي و ليو تولستوي. ويعتبر الموروث الحضاري الروسي أحد عوامل القوة المهمة في السياسة الخارجية الروسية. فالثقافة والتاريخ والفنون الروسية تشكل جزءا لا يتجزأ من الهوية الروسية وبالتالي، فإن استخدام هذا الإرث في السياسة الخارجية يمكن أن يعزز صورة روسيا في العالم ويجعلها تبدو أكثر جاذبية ونفوذا، في العديد من الحالات مثل الأمن والطاقة والتجارة.

---

[1]Frederik Coene, **The Caucasus: an introduction**, (New York: Routledge, 2009), P.58.

[2]Coene**, The Caucasus**, 58.

[3] صامويل هنتنجتون، **صدام الحضارات: إعادة صنع النظام العالمي**، ترجمة: طلعت الشايب، (بغداد: دار سطور، ط2، 1999)، 39.

المطلب الثاني: المحددات العسكرية والاقتصادية في السياسة الخارجية الروسية

إضافة إلى المحددات الجغرافية والحضارية، تعتبر روسيا من أهم الفاعلين الدوليين في المجال الطاقوي والاقتصادي والعسكري على المستوى الدولي.

1- المحدد العسكري:

رغم بروز أشكال مختلفة لقياس قوة الدولة والوسائل التي توظفها من أجل تحقيق مصالحها الحيوية، كالأدوات الاقتصادية والثقافية إلا أن المحدد العسكري مازال يمثل عاملا فارقا في صناعة مختلف القرارات الدولية. إن ما تملكه الدولة من قوة عسكرية من العوامل المهمة في السياسة الخارجية، فالدبلوماسية والقوة العسكرية " تسيران جنبا إلى جنب"، وليس للقوة العسكرية ثبات الجغرافية أو الموارد الطبيعية فهي عرضة للتغييرات والثورات التكنولوجية.[1]

فالإمكانيات العسكرية الروسية توفر لها القاعدة الأساسية من أجل لعب دورها الإقليمي والدولي كقوة عظمى، إلى جانب الدعم التقني واللوجستي الذي يحافظ على وجود روسيا في العديد من المواقع الاستراتيجية في الخارج، مما يتيح لها القدرة على الدفاع عن مصالحها في المنطقة. وتشمل هذه المواقع قواعد عسكرية، قواعد بحرية، قواعد جوية وفضائية. حيث تعتبر روسيا رائدة في المجال العسكري، وتملك الأسلحة النووية والتكنولوجيا العسكرية المتقدمة في صناعة الدبابات، والصواريخ، والأسلحة الكيمياوية، والبيولوجية. كما ان قوة روسيا الاقتصادية خاصة في مجال الطاقة تعزز من فوتها العسكرية، كما أنها تعد موردًا هامًا للأسلحة في السوق العالمية.

تتمتع روسيا بإمكانيات عسكرية كبيرة وقوية في العديد من المجالات، وتعد قوة عسكرية مؤثرة في المجتمع الدولي، فقد كسبت ترسانتها العسكرية من الإتحاد السوفياتي ولقد خصصت روسيا مبالغ طائلة للانفاق العسكري حيث بلغت عام 1997 حوالي 31 مليار دولار، و32 مليار دولار عام 1998، وقدر هذا الانفاق بـ2.64% من الناتج الوطني الخام رغم الأوضاع الاقتصادية المتدهورة والأزمة العالمية والآسيوية.[2]

بعد وصول بوتين إلى الحكم تغيرت المؤشرات الاقتصادية وتحسن وضع الجيش الروسي، وفي عام 2001، أصدر مرسوما جديدا بإعادة إحياء البحرية الروسية واستعادة دور روسيا كدولة بحرية رئيسية، كما أبرمت عقود تسليحية مع العديد من الدول خاصة مع دول العالم الثالث حيث تعتبر ثاني أكبر دولة بعد الولايات المتحدة الأمريكية في مبيعات السلاح لهذه الدول. كما تم التركيز

---

[1] أحمد النعيمي، **السياسة الخارجية** (بيروت: دار المستقبل، 2010)، 255.

[2] رافع أمبارك، "الثابت والمتغير في سياسة روسيا الخارجية تجاه دول آسيا الوسطى دراسة حالة كازاخستان 1991-2012" (مذكرة لنيل شهادة الماجستير، قسم العلوم السياسية والدراسات الدولية، كلية العلوم السياسية والعلاقات الدولية، جامعة الجزائر 3، 2013)، 46-47.

على دول آسيا الوسطى كسوق واعدة في هذا المجال.[1] ووفقا لإحصائيات البنك الدولي فقد وصلت نسبة الانفاق العسكري 4.1% من إجمالي الناتج المحلي لروسيا سنة 2021، وقد وصل أعلى مستوياته سنة 2016 بنسبة 5.4%.[2]

بلغت ميزانية الدفاع لروسيا لسنة 2022، 65 مليار دولار وهي المرتبة الرابعة عالميًا، وتتوزع القوات الروسية على الأرض بما يعادل 20 فرقة و2800 دبابة، والجو والفضاء ب 1050 طائرة مقاتلة بما في ذلك 180 من الطائرات البحرية، و35 غواصة هجومية، إضافة إلى القوات الإستراتيجية، والعمليات المشتركة. وتمتلك روسيا ترسانة نووية تبلغ حوالي 4,500 رأس حربية تنتشر في 350 صاروخ دفاعي أرضي منها صواريخ باليستية (RS-12M و RS-18 و RS-20 و RS-24) ، و160 صاروخًا باليستيا (R-29RK / M و Boulava) يحمل رؤوسًا نووية متعددة يتم نقلهم على متن 10 غواصات نووية، كما أن من أهم الهياكل الأمنية التي تشملها روسيا، منظمة معاهدة الأمن الجماعي (CSTO) ، واتفاقات أستانة (مع تركيا وإيران) ، ومنظمة التعاون شنغهاي (SCO)، و تمتلك القوات المسلحة الروسية قواعد دائمة في القرم (قاعدة سيباستوبول) ، وأرمينيا (الفرقة الأرضية 102 في غيومري ، وقاعدة جوية في إريبوني) ، وسوريا (القاعدة البحرية في طرطوس والقاعدة الجوية في حميميم)، والسودان (القاعدة البحرية في بورت سودان)، كما توفر العديد من الدول طرق بحرية لروسيا، بما في ذلك قبرص ومصر وليبيا ومالطا والجزائر. كما تقوم القوات المسلحة الروسية بالعمليات في سوريا، وليبيا، والصحراء الغربية.[3] ولها تحكم في المجال الإلكتروني والحرب الإلكترونية والاختراق الإلكتروني والفضاء السيبراني.

تتمثل الأهداف الرئيسية العسكرية الروسية في الحفاظ على الأمن القومي لروسيا، والحفاظ على امتداد نفوذها ونفوذ حلفائها في المنطقة خاصة بسبب السياسات الغربية وتوسع حلف الشمال الأطلسي وتوجهه شرقا في الجوار القريب لروسيا.

2- المحدد الاقتصادي/ الطاقوي:

تلعب المتغيرات الاقتصادية دورا هاما في السياسة الخارجية للدول، حيث أن الموارد الاقتصادية والآلة الإنتاجية تعتبر من أهم دعائم الأمن القومي للدولة، كما أن الاعتماد على المساعدات الخارجية يعيق الدولة من تحقيق أهدافها الاستراتيجية، كما أن امتلاك الدولة منتجات

[1] رافع، **الثابت والمتغير في سياسة روسيا**، 48-49.

[2] World Bank, "Military expenditure (% of GDP) - Russian Federation," World Bank Data, accessed January 10, 2022, https://data.albankaldawli.org/indicator/MS.MIL.XPND.GD.ZS?locations=RU.

[3] Fondation Méditerranéenne d'Etudes Stratégiques, Atlas stratégique de la Méditerranée et du Moyen-Orient, Toulon, Institut FMES, 2022, p. 236.

.

أو خدمات أو موارد معينة لإن الطلب على هذه الأخيرة يزيد من تبعية الدول الأخرى إليها وتتقلص بالمقابل حرية هذه الدول في سياستها الخارجية وفي تحقيق أهدافها ومصالحها في البيئة الدولية.[1]

وتعد روسيا بفضل موقعها الجغرافي وما تملكه من موارد طبيعية حيوية في الاقتصاد العالمي أحد أهم الفواعل في الساحة الدولية التي لا يمكن الاستغناء عنها في المؤتمرات والمحافل الدولية وهذا ما يكسبها سلطة القرار في العديد من المواقف التي تستغل من خلالها هذا المتغير لخدمة مصالحها، وتحقيق أجندة سياستها الخارجية سواء على المستوى الإقليمي أو الدولي. ويعتمد اقتصاد روسيا على محددات رئيسية تتمثل في:

1-النفط والغاز : حيث تعتمد روسيا بشكل كبير على صادرات النفط والغاز، وتعتبر واحدة من أكبر الدول المنتجة للنفط والغاز في العالم. ووفقًا للإحصاءات الدولية، فإن روسيا تمتلك أكبر احتياطي للغاز الطبيعي في العالم، وتحتل المركز السابع فيما يتعلق باحتياطي النفط. يشكل هذا القطاع أكثر من 50٪ من صادرات روسيا الإجمالية. كما تعتبر شركات النفط والغاز العاملة في روسيا من أكبر الشركات في العالم وتشمل شركات مثل Gazprom و Rosneft و Lukoil. وبفضل هذا الدور الرائد، فإن روسيا أحد أهم اللاعبين في سوق النفط والغاز العالمية.

2- الصناعات الثقيلة: تعد صناعات الطيران والصناعات الحربية والفضائية من أهم صناعات روسيا، بالإضافة إلى الصناعات المعدنية والكيماوية، حيث تعتبر روسيا أحد أكبر منتجي الفولاذ في العالم، ويتم إنتاج أكثر من 70 مليون طن سنويًا، من الشركات الرئيسية في هذا المجال شركة Severstal وشركة NLMK. كما تشمل صناعة الآلات الثقيلة كالمعدات الزراعية والمعدات الصناعية والبناء وغيرها، إضافة إلى صناعة الدبابات والأسلحة وتتمثل الشركات الرئيسية فيها في شركة Uralvagonzavod وKurganmashzavod و Kalashnikov Concern. أما صناعة الطائرات والمجال الفضائي، فتعتبر روسيا أحد القادة العالميين في هذا المجال، وتنتج مجموعة واسعة من الصواريخ والأقمار الصناعية والمروحيات والطائرات، أبرز شركاتها Roscosmos و Rostec و Sukhoi.

3- الزراعة: تعتبر روسيا من أهم المنتجين للحبوب وخاصة القمح والشعير.

تعد الزراعة من القطاعات الحيوية الهامة في روسيا، وتمثل حوالي 6% من الناتج المحلي الإجمالي للبلد. تتميز روسيا بمناخها البارد والجاف في بعض المناطق، مما يجعلها تعاني بعض الصعوبات في زراعة بعض المحاصيل الزراعية بشكل جيد. ومن الثروات الطبيعية الهامة في روسيا هي الأراضي الزراعية الواسعة التي تشكل ما يقرب من 10.5% من إجمالي مساحة الأراضي الروسية، تشتمل المحاصيل الرئيسية التي تزرع في روسيا على القمح والشعير والذرة والبطاطس والبصل والثوم

[1] بوقارة، **السياسة الخارجية**، 81-82.

والملفوف، والتفاح، والكرز، والفراولة. كما يتم تربية الماشية والدواجن وإنتاج منتجات الألبان بكميات كبيرة في روسيا.

4- قطاع السياحة: حيث تعد روسيا من أهم الوجهات السياحية في العالم، تمتلك مدناً تاريخية بارزة مثل موسكو وسانت بطرسبرج وكازان وغيرها، فهي تتميز بتنوع المناظر الطبيعية والثقافية. ويلعب هذا القطاع دورا هاما في دعم التنمية الاقتصادية في المناطق التي تعتمد على السياحة كمورد رئيسي للدخل، وقد شهد هذا القطاع في روسيا ارتفاعاً في الأعوام الأخيرة التي سبقت أحداث الأزمة الأكرانية والتي بدأت في 2022، حيث بلغ عدد السياح سنويًا حوالي 20 مليون سائح، ويعد السائحون الصينيون والأمريكيون والألمان هم الأكثر زيارة لروسيا.

5- الاستثمارات الأجنبية: تحاول روسيا جذب الاستثمارات الأجنبية لتحسين الوضع الاقتصادي للبلاد، وتتميز ببعض القطاعات الحيوية التي يمكن الاستثمار فيها مثل النفط والغاز والبنية التحتية والصناعات الثقيلة والتعدين والخدمات التي تجذب الاستثمارات الأجنبية إلى البلاد. وبحسب بيانات وزارة التنمية الاقتصادية الروسية فإن الاستثمارات الأجنبية في روسيا بلغت نحو 13.6 مليار دولار في الربع الأول من عام 2021. وقد أدت عدة إجراءات مثل تخفيض الضرائب وتعزيز الحوكمة وتحسين تنظيم الأعمال وتطوير البنية التحتية وإعادة هيكلة الاقتصاد الروسي لجعله أكثر جاذبية للمستثمرين الأجانب.

شهدت روسيا عدة عقوبات اقتصادية على مر السنين، من بينها العقوبات الاقتصادية المفروضة عليها بسبب أزمة أوكرانيا عام 2014، بما في ذلك الحظر على صادرات النفط والغاز والسلع المهمة إلى روسيا، والعقوبات التي فرضتها الولايات المتحدة عليها بسبب الانتخابات الرئاسية الأمريكية عام 2016 و الصراع السوري و آخرها العقوبات الغربية على روسيا ردا على الأزمة الأوكرانية الحالية فكما جاء في الموقع الإتحاد الأوروبي ***"بعد اعتراف روسيا بتاريخ 21 فيفري 2022 بالمناطق التي لا تسيطر عليها الحكومة في اوبلاست دونيتسك ولوهانسك في أوكرانيا والغزو غير المبرر وغير المسبوق لأوكرانيا في 24 فيفري 2022، فقد فرض الاتحاد الأوروبي عددًا من العقوبات الجديدة على روسيا. تأتي هذه العقوبات إضافةً إلى الإجراءات المفروضة على روسيا منذ عام 2014 عقب ضم شبه جزيرة القرم وعدم تنفيذ اتفاقيات مينسك"***[1]. حظر الاتحاد الأوروبي نقل النفط الخام الروسي عن طريق النقل البحري في 5 ديسمبر 2022 ومنتجات النفط في 5 فبراير 2023، كما حظر تقديم أي مساعدة فنية ذات صلة، أو خدمات وساطة، أو تمويل، أو مساعدة مالية متصلة بهذه العملية[2]. وشملت العقوبات القطاع الطاقوي والتكنولوجي وحظر الطيران والقطاع المصرفي ومنع الشركات الكبرى التعامل مع السوق الروسية، وكذا فرض عقوبات مباشرة على الأشخاص ذوي النفوذ كالملياردريات

[1]European Union, "Quelles sanctions l'UE a-t-elle adoptées jusqu'à présent?" accessed June 7, 2023, https://europa.eu/sanctions-russia/index_fr.htm.
[2]European Union, "Quelles sanctions l'UE a-t-elle adoptées jusqu'à présent?".

وكبار المسؤولين الروسيين وتتفاوت تبعات هذه العقوبات وتأثيرها على الاقتصاد الروسي والمواطنين الروسيين.

لقد عانى الاقتصاد الروسي بعد سقوط الاتحاد السوفياتي لمدة طويلة قبل أن يتولى بوتين منصبه كرئيس للدولة الروسية، فقد امتلكت روسيا القوة العسكرية لكنها افتقرت إلى القاعدة الاقتصادية. فقد كانت رؤية الرئيس يلتسن أن العلاج المفيد للاقتصاد الروسي هو الانتقال إلى الرأسمالية مرة واحدة أو ما يسمى (العلاج بالصدمة) لتحقيق النمو الاقتصادي وبدأ منذ العام 1992 بتحرير التجارة وخفض الإنفاق الحكومي وإصلاح الضرائب وخصخصة مؤسسات الدولة وغيرها لتحقيق هذا الهدف.[1]

لكن هذه السياسة كانت موضع نقد من طرف البرلمان الروسي بسبب الخسائر التي نتجت عن تخلى العديد من الدول التي كانت حليفة لروسيا عن التعامل معها مما أدى انخفاض بنسبة 50 % صادرات روسيا العالمية، وتحولت العديد من المصانع العسكرية ذات التقنية العالية إلى مصانع للأواني ووسائل التدفئة وباتت أي صفقة لبيع الأسلحة لا تمر دون الموافقة المباشرة أو غير المباشرة للأمريكان عليها.[2]

بعد الأزمة الاقتصادية لسنة 1998و مع بداية رئاسة بيوتين عام 2000، استرجع الاقتصاد الروسي عافيته و تم تسجيل إنجازات ماكرو-إكونومية معتبرة، هذا رغم بعض الاضطرابات البنيوية و الاعتماد الكبير على تصدير الطاقة، ارتفعت صادرات روسيا من السلع الأولية بحث وصلت النمو الاقتصادي عام 2002 إلى 4.1% و7.1% عام 2003، كما استطاعت صد الاضطرابات في أسعار النفط و المواد الخام في الأسواق العالمية عن طريق لإنشاء " صندوق الاستقرار" وهو صندوق ادخار من مبيعات النفط الذي بلغ رصيده عام 2004 حوالي 400 مليار روبل، فقد ركز الرئيس بوتين على القطاع الطاقوي خاصة بعد ارتفاع أسعار النفط و الغاز في تلك الفترة، كما اعتمدت الاستراتيجية الروسية على جلب الاستثمارات وإصلاح القطاع المصرفي ومحاربة الآثار السلبية للبيروقراطية الاقتصادية الخانقة.[3]

1 الرواي، عبد العزيز مهدي. "توجهات السياسة الخارجية الروسية في مرحلة ما بعد الحرب الباردة". **دراسات دولية**، مج. 10، ع. 35 (31 يناير/كانون الثاني 2008)، ص ص. 179-178.

2رافع، الثابت والمتغير في سياسة روسيا، 39-40.

3رافع، الثابت والمتغير في سياسة روسيا، 44-46.

المطلب الثالث: مبادئ السياسة الخارجية الروسية تجاه دول الجوار

منذ سقوط المنظومة الشيوعية، عانت روسيا من مرحلة تعريف بالذات وتحديد للهوية التي تمثلها، فقد تم الابتعاد عن المسلمات الجيوسياسية والإيديولوجية التي كانت تشكل جوهر السياسة السوفياتية، ولم تعد تسيطر على أجزاء من أوروبا مع انتهاء الحرب الباردة، فاضطرت روسيا الجديدة إلى الإجابة على سلسلة من الأسئلة الأساسية حول علاقتها بالنظام الدولي الجديد وحول هويتها فيه كدولة مستقلة. كانت إحدى المظاهر الرئيسية لهذه المرحلة هي محاولة روسيا وضع رؤية جديدة للسياسة الخارجية الروسية والتي تتناسب مع طبيعتها كقوة في مواجهة التحديات الجديدة. واستمرت صياغة نهج جديد للسياسة الخارجية في روسيا بشكل متباين منذ نهايات الاتحاد السوفياتي، عندما لمح ميخائيل غورباتشوف Mikhail Gorbachev بسياسة أوروبية مشتركة تمتد من الساحل الأطلسي إلى الأورال، ومن ثم في أوائل التسعينات وخلال حكم ييلتسين Yeltsin بدأ المسار يتوجه بوتيرة سريعة إلى الغرب وأعداء روسيا السابقين، ولكن هذا الاستجابة السريعة للغرب شهدتها موجة من المعارضة المحلية. أما في منتصف التسعينات، استبدلت هذه الرؤية إلى ضرورة استعادة مكانة روسيا كفاعل دولي مستقل يتمتع بمصالح مختلفة عن الغرب الرأسمالي الليبرالي. واستند النهج الجديد للسياسة الخارجية على اتفاق واسع النطاق بين النخبة الروسية بشأن طبيعة العلاقات الدولية وهوية روسيا الجديدة في النظام الدولي[1].

الدول التي تأثرت بشكل مباشر أكثر من غيرها بسياسة روسيا الخارجية الجديدة هم جيرانها الذين كانوا جزءا من الاتحاد السوفيتي. حيث سعت هذه الأخيرة منذ 1991إلى تأسيس أو إعادة تأسيس هوية جديدة لنفسها بعيدا عن روسيا. فقد أعلن بعضهم مثل بيلاروسيا إرتباطهم بماضيهم السوفياتي، في حين سعى البعض الآخر، وخاصة جورجيا، إلى تحقيق أقصى مسافة ثقافية وسياسية وتاريخية بينها وبين روسيا. وبالنسبة للكرملين، فكان شعاره السائد هو منع الجمهوريات السوفيتية السابقة من أن تصبح نقطة عداء معها حيث تحولت هذه المناطق المحيطة بحدود روسيا إلى مناطق تشكل تهديد بسبب التدخلات الأجنبية من طرف حلف الناتو والمنظمات غير الحكومية، كما أنها كانت عبارة عن رد فعل على ما تنظر إليه موسكو من سياسات غربية متناقضة فقد تساءلت روسيا عن سبب استخدام الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي قوتهما السياسية والعسكرية لتأمين استقلال كوسوفو من صربيا و التي هي حليفة روسيا و لكنها بالمقابل عارضت روسيا حين قامت بالتدخل في أوسيتيا الجنوبية[2].

[1] Mankoff, Jeffrey. **Russian Foreign Policy: The Return of Great Power Politics** (New York: Rowman & Littlefield Publishers, Inc, 2009), 11.

[2]Mankoff, **Russian Foreign Policy**, 7.

تأثرت السياسة الخارجية الروسية نحو أوروبا بسبب توسع الإتحاد الأوروبي وحلف الناتو، إضافة إلى التدخل الروسي في شؤون جيرانه، والخلافات فيما يتعلق بأنابيب الطاقة الروسية إلى أوروبا[1]. فالقرب الجغرافي لأوروبا من روسيا واعتمادها الاقتصادي الأكبر عليها جعل سياساتها نحو روسيا متذبذبة وبدرجات متفاوتة حسب مصالحها الاقتصادية.

وقد إعتمدت روسيا بناء على هذه المتغيرات في سياستها الخارجية مع دول الجوار على مجموعة أسس منها:

-الاتجاه الجيوسياسي، حيث يحرص الروس على تعزيز تأثيرهم وتوسيع نفوذهم في المنطقة، مع اتساع دائرة المنافسة الدولية والتوتر المتزايد بين روسيا والغرب.

- المصالح الاقتصادية والتجارية: وذلك من خلال تعزيز التعاون الاقتصادي والتجاري، وإبرام الاتفاقيات الخاصة بتبادل السلع والخدمات مع جيرانها خاصة في مجال النفط، والغاز، والزراعة والصناعة.

-السيطرة على المناطق الاستراتيجية: تحرص روسيا على الحفاظ على سيطرتها على المناطق الاستراتيجية مثل القواعد العسكرية وموانئ البحر الأسود والموانئ الروسية على بحر البلطيق.

- الحفاظ على العلاقات الثنائية: تمتلك روسيا علاقات تاريخية هامة مع دول الجوار وهي تولي اهتماما كبيرا بتعزيز العلاقات الثنائية مع دول الجوار، وذلك من خلال تعزيز التواصل الدبلوماسي والتبادل الثقافي وتوسيع العلاقات التجارية.

- الثقافة واللغة: تولي روسيا أهمية للثقافة واللغة في علاقاتها مع دول الجوار، ويتمثل ذلك في دعم اللغة الروسية وتعزيز التبادل الثقافي بين الشعوب عن طريق مختلف المؤسسات الثقافية كمؤسسة روسكي مير التي سوف نتطرق إليها بإسهاب في الفصل الثاني.

-مسألة الأمن الإقليمي: حيث يلعب الأمن في المنطقة دورًا مهمًا في صياغة سياسة روسيا تجاه دول الجوار. فعلى سبيل المثال، تتعامل روسيا بشكل مختلف مع جيرانها في الشمال القريب مثل فنلندا والنرويج.

وحسب تعبير "كيسينجر" فروسيا لا هي غربية على نحو مطابق للدول الأوروبية المسيحية الغربية ولا هي شرقية، فقد اعتبرت دولة أوراسية، وبالتالي خضعت في توجهاتها الخارجية لهذه الثنائية المتنازعة بين الاتجاه شرقا أو غربا.[2]وهذا ما أثر في طبيعة علاقاتها مع دول الجوار سواء من الناحية الشرقية أو الغربية.

---

[1]Mankoff, **Russian Foreign Policy**, 145.

[2]رافع، **الثابت والمتغير في سياسة روسيا**، 53.

كما أن انهيار الاتحاد السوفيتي أدى إلى ظهور دول جديدة كانت تابعة له، وقد عملت روسيا دائما على ممارسة نوع من الهيمنة على هذه الأقاليم االمجاورة لها التي ظلت بمثابة مناطق نفوذ لها ، وعملت على منع أي تدخلات خارجية في هذه المنطقة (آسيا الوسطى) ، وتعاملت معها على أنها تمثل منطقة أمن استراتيجي بالنسبة لروسيا ، وكانت تخشى حدوث أي نزاعات في هذه الدول يمتد آثارها إليها ، كما عملت على الدفاع عن مصالح الأقليات الروسية الكبيرة داخل هذه الجمهوريات. وهو ما يبدو واضحا من خلال ربط هذه الدول بمعاهدة الكومنولث، إذ تم إنشاء" كومنولث الدول المستقلة " في 21 ديسمبر 1991، حين اتفق رؤساء الجمهوريات السلافية الثلاث بوريس يلتسن Boris Yeltsin، وستاتيلاف شوشكفيتش Stanislav Shushkevich رئيس بيلاروسيا وليونيد كرافتشوك Leonid Kravchuk رئيس أوكرانيا في اجتماع عقد في بريست على إعلان تفكك الاتحاد السوفيتي رسميا. وإقامة رابطة الكومنولث للدول المستقلة CIS تكون عاصمتها مينسك[1].وذلك إدراكا من روسيا أنها لا تستطيع الاستغناء عن هذه الدول، حيث أقامت موسكو روابط سياسية وعسكرية بينها وبين هذه الدول، وشكلت قيادة عسكرية مشتركة وأبرمت معاهدة رسمية تربط بين القوات المسلحة لدول الكومنولث وهذا ما يمكن أن يفسر تفاعل روسيا الحازم في كل من جورجيا وأوكرانيا.

المطلب الرابع: نظرية الدور وتوجهات السياسة الخارجية الروسية على المستوى الإقليمي والدولي

تعتمد توجهات السياسة الخارجية الروسية في دوائرها القريبة والبعيدة على عدة عوامل، بما في ذلك العلاقات التاريخية والسياسية والاقتصادية والعسكرية مع الدول لتحقيق أهدافها الإستراتيجية فيها، فتلعب دورا بارزا في الشرق الأوسط وشمال إفريقيا في إدارة الأزمات والصراعات، مثل سوريا واليمن، والتوترات بين إيران والدول العربية مع سعيها في الحفاظ على مكانتها كلاعب مهم في هذه المناطق. أما في أوروبا فإن روسيا تسعى إلى تعزيز علاقاتها مع الدول الأوروبية إلا أنها تواجه تحديات كبيرة في ضوء التوترات القائمة بينها وبين الاتحاد الأوروبي بشأن قضية أوكرانيا مؤخرا وتدخلات الحلف الأطلسي، أما في علاقاتها مع الدول الآسيوية فهي تسعى إلى تعزيزها مع الدول المهمة اقتصاديا وسياسيا مثل الصين والهند وهذا متجسد في عضويتها في مجموعة البريكس BRICS، وتسعى للعب دور فعال حل نزاعات المنطقة الآسيوية، مثل النزاع الكوري.

أما دوليا فتعتبر روسيا واحدة من الدول العظمى مما يجعل سياستها الخارجية تشمل العديد من الدوائر والأقاليم الجغرافية والقضايا الدولية المهمة، فهي تؤكد دورها في قضايا الحرب على الإرهاب والدعوة للحفاظ على الاستقرار العالمي وحفظ السلم والأمن الدوليين مع الحرص على

[1] الرواي، **"توجهات السياسة الخارجية الروسية"**، 160.

الحفاظ على شرعيتها الدولية من خلال عضويتها الدائمة في مجلس الأمن ورفض التدخل في شؤونها الداخلية والحفاظ على سيادتها الوطنية.

يعد اقتراب الدور في تحليل السياسة الخارجية الذي نشأ في السبعينيات عندما بدأ العلماء في تحديد الأنماط السلوكية العادية لفئات الدول في النسق الدولي ثنائي القطبية كالدول "الحليفة" و "غير المنحازة"، حيث أكد هذا الوضع وجود عدد متزايد من الأدوار الاجتماعية التي وضعها مؤسسوا اقتراب الدور مثل دور الزعيم، والوسيط، والمبادر والعدواني الذي يمكن أن تتبع دولة ما من خلال سلوكها الخارجي.[1]

ينطلق هذا الاقتراب من حقل العلوم الاجتماعية الذي يهتم بدراسة سلوكات الفرد و علاقاته الاجتماعية، و من بين المفكرين الذين ساهموا في تطويره نجد ماكس فيبر Max Weber و تالكوت بارسنز Talkott Parsons، فماكس فيبر مثلا، يهتم بالدور الاجتماعي أكثر من اهتمامه بأي موضوع آخر، ويعرف علم الاجتماع في كتابه الموسوم ب "نظرية التنظيم الاجتماعي والاقتصادي "، بالعلم الذي يدرس ويفهم ويفسر السلوك الاجتماعي، وأنه أي نشاط أو حركة يقوم بها الفرد والتي تكون لها علاقة مباشرة بوجود الأفراد الآخرين في المجتمع.[2] ***و"تؤكد نظرية الدورأنه دون مفهوم معين للدوريستحيل على الفرد أن ينظم سلوكه الاجتماعي أو يتعامل أصلا مع المجتمع، كما أنه إذا لم يقم بالسلوك المرتبط بالدور المنوط به فإنه يمكن أن يتعرّض لعقوبات اجتماعية. كما أنه حينما يقوم به يكافؤ اجتماعيا".***[3]كما أنه يمكن للدور أن يتغير بناء على المعطيات الاجتماعية والنفسية ويتغير من ثقافة إلى أخرى.

أما في الدراسات الدولية، فقد تم توظيف اقتراب الدور باعتبار أن سياسات الدول في النهاية ما هي إلا نتاج لسياسات متخذي القرارات فيها، وما هم في نهاية الأمر إلى أفراد يتبعون سلوك محدد، رغم أن العديد من الباحثين قد عارض استعمال هذا الاقتراب، مثل كارل باكمان .CARL W BACKMAN، وذلك في دراسة له بعنوان "نظرية الدور والعلاقات الدولية" سنة 1970 والتي يشرح من خلالها اختلاف سلوك الأفراد عن سلوك الدول، وصعوبة توظيف النظرية في علم العلاقات الدولية والسياسة الخارجية.[4]

الدور في السياسة الخارجية هو أحد مكوناتها الأساسية، فهناك ارتباط دائم بالدور الذي ترسمه الدولة لنفسها، والهدف الذي تسعى للوصول إليه من خلال قراراتها في الساحة الدولية،

---

[1]Sebastian Harnisch, Cornelia Frank and Hanns W. Maull, eds., **Role Theory in International Relations: Approaches and Analyses** (New York: Routledge, 2011), 7.

[2] حبيبة، زلاقي، "نظرية الدور بين الأصول الإجتماعية والتوظيف في التحليل السياسي." مجلة العلوم القانونية والسياسية،.17(2018): 772.

[3] زلاقي، **"نظرية الدوربين الأصول الإجتماعية والتوظيف"**، 772.

[4] زلاقي، **"نظرية الدوربين الأصول الإجتماعية والتوظيف"**، 776.

فإسماعيل صبري مقلد يعرفها على أساس محصّلة ما تقوم به الدولة من أفعال وممارسات على الصعيد الدولي، والتي تهدف منها إلى تحقيق ما تحدّده لسياستها الخارجية من أهداف أو لما تحاول الدفاع عنه من قيم ومصالح عليا، كما أنها الأداة التي تستخدمها الدولة في الدفاع عن أهدافها ومصالحها القومية، من خلال ما يوفره هذا الدور من قدرة على التفاعل المستمر مع النظام الدولي ووحداته المختلفة، فالدور يعتبر وظيفة الدولة في الخارج سواء على المستوى الدولي أو الإقليمي مع مراعاة ما تملكه من إمكانيات مادية و معنوية.[1]

من خصائص الدور في السياسة الخارجية، أنه ليس مجرد تصور يضعه صانع القرار وإنما يرتبط بتجسيده على أرض الواقع من خلال الممارسة الفعلية ، كما يأخذ في عين الاعتبار الأدوار التي يؤديها أعداؤه في الساحة الدولية، بغية الاستفادة من ذلك في تعامله معهم، ويمكن أن تلعب الدولة أكثر من دور واحد في آن واحد وهذا مرتبط بمدى وحجم تأثيرها وإمكانياتها، فهناك الدور الموازن و المدافع، والمعرقل والنزاعي و السلمي، ومن الممكن أن تقوم الدولة بدور على المستوى العالمي مختلف عن المستوى الإقليمي، وتتفاوت الأدوار الخارجية للدولة طبقا لدرجة التدخل في الشؤون الدولية، على أساس أن يكون نشيطا يسعى لتغيير الأوضاع الراهنة، و يحافظ على الأمن القومي.[2]

تشير مفاهيم اقتراب الدور إلى عنصرين هما تصور الممثل لموقعه أمام الآخرين (الجزء الذي يتعلق بالذات من الدور) role conceptionوتصور توقعات الدور للآخرين (الجزء الخاص بالآخرين من الدور) أي السياق الاجتماعي المحدد للدور rôle expectation والذي يشار إليه من خلال اللغة والسلوك الفعلي. وهي تتقاطع مع ما سماه ألكسندر واندت Alexander Wendt في النظرية البنائية ب "الهوية الاجتماعية" للفاعل و تصوراته و سلوكاته وبما أن دور الفاعل في البيئة الدولية مرتبط بالأدوار للفواعل الأخرى فهذا يجعل إمكانية الحرية في إختيار الدور صعبة و يمكن أن تكون محتمة[3]

إن توجهات السياسة الخارجية الروسية تهدف إلى تعزيز دور روسيا في العالم كقوة عظمى، وتحقيق المصالح الاستراتيجية للدولة في النظام الدولي مع مواكبة هذه الأخيرة للمتغيرات والمستجدات السياسية والأمنية والاقتصادية على المستوى الإقليمي والدولي. وبما أن اقتراب الدور فسر سلوك الدول وتصرفاتها في النظام الدولي على أساس الدور الذي تلعبه الدولة في النظام باعتماد الدور والتأثير الذي تمتلكه الدولة في المجتمع الدولي، فإن روسيا تعد من أهم الدول التي تلعب دورا سواء على المستوى الإقليمي أو الدولي. فقد سعت من خلال خياراتها وقراراتها الخارجية إلى تغيير موازين القوى الدولية ودحض عولمة القيم الإنسانية وسيطرة القطب الواحد على النظام الدولي.

---

[1] زلاقي، **"نظرية الدوربين الأصول الإجتماعية والتوظيف"**، 780.

[2] زلاقي، **"نظرية الدوربين الأصول الإجتماعية والتوظيف"**، 782-783.

[3] Harnisch et al., **Role Theory in International Relations**, 8.

ويقول سيرجي لافروف Serguei Lavrov، وزير الخارجية الروسي، في مقالة كتبها لمجلة الشؤون الخارجية والعلاقات الدولية تحت عنوان " حاضر و مستقبل السياسة الدولية"، التي صدرت عن موسكو عام 2007، والمعبرة عن التيارات السائدة في روسيا بشأن القضايا الخارجية والسياسة العامة: ***" إن العالم الذي نعيش فيه اليوم لم يعد المكان الذي كنا نعرفه منذ سنوات عديدة مضت، فقد أصبحت كثير من الأمور أكثرها وضوحا، أهمها أن عالم القطب الواحد لم يتجسد على أرض الواقع بسبب نقص الموارد العسكرية و السياسية و المالية و الاقتصادية والموارد الأخرى اللازمة لبناء بنية امبراطورية في عصر العولمة، ولسنوات عديدة ظلت خرافة 'العالم أحادي القطبية' توجه أذهان وسلوك كثير من الدول التي صدقت هذه الخرافة واستثمرت فيها سياسيا...ولعل هذا هو الوقت المناسب لطرح تحليل غير منحاز للمرحلة الراهنة في تطور العلاقات الدولية، فعلى أي الأحوال، في ضوء تجربة السنوات الخمس الماضية كمرشد لنا، جرى هناك تصحيح واقعي-أو بالأحرى تقليص- لدور الولايات المتحدة في الشؤون العالمية، و بروز للقيمة الحقيقية للعامل الروسي في الشؤون الدولية".***[1]

أكد الرئيس الروسي بوتين عزمه في استعادة النفوذ المفقود في الجمهوريات السابقة، من خلال خلق وحدة قوية فائقة القومية، قادرة على أن تصبح قطبا في العالم الحديث، و تؤكد الدراسات السياسية والتاريخية للأمم بأن للقيادة السياسية دور حاسم في تأكيد ومتابعة تحقيق رسالة الأمة، واتخاذ القرارات الناجحة والفعالة على صعيد السياسة الخارجية، خصوص ما يذكره المحلل الألماني كارل شميدت Carl Schmitt، أن تحقيق نظرية" المجال الكبير" ترتبط بالإرادة السياسية وحدها والتي تعي الضرورة التاريخية لمثل هذه الخطوة الجبوليتيكية.[2]

وتفسر استجابة روسيا للتحديات والأزمات الدولية على أساس هذا الدور الإقليمي والدولي مكانتها كدولة ذات دور فعال في النسق الدولي، ومختلف الأزمات والتفاعلات تؤثر بدورها على دور روسيا وتشكيل القواعد والمبادئ والقيم التي يتبناها داخل المجتمع الدولي.

[1] لافروف، سيرجي والشيخ، نورهان السيد عبد الحميد. "العودة إلى العالم: توجهات السياسة الخارجية الروسية". ترجمات استراتيجية 40 (2008): 7.

[2] صباح ن، شنافة. **"المسعى الروسي لضبط الدور العالمي وإعادة التوازن الدولي في القرن الواحد والعشرين".** مجلة الأكاديمية العربية المفتوحة في الدنمارك 21 (2018): 179.

المبحث الثاني: الأقليات الروسوفونية في دول الجوار الروسي

لقد اعتبرت المنطقة الاوراسية[1] أحد أهم المناطق تعقيدا لموقعها الجيوستراتيجي واحتوائها لأكثر الأحداث التاريخية المؤثرة في تطور معالم المنظومة الدولية الحديثة، فقد شملت تعددا في اللغات والعرقيات والثقافات. توزعت مجتمعات هذه المناطق في مجموعات صغيرة ذات حكم منفرد وشهدت العديد من الصراعات فيما بينها الى أن توحدت ولأول مرة تحت حكم المغول خاصة مع توسعات القرن الثالث عشر.

ثم برزت ثاني أكبر امبراطورية بعد المغول تمثلت في روسيا القيصرية التي حكمت معظم أجزاء أوراسيا حتى نهاية القرن الثامن عشر حيث اندلعت الثورة البلشفية في 1917 وأعادت أحياء آثار هذه الإمبراطورية تحت مسمى الاتحاد السوفياتي الذي لم يجتاح أوراسيا فقط وإنما أصبح قوة عظمى في الساحة الدولية ليتفكك مع نهاية التسعينات الى دول مستقلة ينتمي الجزء الأكبر منه الى روسيا الاتحادية.

المطلب الأول: التركيبة العرقية لروسيا القيصرية

لقد مرت روسيا الاتحادية بمحطات تاريخية هامة شكلت البنية الاجتماعية والثقافية التي تتميز بها الى يومنا هذا، وقد أدى تنوع ووفرة ثرواتها الطبيعية الى وجود العديد من العرقيات والثقافات من شرق البلاد الى غربها عن طريق موجة التوسع الهامة التي بدأت منذ بروز روسيا القيصرية.

1- موجة التوسع الروسي القيصري

لقد سيطر المغول على معظم الأراضي الشرقية لأوراسيا و اجتاحوا القرى و أهم المدن الحيوية في تلك الاراضي بلا أي هزيمة و بسرعة شديدة الى أن وصلوا الى المدن الإسلامية بعد اجتياح الدولة الخوارزمية و حصار عاصمة الدولة العباسية بغداد و كذا باقي دول الشام إلى أن سقطوا لأول مرة في معركة عين جالوت في 3 سبتمبر 1260 حيث استطاع جيش المماليك التابع لمصر بقيادة سيف الدين قطز إبادة الجيش المغولي، كان لهذه المعركة أثر في صد التوسع المغولي و بداية الانهزامات في مناطق أخرى تابعة له من بينها الامارات الروسية.

[1] أوراسيا هو مصطلح جيوبوليتيكي يشير إلى الكتلة الأرضية المشتركة بين أوروبا وآسيا، والتي تمثل أكبر وأكثر القارات انتشارًا للسكان على الأرض. يعتبر أوراسيا أيضًا مفهومًا استراتيجيًا يبرز الأهمية الحيوية لهذه المنطقة للسياسة والأمن العالمي. بعض المفكرين الجيوبوليتيكيين، مثل زبغنيو برجنسكي، يرون أن أوراسيا هي المحور الرئيسي للجيوبوليتيك، وأن القوة التي تهيمن على أوراسيا تستطيع التحكم في العالم.

بدأ تكوين الامبراطورية الروسية عام 1480 حين أعلن إيفان الثالث أمير دوقية موسكو التمرد على حكم التتار[1] حيث كانت تتواجد امارات روسية متفرقة خاضعة له لأكثر من قرنين واستغل ايفان ضعف السلطة في ذلك الوقت وبدأ ما يعرف بعملية " تجميع الأراضي الروسية " المتفرقة [2]و قد نجح عام 1494 في ضم امارة نوفوغورود و مستعمراتها في أعالي الفولغا و امارة نيفير و فيازما التي استرجعها سلميا من الحكم الليتواني البولندي وواصل فاسيلي الثالث ومن بعده ايفان الرابع ما بدأه ايفان الثالث الى أن زال حكم التتريين على الامارات الروسية تماما، و أعلن ايفان الثالث نفسه قيصرا على كل أجزاء روسيا التي توحدت تحت سلطة موسكو، و استمرت التوسعات نحو وسط آسيا و شرقا عبر جبال الأورال و استولوا على سيبيريا الى أن وصلوا الى ألاسكا ، امتدت الإمبراطورية الروسية على مساحة شاسعة تقدر بأكثر من 22 مليون كيلومتر مربع ، منها 50 % أراضي أوروبية و حوالي 40 % من أراضي آسيوية و ضمت 126 قومية الى أن سقطت على يد البلاشفة وإعلان الثورة حق تقرير المصير لشعوب المستعمرات و أشباه المستعمرات و أخذت تنضم الى المركز و الذي شكل فيما بعد الاتحاد السوفياتي.[3]

توسع الروس تحت حكم قياصرة عائلة رومانوف[4] بهدف الوصول الى البحار المفتوحة أو ما يعرف بالمياه الدافئة كما توجهوا الى المناطق الجنوبية التي تعرف بدول آسيا الوسطى التي تضم دولا مثل كازاخستان و أوزباكستان و تركمنستان و طاجيكستان و قيرغستان ، فوصلوا الى بحر آزوف و البحر الأسود و قد حال وجود الحكم العثماني الذي كان يسيطر على مضيقي البوسفور و الدردنيل دون الوصول الى البحر الأبيض المتوسط، كما ضمت الأراضي الأوكرانية الجنوبية و أراضي

---

[1] التتار هو الاسم الذي كان يطلقه العرب على المغول، والتتار كانوا جماعة معادية تقطن شرق منغولستان، قام جنكيز خان بإبادتهم بالكامل تقريبا، أغلب التتار الحاليين ينحدرون من القفجاق الأتراك الذين حكمهم المغول وليس لهم علاقة بالتتار القدماء.

[2]عملية "تجميع الأراضي الروسية المتفرقة" في عهد إيفان الثالث، هي أولى لبنات تشكل الحكم القيصري في روسيا، وهي عملية تصف جهود إيفان الثالث لتوحيد الإمارات والمناطق الروسية تحت سلطته. فسعى إلى انشاء كيان روسي قوي ومستقل عن الهيمنة المغولية التتارية، استخدم إيفان الثالث وسائل مختلفة لضم الأراضي الروسية إلى موسكو، مثل التحالفات، والزواج، والشراء، والحرب. ونجح في ضم عدة إمارات رئيسية، مثل نوفغورود وتفير وروستوف وريازان، وكذلك مناطق حدودية مهمة، مثل سمولينسك ونوفغورود سيفيرسكي وتشيرنيغوف. كما تصدى للتهديدات الخارجية من ليتوانيا وبولندا والقبيلة الذهبية. وبهذه العملية، أضاف إيفان الثالث ملايين الكيلومترات المربعة إلى أراضي دولته، وأسس أساساً قوياً للامبراطورية الروسية المستقبلية..

[3] **الموسوعة السياسية**، عبد الوهاب الكيالي، (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات و النشر، الجزء الأول، 1985)، "الإمبراطورية الروسية"، 293- 294.

[4] عائلة رومانوف هي أسرة مالكة روسية حكمت روسيا القيصرية من عام 1613 إلى عام 1917. تأسست الأسرة من قبل ميخائيل رومانوف، الابن الأصغر لبطريرك موسكو فيودور رومانوف. تميزت عهود الأسرة بالتوسع الإقليمي والثقافي والاقتصادي لروسيا، وكذلك بالصراعات الداخلية والخارجية مع الدول المجاورة، وفي عام 1917، اندلعت ثورة فبراير التي أطاحت بالقيصر نيقولا الثاني مما أنهى حكم الأسرة. وفي عام 1918، تم قتل نيقولا وزوجته وخمسة أطفال له بأيدي الثوريين البلشفيين في يكاترينبرغ. هذه المجزرة أثارت غضبًا دوليًا وأدت إلى انقطاع العلاقات بين روسيا وبعض الدول.

القوقاز التي تضم جورجيا و أرمينيا و أذربيجان بعد عدة صراعات مع الإمبراطورية العثمانية، أما شمالا فتوجهوا نحو بحر البلطيق و وواجهوا السويد التي كانت تسيطر عليه و على المناطق التابعة له و بعد سلسلة من الهزائم تمكنوا من الانتصار عليها في عهد بطرس الأكبر[1] ، و استولوا على كل من ليتوانيا و استونيا و لاتفيا، كان هناك تنازع مع الإمبراطورية الصينية التي أخذت تنهض من جهتها بعد سقوط المغول حول الأراضي التي تطل على بحر اليابان الى أن أصبحت تابعة لروسيا، لكن سرعان ما تحسنت العلاقات بينهما خاصة بعد صعود الخطر الياباني و تزايد قوته و رغبته في الاستيلاء على كوريا و منشوريا (شمال شرق الصين حاليا) المحاذية لروسيا.

الشكل رقم 2: خريطة تمثل أكبر توسع عرفته روسيا القيصرية حتى عام 1914

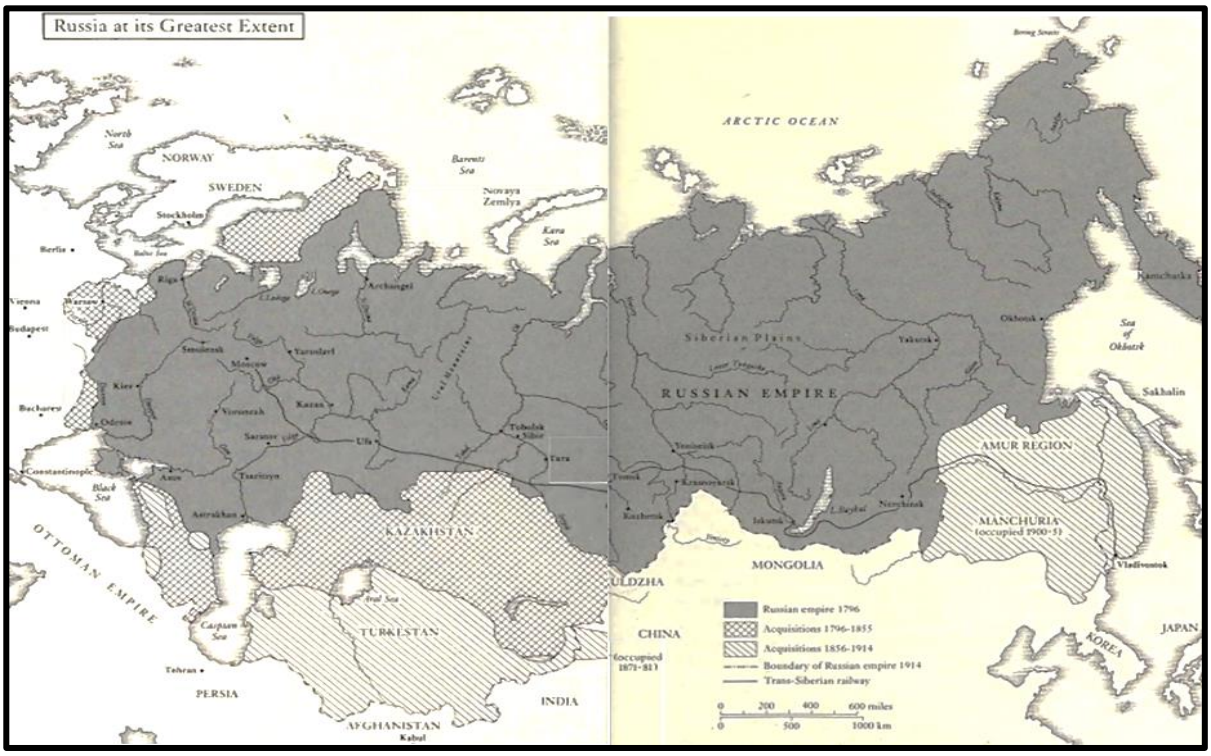

Source: Geoffrey Hosking, **Russia: People and Empire, 1552-1917** (Cambridge: Harvard University Press, 1998), 12-13.

تمثل الخريطة سلسة التوسع التي مرت بها روسيا القيصرية من خلال ضم الأقاليم المجاورة لها، حيث ضمت مع نهاية القرن الثامن عشر إلى خمسينيات القرن التاسع عشر كل من كازاخستان

[1] بطرس الأكبر هو قيصر روسيا الذي حكم من عام 1682 إلى عام 1725 وأدخل العديد من الإصلاحات في البلاد وجعلها إمبراطورية قوية. كان مهتما بالتحديث والتقدم والتعلم من أوروبا الغربية. سافر إلى أوروبا وتعلم مهارات مختلفة مثل بناء السفن والطب والهندسة. أسس مدينة سان بطرسبرغ على ضفاف نهر نيفا كعاصمة جديدة لروسيا ونافذة على أوروبا. وشن حروب ضد السويد والدولة العثمانية وفرض سيطرته على مناطق جديدة. كما قام بإعادة تنظيم الجيش والبحرية والحكومة والكنيسة والتعليم والثقافة وفقا للمعايير الأوروبية. بطرس الأكبر يُعتبر أحد أهم حكام روسيا في التاريخ وأثره مستمر حتى اليوم.

جنوبا وفنلندا شمالا، ووصلت إلى وارسو في بولندا، ثم ضمها كل من منشوريا شرقا وتركستان جنوبا من منتصف القرن التاسع عشر إلى تاريخ بداية الحرب العالمية الأولى التي كانت آخر مرحلة توسعية لروسيا.

3- التركيبة العرقية للمناطق الروسية القيصرية.

لقد كان الاستيلاء على خانيه كازان سنة 1552 في عهد القيصر إيفان الرابع نقطة مفصلية في تحويل روسيا من مملكة موحدة عرقيا الى امبراطورية مترامية الأطراف. و بدأ بذلك تاريخ روسيا كإمبراطوية متعددة القوميات، فقد كانت أول نظام حكم مستقل يقع تحت السيطرة الروسية و الذي كان يحمل عادات مختلفة و ينتمي الى دين آخر وهو الإسلام و لغة و حضارة مغايرة عن مختلف الأراضي التي كانت تابعة للقيصر الروسي، غير أن التعددية العرقية و الدينية كانت جاضرة في إمارة موسكو و الإمارات السلافية الشرقية الأخرى خاصة في كييف روس و التي شملت نسبة كبيرة من القبائل المتحدثة باللغة الفنلندية و لغات البلطيق و عدد قليل من الجنود الناطقين باللغة التركية و في الفترات السابقة الفارنجيين الاسكندنافيين[1]، كما وضحها المؤرخ V.O.Kliuchevskyأن الامارات الروسية المتفرقة التي كانت موجودة في القرن الثاني عشر لم تكن ذات عرق واحد أيضا كما أن الاثنية المتحكمة التي تكونت بدأت تتشكل في الجزء الشمالي الشرقي لروسيا نتيجة التقاطعات بين القبائل السلافية الشرقية و القبائل الناطقة بالفلندية.[2]

لقد قُسم المجتمع الروسي في الحكم القصري عرقيا إلى مجموعتين كبيرتين هما:

1. **العرقية السلافية الشرقية:** هم مجموعة من الشعوب السلافية التي تقيم بشكل أساسي في أوروبا الشرقية، لهم لغات وثقافات وخلفيات تاريخية مشتركة. ينقسمون الى روس كبار وهم الذين يقطنون المناطق الروسية الحالية، روس بيض وهم البيلاروسيون وروس صغار وهم الأكرانيون.
2. **العرقيات غير السلافية:** وهم مجموعات عرقية روسية ليست من أصل سلافي مثل التتار Tatars والباشكير Bashkirs والتشوفاش Chuvash والشيشان Chechens والإنغوش Ingush والياكوت Yakuts والبوريات Buryats. هذه المجموعات لها ثقافاتها ولغاتها وتاريخها المتميز والتي تختلف عن تلك الخاصة بالروس السلافيين، وقد عاشت في المنطقة التي تضم الآن روسيا لآلاف السنين.

---

[1] الفرنجيين هو الاسم الذي أطلقه الإغريق وشعب الروس وغيرهم على الفايكنغ، الذين حكموا روس الكييفية بين القرنين التاسع والحادي عشر، واستقروا في مناطق عديدة بين بيلاروسيا الحديثة وروسيا وأوكرانيا، وأسسوا الحرس البيزنطي الفارانجي.

[2] Andreas Kappeler, **The Russian Empire: A Multiethnic History**, trans. Alfred Clayton (New York: Routledge Taylor & Francis Group, 2013), 14.

3. **العرقيات الأخرى:** كالاستونيين، الليتوانيين، البولنديين، والألمان والفنلنديين والذين تم ضمهم في الإمبراطورية خلال عمليات التوسع.

لقد ساعدت الإجراءات الضريبية مع بداية القرن الثامن عشر و الذي شمل المعايير العرقية في الإمبراطورية على الإحصاء التقريبي للمجموعات العرقية الموجودة داخلها رغم عدم شمول هذا التعداد لكل العرقيات خاصة التي تقطن المناطق الحدودية وأجزاء النبلاء و أفراد الجيش غير الخاضعة للضريبة وعليه فقد راجع المؤرخين السوفياتيين أمثال V.M.Kabuzan هته وقسم التركيبة العرقية للامبراطورية القيصرية كالتالي[1] :

نهاية القرن السادس عشر شكل الروس 90%، وغير الروسيين أي التتار والمجموعات العرقية لوسط الفولجا والشمال أكثر من 10% من سكان موسكو.

القرن السابع عشر إنضم الأكرانيون و هتمانات القوزاق و بيلاروس سمولينسك في غرب الإمبراطورية و إثنيات سيبيريا و السهوب الشرقية.

في 1718 الى 1719 تاريخ المراجعة الأولى، و من حيث تعداد السكان التي تدفع الضرائب وصل عدد الروسيين إلى 70.7% بعدد سكان يقدر حوالي 15.7 مليون و غير الروسين شكلوا 30% منهم 13% أكران و 2% سكان وسط الفولقا منهم التتار،2% إستونيين من إمارات البلطيق معا يشكلون من 4%إلى 5%. شكل بدو السهوب 3% وسكان الشمال وسيبيريا 1%، وقد كان عدد الروسيين في هذه الفترة لا يزال مهيمنا.

نهاية القرن الثامن عشر وحسب احصائيات المراجعة الخامسة لسنة 1795 بدأ التغيير الملحوظ في أغلبية العرق الروسي حيش شكلوا 53% من مجموع سكان كلي قدر بـ37 مليون، 21.8% أكرانيون، أكثر من 8% بيلاروسين بالتالي مجموع السلاف الشرقيون مجتمعون شكلوا نسبة 83% من العدد الكلي لسكان الإمبراطورية الروسية مقابل 17% من الروس غير السلافيين الذين كانوا تابعيين للأراضي الروسية والمجموعات العرقية الجديدة كالليتوانيين والبولنديين واليهود وتتار القرم والألمان الذين شكل كل منهم أقل من 2% من مجموع السكان.

أدت التغييرات الإقليمية في العقدين التاليين الى تقليل نسبة الروس بشكل أكبر، حيث شكلوا أقل من نصف السكان بحلول عام 1834 خلال المراجعة الثامنة، ووصلت نسبة البولنديين إلى أكثر من 7% كما ارتفع الفنلنديون إلى 1.8%، اليهود إلى 2.5%، الليتوانيين والألمان كذلك وظهرت مجموعات عرقية أخرى تمثلت في الرومانيين في بيسارابيا مايقرب 400 ألف روماني سنة 1835 والمستعمرين البلغاريين و الغاغاوز و اليونانيين.

[1]Kappeler, **The Russian Empire**, 115- 117.

بداية القرن التاسع عشر تحول مركز التعداد السكاني في الإمبراطورية الروسية إلى الغرب بشكل ملحوظ وانعكس ذلك على التشكيلة العرقية للإمبراطورية ثم أدى التوسع فيما بعد إلى تحوله مرة أخرى إلى الشرق.

لقد عملت الإمبراطورية الروسية على دمج المناطق غير السلافية وفق قوانين محددة انطلاقا من الادماج الاقتصادي الى الإداري ومن ثم الاجتماعي والديني والثقافي. وقد تمكنت في القرن السادس عشر من التوسع بشكل أكبر من خلال تعبئة الجنود من السكان المحليين لحماية أراضيها ضد الجيوش الجنوبية والغربية من جهة وكذا الاستفادة من الموارد البشرية والطبيعية التي يوفرها لها هذا التوسع.

وقد ذكر دايفيد كريستيانDavid Christian في كتابه "تاريخ روسيا آسيا الوسطى و منغوليا" أن المفتاح الأساسي لنجاح إمارة موسكو في التوسع و حشد قوة عسكرية من السكان المزارعين ضد الجيوش في الجنوب و الجهة الغربية هو النمو على المدى الطويل حيث أن التوسع البشري و الاقتصادي و الجغرافي مكن الحكام الروسيين من زيادة الموارد المادية و البشرية، أما المفتاح الثاني فتمثل في الاستغلال الأمثل لهذه الموارد المتراكمة مع الزمن و التي أتاحت التوسع الإقليمي الذي بدوره وفر أراضي جديدة و سكان و موارد للتعبئة من جديد مشكلة دورة متتالية قوية من التوسع Feedback cycle[1].

كان هناك تفاعل كبير بين مختلف المجموعات العرقية إلا أن استيعاب ثقافة لثقافة أخرى كان نادرا قبل منتصف القرن التاسع عشر .و كان ذلك بسبب عيش كل مجموعة بمعزل عن الآخرين و محافظتها على ثقافتها و تقاليدها حتى داخل المدن، أما بالنسبة للشعوب التي تسلقت الهرم الاجتماعي فكانوا عادة ما يتم استعابهم من قبل العرقية الحاكمة و هكذا تم استعاب الألمان للاتفيين و الإستونيين، الليتوانين و البيلاروسيين و الأكرانيين تم استيعابهم من طرف البولنديين أو روسنتهم خاصة تلك التي انضمت إلى طبقة النبلاء فقد شكل غير الروسيون قرابة ربع الطبقة السياسية و العسكرية للامبراطورية سنة 1730. كذلك العرقيات التي تحولت إلى المسيحية تم روسنتها ما عدا بعض المجموعات التتارية. كما حافظت العرقيات الغربية كالبولنديين وألمان البلطيق و الفنلديين بهويتهم العرقية و قد كان العديد من الشخصيات الهامة الحاكمة الروسية تتحدث عدة لغات كالفرنسية و الألمانية و السويدية والبولندية الى جانب الروسية. وكانت العديد من المدن تشهد تعدد عرقي وديني كمدينة موسكو في الغرب وأوديسا شرقا وأستراخان وقازان.

[1]David Christian, **A History of Russia, Central Asia and Mongolia. Volume II: Inner Eurasia from the Mongol Empire to Today, 1260-2000** (Hoboken, New Jersey: Wiley-Blackwell, 2018), 123.

لقد أصبحت روسيا القيصرية بحلول النصف الثاني من القرن الثامن عشر ونتيجة قرون من التوسع إمبراطورية مترامية الأطراف شاسعة الأراضي ومتعددة القوميات والديانات والثقافات، وقد كانت سياسية الحكم البراغماتية والمرنة محترمة لخصوصيات المجتمعات المحلية التي لا تنتمي الى السلاف الروس أو الى المسيحية الأرثوذكسية، كما أن الولاء للقيصر وسلالته ساهم في ربط هذه المجتمعات بالإمبراطورية التي كانت لا تتردد في استعمال أساليب الإكراه والتدخلات المسلحة في حالة تعرض هذا الرابط الى أي خطر محتمل.[1]

المطلب الثاني: الترويس في روسيا القيصرية

يشير الترويس في الإمبراطورية الروسية إلى سياسة تعزيز اللغة والثقافة الروسية على تلك الخاصة بالمجموعات العرقية الأخرى داخل الإمبراطورية. تم تنفيذه من قبل الحكومة الروسية، وخاصة في عهد القيصر نيكولاس الأول في منتصف القرن 19. هدفت هذه السياسة إلى استبدال الثقافة واللغة والدين للمجموعات العرقية غير الروسية داخل الإمبراطورية بالثقافة واللغة الروسية، وأدى ذلك إلى حظر لغات الأقليات وفرض اللغة الروسية كلغة رسمية في مناطق مختلفة من الإمبراطورية. كما أن عمليات الترويس كان لها دور في قمع الحركات القومية وتعزيز الشعور بالولاء للقيصر والدولة الروسية، واستخدمت الحكومة هذه السياسة لتشجيع الاستيعاب والولاء للإمبراطورية.

لقد كانت اللغة كعامل هوياتي ذات أهمية فرعية في الإمبراطورية الروسية وجاءت بعد الدين مرتبة. وقد قسمت اللغات في فترة روسيا ما قبل التحديث الى فئتين، لغات تتحدث وتكتب بها الطبقة العليا والتي تشير إلى الثقافات عالية المرتبة، وهناك لغات غير مكتوبة تتحدث بها فقط الطبقات الدنيا حسب التراتبية الطبقية التي كانت موجودة في الإمبراطورية و التي كانت تحكمها النخب من مجموعات عرقية أخرى. اعترفت روسيا القيصرية باللغات المكتوبة للنخب غير الروسية و شملت البولندية و الألمانية و السويدية و اليونانية و الأرمينية و المنغولية والعبرية و اليديشية و لغات تتار الفولغا و تتار القرم و العربية و تم استخدامها كلغات تدريس أما بالنسبة للغات غير المكتوبة فقد تم تجاهلها مما سمح للغات النخب غير الروسية بالتأثير على المناطق الفلاحية كتأثير التتار على شعب تشوفاش وكيريميس و الموردوفيون و باشكير، البولنديون على الليتوانيين، البيلاروسين و الأكرانيين، السويديين على الفنلنديين، و الألمان على الإستونيين و اللاتفيين، بعض من هذه اللغات ترقت بسبب بعدها الديني كلغة الفلاحيين اللوثريين التي استعملت في التدريس في الطور الإبتدائي و البعض الآخر كاد يترقى الى لغات مكتوبة كحال الأكران الذين طوروا لغتهم الخاصة المكتوبة لكنها بدأت تختفي تدريجيا بسبب عدم اعتراف الحكام الروس بها و بسبب ترويس النخب الأكرانية.[2]

[1]Kappeler, **The Russian Empire**, 114.
[2]Kappeler, **The Russian Empire**, 150.

كانت عمليات الترويس استمرارا جزئيا للسياسات التي اتبعها نيكولاس الأول: المركزية الإدارية والقضاء على الإمتيازات المحلية وقد تميزت بعنصر جديد وهو محاولة الهام جميع شعوب الإمبراطورية وتعزيز الانتماء الى روسيا القيصرية سواء من خلال:

- استخدام اللغة الروسية،
- أو من خلال التذكير وتعظيم أمجاد روسيا وتاريخها وثقافتها وتقاليدها،
- أو من خلال اعتناق الديانة المسيحية الأرثوذكسية.

غير أن هذه السياسة قوبلت بمقاومة من مختلف المجموعات العرقية بدرجات متفاوتة، ويعتبرها العديد من الباحثين أنها ساهمت في صعود القومية والحركات الانفصالية في السنوات الأخيرة من الإمبراطورية الروسية.

ولم تعني بالضرورة التخلي الكلي عن الهويات المحلية غير الروسية وإنما جعل نظام شامل يحمل ولاء للمركز مستوحى من المنظومة البريطانية التي كانت تحمل ولاء الإنجليز والأسكتلنديين والويلز، وكذا نظام هابسبورغ حيث كان الولاء الشامل للامبراطور وسلالته بدلا من النمسا و قد جمع هذين النموذجين في الإمبراطورية القيصرية أي الروسية و الاستبداد[1].

لقد آمن ميخائيل كاتكوف MIKHAIL KATKOV محرر الصحف الرائدة في الإمبراطورية الروسية من ستينات الى ثمانينيات القرن التاسع عشر بفكرة القومية والمجتمع المدني كوسيلة لعلاج الانقسامات الداخلية في روسيا القيصرية التي كانت تحت ضغط الأحداث وكما كان أحد المعجبين بالنظام السياسي البريطاني الذي جمع من وجهة نظره بين القوة وسيادة القانون المدعومة من طرف النبلاء والأثرياء و قد أراد أن يكون هناك نظام مماثل من خلال إصلاحات ألكسندر الثاني.[2]

مع منتصف القرن التاسع عشر وبداية حكم ألكسندر الثاني، تم اصدار مجموعة من القرارات غيرت الوضع الداخلي و كانت عبارة عن خطوات تمهيدية لعمليات الترويس داخل الإمبراطورية الروسية من بينها حظر تدريس و طباعة المصنفات باللغات المحلية و عمليات تنصير غير المسيحيين في شرق الإمبراطورية و الإجراءات القمعية لاستخدام اللغة الروسية في المدارس .قوبلت هذه السياسات بالرفض حالما تم إصدارها مما أدت الى أزمات حادة كالتمرد البولندي في 1863، فحسب جوفري هوسكينغ Geoffrey Hosking فقد" ***فشلت سياسة ألكسنر الثاني في ربط السلطة بالنخب الحاكمة بشكل أوثق من خلال إنشاء مجتمع مدني - أو على الأكثر كانت ناجحة جزئيا فقط، وخلال هذه العملية ألقت مخاطر جديدة على النظام الداخلي. كان البديل الواضح هو استبدال المدنية***

[1]Geoffrey Hosking, **Russia: People and Empire, 1552-1917** (Cambridge: Harvard University Press, 1998), 367-368.

[2]Hosking, **Russia: People and Empire**, 374.

بسياسة عرقية، لدعم التماسك السياسي من خلال تعزيز الدمج الهوياتي مع الجنسية التي تحمل الإمبراطورية اسمها، الروسية"[1]

لقد أثرت الأحداث السياسية على مشروع الترويس في كيان متعدد القوميات كالامبراطورية الروسية، وأدى إلى تكريس الانفصال والفتن بدلا من دعم الوحدة، فقد تخوف الحكام الروس من الاستيلاء على أراضي روسيا من طرف مثلا بولندا و كان بمثابة مواجهة عدائية ضد روسيا التي لا تقبل سيادة أخرى منافسة لها في نفس المرتبة، و قد صرح كاتكوف في أوت 1863 ***"الحرية - الدينية أو أي حرية أخرى – لا تعني حرية تسليح العدو" وكان شعاره " إما ذاك أو ذاك: إما بولندا أو روسيا"[2]***. فقد كانت الوحدة السياسية أمرا حيويا لاستمرار الإمبراطورية، واعتبر الروس نفسهم أحق بفرض سلطتهم على كامل الأراضي التابعة لهم نظرا للهيمنة التاريخية والحضارية الروسية المتشكلة منذ نشأة الإمبراطورية، وقد كان هاذان المحددان عائقا في بناء نظام مشابه للحكم البريطاني إلى جانب محاولتها السيطرة على القوميات ذات الثقافة الغربية على غرار بولندا وفنلندا والألمان و اليهود والتي كانت تملك درجة معتبرة من التطور و الاستقلال السياسي على عكس القوميات الشرقية.

المطلب الثالث: سياسات الترويس وتداعياتها في مختلف أجزاء روسيا القيصرية

أ - ترويس بولندا

تم تطبيق السياسة في بولندا لأول مرة بشكل كامل بعد تمرد عام 1863-1864. كانت هذه هي المنطقة الأولى في الإمبراطورية التي تخلت فيها السلطات الروسية عن سياسة التعاون مع الشرائح المحلية: تم نفي العديد من النبلاء وحجز أملاكهم بهدف تضعيف الحزب النبيل الذي يمثل الفكرة الوطنية البولندية. ودعمت تحرير الفلاحين بشكل نسبي عن طريق إعطاء المزيد من الأرض بشروط أفضل، كما تم حظر الكنيسة الكاثوليكية من التواصل مع روما وإجبارهم على التعاون مع الكنيسة الأرثوذكسية الروسية وفصل الأساقفة المتمردين، وإجبار العديد من الأشخاص على التدين بالأرثوذكسية. تم استبدال معظم المسؤولين البولنديين بروسيين، وفُرضت اللغة الروسية على جميع الأعمال الرسمية وكذا تحديدها كلغة تدريس في المدارس والجامعات. رغم الفوائد الاقتصادية التي كانت بولندا تحققها تحت ظل الإمبراطورية الروسية فقد كانت وحدها قادرة على بيع منتجاتها الصناعية في سوق ضخم خاصة في مجال النسيج والصلب والآلات حيث كانت تنتج حوالي ربع إنتاج الإمبراطورية الصناعي، إلا أن طبقاتها النخبوية انقسمت حول مكانة بلادهم في الإمبراطورية. فتفرعت الأحزاب السياسية في عام 1905 إلى ثلاثة أطراف. حزب العمال البولندي الاشتراكي(pps) الذي دعا إلى الاستقلال الكامل لبولندا. الحزب الديمقراطي الاجتماعي لمملكة بولندا وليتوانيا(SDKPiL) والتي كانت أشهر شخصية فيه روزا لوكسمبورغ Rosa Luxemburg،

[1]Hosking, **Russia: People and Empire**, 367.
[2]Hosking, **Russia: People and Empire**, 374- 375.

والذي اتخذ موقفا ماركسيا بأن تظل بولندا ضمن الدولة البروليتارية التي ستصبح عليها إمبراطورية روسيا بعد الثورة الاشتراكية القادمة. أما الحزب الثالث فتمثل في الوطنين الديمقراطيين، وكانوا يمثلون الطبقة الصناعية والتجارية التي دعمت البقاء داخل الإمبراطورية الروسية ولكن مع الحكم الذاتي و وقف القوانين التمييزية داخل بولندا. خلال الفترة من 1905 إلى 1906 شهدت بولندا العديد من الاضطرابات وأعمال العنف منها احتجاجات عمال مركز التصنيع النسيجي في مدينة لودز مطالبين بزيادة الأجور، مما شكلت هذه الاضطرابات عبئا شديدا على القوات المسلحة الروسية.[1]

ب- ترويس أكرانيا:

صممت الحكومة الروسية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر على فرض الهوية الروسية في أوكرانيا التي كانت تُعرف رسميا بروسيا الصغرى. ، إعتبر الروس لغتهم العامية الأكرانية لهجة روسية . ومع ذلك، كان انتشار الثقافة الأوكرانية قويا نسبيا بفضل تراث الشعراء والكتاب والمؤرخين البارزين، كما أصدرت العديد من القرارات بعدم السماح بنشر الكتب باللغة الأوكرانية باستثناء الأدب والفولكلور. وصرح وزير الداخلية في 1863 أنه "لم يكن هناك أي لغة روسية صغيرة متميزة من قبل، ولن يكون هناك أي واحدة[2]".كما أصدر في عام 1876 مرسوم آخر يحظر استيراد الكتب باللغة الأوكرانية من الخارج واستخدامها في المسرح.

كان قمع اللغة الأوكرانية فريدا من نوعه في روسيا القيصرية، وسببه كان ينبع من كون الأوكرانين ثاني أكبر مجموعة عرقية في الإمبراطورية حيث بلغ عددهم تقريبًا 18% من السكان الإجماليين بنسبة 22.4 مليون بحسب احصائيات سنة 1897. وإذا تم استيعابهم في الثقافة واللغة الروسية فسيشكل الروس غالبية آمنة بنسبة 62% من سكان الإمبراطورية. وعلى الجانب الآخر، إذا أصبح الأوكرانيون مثقفون واعتمدوا لغتهم الخاصة، فسيصبح الروس أنفسم أقلية في إمبراطوريتهم، وكان هذا القلق ينعكس في مجمل القوانين ضد اللغة الأوكرانية، كما أشار عام 1876 أحد المسؤولين الكبار للقيصر بأن السماح بإنشاء أدب خاص للشعب العادي باللهجة الأوكرانية سيعني الانفصال بين أوكرانيا وبقية روسيا والموافقة على انفصال ثلاثة عشر مليون روسي صغير أي أكراني وسيعد خطأ سياسيا فادحا، خاصة في ظل الحركة الوحدوية التي تجري بجانب روسيا بين القبائل الألمانية. وقد عزز احتواء الأراضي في أكرانيا على التربة الخصبة والمناخ الجيد قدوم العمال الروس بشكل كبير مما غير التركيبة السكانية بسرعة في تلك المنطقة[3].

[1]Hosking, **Russia: People and Empire**, 376 -378.
[2]Hosking, **Russia: People and Empire**, 379.
[3]Hosking, **Russia: People and Empire**, 379.

ج- ترويس فنلندا:

في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، بدأت فنلندا في الاستفادة من الموقف الدستوري النسبي المواتي لها حيث بدأ البرلمان الفنلندي بإجراءات مميزة عن بقية المناطق الروسية حيث انتشر التعليم، حرية العبادة، إصدار عملة منفصلة وإنشاء جيش فنلندي. وحصل مؤيدو اللغة الفنلندية على دعم الإمبراطور لقضيتهم في التحدّي للهيمنة السويدية السابقة. و قد عبر الفنلنديون على عكس البولنديين عن تحفظ واضح في تسييرهم مما أكسبهم دعم الملوك الروس لهم، بدأت الأوضاع تتغير في العقود الأخيرة من القرن التاسع عشر حيث بدأ الروس يتخوفون من الامتيازات الممنوحة لفنلندا وبدأ الامبراطور نيكولاس الثاني بالتعامل بحزم مع الحكم الذاتي لفنلندا و أصدر منشورا جديدا يهدف إلى دمج فنلندا بشكل كامل في الإمبراطورية، وجعل الفنلنديين مسؤولين عن الخدمة العسكرية في الجيش الروسي بدلاً من جيشهم الخاص كما أقر استعمال اللغة الروسية في المكاتب الإدارية والمدارس الفنلندية وكذا إلغاء الأمانة الفنلندية التي كانت رأس النظام الإداري التشريعي في فنلندا. عارض الفنلنديون بقوة هذا القرار واعتبروه إعتداء على دستور نيكولاس السابق و أرسلوا عريضة للامبراطور و حاكم فنلندا الجديد وقاموا بمقاطعة جميع المؤسسات الروسية، مما أثر بشكل كبير على الجيش، وبدأ النضال السلمي يتحول تدريجيا إلى عنف،أدى إلى اغتيال حاكم فنلندا في يوليو 1904[1].

د- ترويس دول البلطيق:

تعامل الروس مع منطقة البلطيق بحذر بسبب الخطر الألماني المحاذي لهم. كان كل من الإستونيون واللاتفيين أكثر الجماعات العرقية ولاء للقيصر وللإمبراطورية ككيان متعدد العرقيات لكن أدى توحيد ألمانيا إلى تعزيز انتمائهم الألماني خاصة في المناطق الحضرية. فأدى ذلك في الثمانينيات من القرن التاسع عشر إلى فقد سلطاتهم القضائية مع إدخال المحاكم الروسية الجديدة واستخدام اللغة الروسية في جميع الإجراءات الإدارية والقضائية، إلى جانب افتتاح العديد من المدارس الوزارية التي تديرها سانت بطرسبرغ وتقدم التعليم باللغة الروسية فقط، حاولت السلطات جعل الروسية إجبارية في جميع المدارس الابتدائية باستثناء الصفوف الأولى و ضيقوا على الأساتذة في الجامعات للتدريس باللغة الروسية كما تم بناء كنائس أرثوذكسية في العديد من المدن، استمرت سياسة الترويس في دول البلطيق لفترة إلى أن حدثت إحتجاجات 1905-1906 على الممارسات الحكومية مما أدى إلى بداية نشأة جمعيات ألمانية في المناطق الحضرية بهدف الدفاع عن المصالح الاقتصادية الألمانية وتعزيز التعليم الألماني، كما حاولوا إعادة توطين المزارعين الألمان من أجزاء أخرى من الإمبراطورية في البلطيق من جميع الطبقات الاجتماعية، و شكلت الجمعيات روابط

[1]Hosking, **Russia: People and Empire**, 380, 381.

مع الرايخ الألماني و هذا ما عزز يشكل كبير إعادة توجه الألمان في الإمبراطورية إلى الأصل العرقي الألماني على حساب الإمبراطورية الروسية[1].

هـ- ترويس القوقاز:

لقد استفادت روسيا القيصرية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر من العداء الذي كان بين الأتراك و الجورجيين و الأرمن، و وفرت الحماية لهم و تعاونت مع القادة المسيحيين المحليين في منطقة القوقاز ضد المسلمين الأتراك. ومع ذلك فقد كانت السلطات غير راضية بالطريقة التي كان يتبلور فيها الشعور الوطني الجورجي والأرمني في هذه الفترة.

بالنسبة لجورجيا، كان استقرار الأوضاع تحت الحكم الروسي وتزايد النشاط الاقتصادي وكذا تفاعل الجورجيين مع العالم الخارجي واستناد الطبقة النبيلة على التعليم ذو الطابع الأوروبي كلها عوامل أصبحت نواة لنشأة أمة جورجية حديثة، فبينما كانت الإدارة والشرطة يديرها الروس والبنوك والتجارة مهيمنة من طرف الأرمن، طور الجورجيون نوعًا خاصا من القومية للتصدي لكل منهما. وقد كان يعتقد الجورجيون أنهم والبولنديين، على الرغم من اختلافاتهم كانا يخوضان صراعا مشتركا ضد الإمبراطورية الاستبدادية ويجب أن يعملوا معا. فقاموا بتوسيع برنامجهم الزراعي الأصلي حتى يتوافق مع مطالب الفلاحين واستطاعوا تحويل أنفسهم إلى القوة السياسية الرائدة في الريف والمدن.[2]

أما بالنسبة للأرمن فقد اشتد شعورهم بالوطنية بشكل كبير خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر في التفاعل المتبادل مع الإمبراطوريات الروسية والعثمانية بسبب القمع الذي تعرضوا له من قبل الامبراطوريتين، مع العثمانيين في مجازر منتصف الثمانينيات والعداء مع الأذربيجانيين، أما في روسيا فقد كان الشعور المعادي للأرمن يتزايد بعد خسارة روسيا القدرة عن الدفاع عن مصالح الأرمن كما فعلوا في 1878، رغم وضع ميثاق يسمح للأرمن بتأسيس مدارسهم الخاصة إلا أنها ألغيت وكذا جميع المدارس الكنسية استبدلت بمدارس روسية. أثار هذا الإجراء الكثير من الحقد والشك في نفوس الأرمن وتسبب في تشكيل الحزب الثوري الأول. وأنشؤوا مؤسساتهم الوطنية لمواجهة روسيا واستمرت المناوشات بين كلا الطرفين.[3]

و- ترويس آسيا الوسطى:

كانت آسيا الوسطى في الإمبراطورية الروسية تعتبر مستعمرة حقيقية حيث كانت حالتها مختلفة عن تلك الأجزاء الأخرى من الإمبراطورية، كان سكانها يُعرفون باسم Inorodtsy وهو مصطلح

[1]Hosking, **Russia: People and Empire**, 382, 385.
[2]Hosking, **Russia: People and Empire**, 385, 386.
[3]Hosking, **Russia: People and Empire**, 386, 387.

شائع، ولكنه لم يستخدم في المناطق الأخرى من روسيا، ويعني وضعا سياسيا غريبا ومتدنيا[1]. لم يتم تضمين الإقليم بالكامل في الإمبراطورية، حيث بقيت خانة خيفا وإمارة بخارى رسمياً ذات سيادة ملتزمة بموجب معاهدات ذات جانب واحد يشملها اتحاد الجمارك الروسي. لم تتدخل السلطات الروسية في الدين والتعليم والإدارة المحلية أو المحاكم القضائية في هذه المناطق. حيث كانت مسلمة إضافة إلى كونها بعيدة عن الممارسة الروسية، لذا أي محاولة لتكييفها لم تكن لها فرصة كبيرة للنجاح وكانت معرضة بشكل أكبر للمقاومة. الجانب الوحيد من الحياة المحلية الذي تدخل فيه الروس هو الاقتصاد، حيث تم توسيع زراعة القطن المهمة للسوق الإمبراطوري وبدأ الفلاحون الروس في الاستقرار بأعداد كبيرة في الأراضي الرعوية. رغم ذلك، كان هناك مقاومة للحكم الروسي في وادي فيرغنا Fergana valley، أكثر المناطق الخصبة والمكتظة بالسكان في آسيا الوسطى، والتي كان فيها الإسلام مرسخا منذ زمن طويل. قادها قائد روحي صوفي في أنديجان (أوزباكستان حاليا) عام 1898. ولم تنضج الاحتجاجات الفرعية في وادي فيرغنا إلا حتى عام 1916، عندما انتشرت الانتفاضة على نطاق واسع.[2]

ز- ترويس اليهود:

كانت سياسة الترويس تجاه اليهود في الفترة الزمنية بين 1878 والتسعينيات من القرن التاسع عشر، ولعبت المذابح التي جرت في هذه الفترة دورًا في تحفيز العداء والأحقاد مع الشعب الروسي. استطاع اليهود في روسيا القيصرية و خاصة في فترة حكم ألكسندر الثاني كسب مناصب حضرية كالإدارة و الصحافة و المحاماة و المناصب الدينية وكانوا يتمتعون بصلاحيات أكثر من أي مجموعة عرقية أخرى في روسيا، هذا ما سبب استياء الروسيين المثقفين من منافسة اليهود في هذه المهن، و كانت لهم علاقات خارج الإمبراطورية مع القوى الغربية الأخرى مما أصبحت معاداة اليهود شبه عقيدة سياسية في روسيا خلال العقدين الأخيرين من القرن التاسع عشر، كان يشير الروس لليهود بأنهم قوة خفية غامضة تتمتع بحكم ذاتي داخل روسيا و تسعى إلى إضعافها، بينما رأى بعض الضباط بأن اليهود يلعبون دورا إنتاجيا في التجارة وأنهم مفيدون جدا في جذب رأس المال الأجنبي الضروري لروسيا، ورغم ذلك تم حظر اليهود من الحصول على الملكية في المناطق الريفية و من الحصول على وظائف في الجيش و الطب، و منحوهم عددا محدودا من المناصب في التعليم، كما منعوا أيضا من التصويت في الانتخابات البلدية وفرضوا قيود على إقامة اليهود ،وفي العام 1891، تم ترحيل اليهود غير الشرعيين بشكل جماعي من موسكو[3].

[1]Hosking, **Russia: People and Empire**, 389.
[2]Hosking, **Russia: People and Empire**, 388 -390.
[3]Hosking, **Russia: People and Empire**, 392, 393.

و كما يشير عبد الوهاب المسيري – و يعتبر من أبرز الباحثين في تاريخ اليهود - خلال دراسته للجماعات اليهودية أن الحكومة القيصرية قد شجعت و أرغمت اليهود على أن يغيروا لغتهم اليديشية و يتحدثوا الروسية أو البولندية أو الألمانية، و أن يستبدلوا أزياءهم بأزياء غربية حديثة و يرسلوا أولادهم إلى مدارس روسية علمانية أو مدارس روسية يهودية مختلطة كما أن تجنيد الشباب اليهودي في الجيش الروسي في سن مبكرة كان من أنجح الوسائل، إلا أنه و حسب المسيري فإن هذه المحاولات باءت بالفشل إلى حد كبير لأن عملية الترويس كانت في جوهرها عملية إعلامية سطحية لم تواكبها تحولات بنيوية في المجتمع لفتح المجال أمام اليهود الذين يرغبون في إكتساب الهوية الروسية، لكن كل هذا تغير بعد الثورة البلشفية التي كانت نقطة بداية هذه التحولات البنيوية فساعدت على نجاح عملية الترويس بطريقة تلقائية ضمن الحراك الاجتماعي، واختفت اليديشية و تروّس يهودها في إطار الدمج الحضاري و أصبح يشار إلى المهاجرين السوفييت اليهود إلى إسرائيل أو الولايات المتحدة على أنهم روس و حسب[1]

المطلب الرابع: سياسة الإتحاد السوفياتي في تشكيل الأقليات الروسوفونية

لقد كان الإتحاد السوفياتي بمثابة مرحلة جديدة لبناء كيان يحتوي مختلف العرقيات والثقافات والأجناس بعد سلسلة الحركات القومية وانتهاء الحكم الروسي القيصري باندلاع الثورة البلشفية عام 1917، ولقد كان الإرث الماركسي أهم مرجعية بنى عليها السوفيات نظام حكمهم وكذا نظرتهم للظاهرة العرقية من خلال المسألة القومية التي درسها لينين، و من بعده تم تجسيدها مع جوزيف ستالين الذي عرفت فترته موجة هجرة جماعية هائلة و إبادات عرقية في مختلف مناطق الإتحاد السوفياتي. فكيف كانت سياسة ستالين العرقية؟ وكيف ساهمت في تعزيز الروسوفونية؟

انتهج جوزيف ستالين بعد توليه الحكم في الإتحاد السوفياتي سياسة عرقية كانت تهدف إلى استغلال الموارد الطبيعية في الإتحاد، لتعزيز الاقتصاد وتحقيق الهيمنة العسكرية والاقتصادية. تميزت باستعمال شتى أساليب القمع وانتهاك حقوق العرقيات والأقليات خاصة تلك التي كانت في المناطق الحدودية الغربية، أجبرت على اتباع الثقافة واللغة الروسية ونبذ الثقافة واللغة الخاصة بمختلف الأقليات داخل أراضي السوفييت، كما أدت إلى تجنيد قسري للشباب واستخدمت الوسائل القمعية لأي صوت مخالف للحزب الشيوعي. وقد ساهمت بالتالي بتشكيل ثقافة واحدة وهوية وطنية واحدة، ولكن في نفس الوقت دفعت حقوق الأقليات الوطنية والعرقية إلى الخلف، وساهمت في تعزيز هيمنة الهوية الروسية.

[1] **موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية**، عبد الوهاب المسيري، (القاهرة: دار الشروق، المجلد الأول، 2003)،"الترويس"،474، 475.

بدأت هذه السياسة في عام 1930 واستمرت إلى غاية خمسينيات القرن العشرين تمثلت في نقل السكان من مناطق معينة إلى مناطق أخرى في الاتحاد السوفيتي تم نقل أكثر من 10 ملايين شخص خلال هذه الفترة وتم إغلاق العديد من القرى والمدن الصغيرة .أثارت هذه الحملة الكثير من الانتقادات بسبب التدمير الذي لحق بالمجتمعات المحلية والمشاكل الاجتماعية التي نجمت عنها من نسبة احتجازات و مذابح و قتل جماعي لعرقيات بأكملها مما وصفها العديد بحملات تطهير عرقي أو جرائم إبادات جماعية كما أشار إليها نورمان نايمارك Norman M.Naimark في كتابه " إبادات ستاين الجماعية " Stalin's Genocides حيث أظهرت دراسته أن ستالين كان الشخصية الرئيسية في سلسلة الإبادات التي رأى أنها التعبير المناسب للسياسة التي إتبعها ، وكما ذكر في كتابه "بين بداية الثلاثينات من القرن الماضي و حتى عام 1953 تم تنفيذ حكم الإعدام على حوالي 1.1 إلى 1.2 مليون من المواطنين السوفيات، ثلاثة أرباعهم خلال الفترة 1937-1938. تم ترحيل حوالي 6 ملايين مواطن سوفياتي إلى المستوطنات الخاصة؛ 1.5 مليونًا (25%) توفوا في "وفاة غير مناسبة". في ذلك الوقت، تم أيضًا سجن حوالي 16 إلى 17 مليون مواطن سوفياتي في العمل القسري، 3 ملايين منهم مدانون بـ"النشاط المضاد للثورة".توفى 10% في معسكرات العمل بطريقة غير مناسبة. هذه الأرقام لا تشمل 3 إلى 5 ملايين ضحية من مجاعة الأوكرانيين أو المجازر وإعدامات البولنديين وقوميات البلطيق والفلاحين الذين قاوموا التنظيم الجماعي[1] والعرقيات التي حاربت ترحيلهم. كما أنها لا تشمل أولئك الذين توفوا خلال انتقالهم إلى المستوطنات الخاصة ومعسكرات العمل أو الذين توفوا خلال التحقيقات الأولية، الإعتقالات أو الإستجوابات " [2].

وقد أشار نورمان إلى دور خلفية ستالين العائلية وبيئته الاجتماعية في جورجيا وكذا تطور شخصيته قرب لينين والبلشفية و دوره في الثورة و الحرب الأهلية في تقبل فكرة القتل الجماعي و تزايد مع إطلاقه مشروعه الاقتصادي و سياسة التنظيم الجماعي للأراضي الزراعية على مستوى الاتحاد. وقد عرف ستالين بسوء معاملة الشيوعيين الجورجيين في القضية الجورجية سنة 1923 الأمر الذي دفع لينين إلى التفكير في ستالين بالرغم من خلفيته الجورجية كشوفيني روسي كبير[3].

و تعتبر أهم حملة عبرت عن واقع الذعر و سياسات الإبادة في هذه الفترة التي تتعلق بعمليات إستئصال الكولاك أو ما يعرف بحملة Dekulakization و التي تمثلت في إستيلاء الحكومة السوفياتية على الأراضي والممتلكات التابعة للفلاحين الأثرياء المعروفين باسم "الكولاك" ضمن سياسة التنظيم الجماعي بـ'تبار أن هذه الفئة من الفلاحين السوفيتيين يشكلون تهديدا

[1] سياسة طبقت بين عامي 1928 إلى 1940 أثناء فترة حكم جوزيف ستالين تهدف إلى توحيد ملكية الأراضي الفردية والعمالة في مزارع خاضعة لسيطرة الدولة ضمن مشروع الخطة الخماسية لحل أزمة التوزيع الزراعي التي نشأت سنة 1927.

[2]Norman M. Naimark, **Stalin's Genocides** (Princeton, New Jersey: Princeton University Press, 2010), 131-132.

[3]Naimark, **Stalin's Genocides**, 80.

للأيديولوجية الشيوعية المتبعة مما أدى إلى القضاء عليهم بصفة جماعية على الرغم من المعارضة والاحتجاجات حيث تم إعدام الملايين من الكولاك الذين يشكلون خطرا أكبر و ترحيل البقية إلى معسكرات العمل كنوع من العقاب على كونهم " أعداء الشعب"[1].

الشكل رقم 3: خريطة تمثل انتقال السكان فترة الإتحاد السوفياتي بداية من 1930

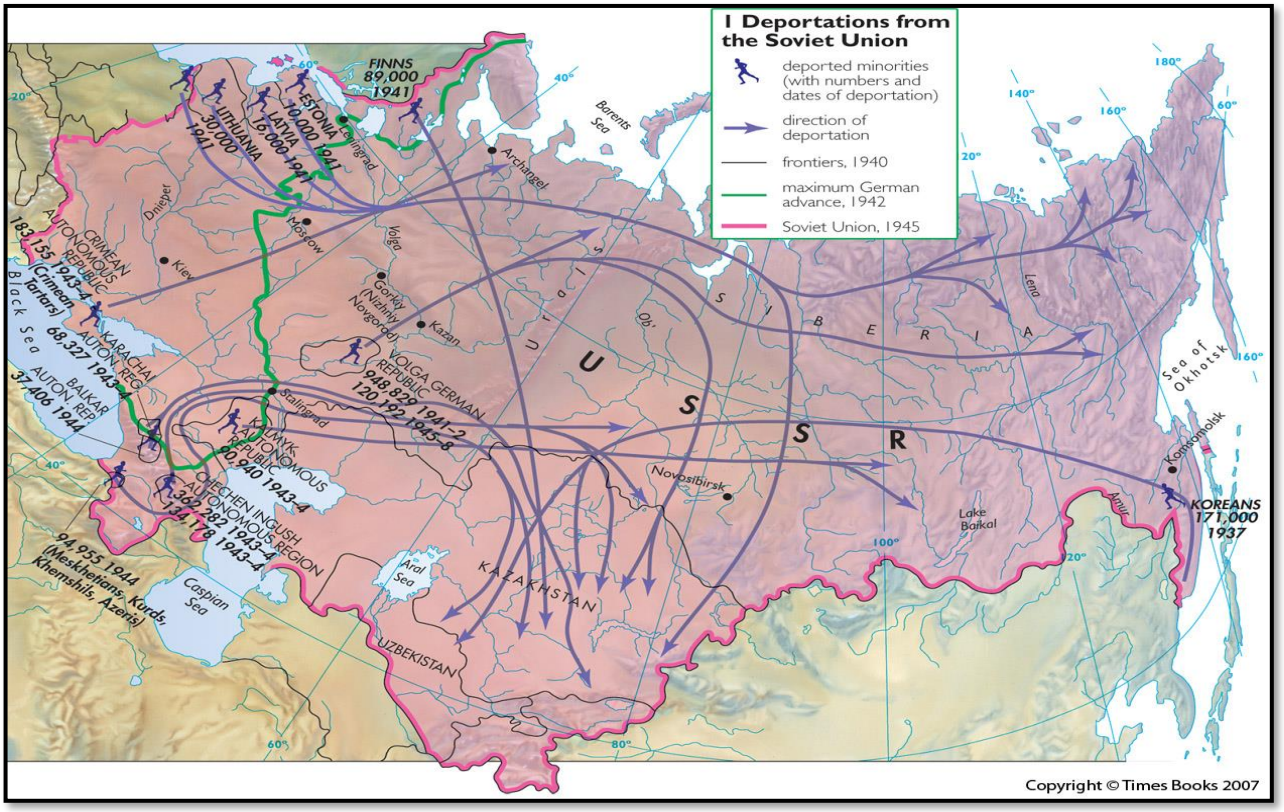

Source : "Deportations from the Soviet Union," Mapping Globalization, n.d., https://commons.princeton.edu/mg/deportations-from-the-soviet-union/.

تُظهر الخريطة تواريخ وعددالهجرات التي حدثت داخل الاتحاد السوفيتي في عهد ستالين، من الثلاثينيات إلى الأربعينيات من القرن الماضي. تستخدم الخريطة ألوانًا ورموزًا مختلفة للدلالة على مصادر أو جنسيات المُرحَّلين، مثل الفنلنديين والإستونيين واللاتفيين واللتوانيين والكوريين والتتار القرميين والبلكار والشيشان والإنغوش والكالماك والألمان الفولغا والمسختيان والأكراد والخمشيل والأذربيجان. تُظهر الخريطة أيضًا وجهات الترحيل، التي كانت في الغالب إلى سيبيريا وقيرغستان وكازاخستان وأوزبكستان. توضح الخريطة حجمًا وتنوعًا لسياسات ستالين للتطهير العرقي، التي أثَّرت على ملايين من غير الروس في المناطق الحدودية الضعيفة أو المناطق ذات الحكم الذاتي.

[1]Naimark, **Stalin's Genocides**, 57.

مكانة اللغة الروسية خلال فترة الإتحاد السوفياتي

خلال الاتحاد السوفيتي، كانت اللغة الروسية هي اللغة الرسمية والمهيمنة، وكان يتم التحدث بها على نطاق واسع في جميع أنحاء الاتحاد السوفيتي. ومع ذلك، كان هناك أيضا العديد من اللغات الأخرى التي يتم التحدث بها في مناطق مختلفة داخل الاتحاد السوفيتي، حيث كانت دولة متعددة الأعراق.

أدركت الحكومة السوفيتية أهمية حماية وتعزيز العديد من اللغات والثقافات المختلفة لمجموعاتها العرقية المختلفة. ونتيجة لذلك، تم إنتاج المدارس ووسائل الإعلام والوثائق الرسمية باللغات المحلية لمختلف المناطق للحفاظ على التنوع اللغوي والثقافي. ومع ذلك، كانت اللغة الروسية لا تزال اللغة الأساسية للحكومة والجيش والاقتصاد، وتم تدريسها كلغة ثانية في معظم المدارس في جميع أنحاء الاتحاد السوفيتي

لا يزال يتحدث الروسية في كل من بيلاروسيا وكازاخستان وأوكرانيا، فكانت كازاخستان واحدة من أبرز الجمهوريات السوفيتية التي تتحدث الروسية بسبب تاريخها وجغرافيتها. كانت البلاد جزءا من الاتحاد السوفيتي لأكثر من 70 عاما، تم خلالها تأسيس اللغة الروسية كلغة مشتركة للاتحاد السوفيتي، وكان للثقافة الروسية تأثير كبير على الشعب الكازاخستاني. بالإضافة إلى ذلك، تقع كازاخستان في قلب آسيا الوسطى، والتي كانت تاريخيا مفترق طرق للثقافات واللغات. ونتيجة لذلك، أصبحت اللغة الروسية هي اللغة السائدة في كازاخستان، واليوم، لا يزال يتم التحدث بها على نطاق واسع في البلاد، على الرغم من الجهود المبذولة لتعزيز استخدام اللغة الكازاخستانية.

اعتبر الروس خلال الفترة السوفيتية كـ " أقلية إمبراطورية " Imperial minority و هذا المصطلح يشير كما ذكره الكاتب من خلال مجموعة من المؤشرات التي كان تحملها الأقليات الروسية في الجمهوريات السوفييتية منها : إرث الإمبراطورية الروسية التي ضمت معظم الأراضي السوفيتية سواء طوعا أو إكراها ، نقل الروس الى المناطق الشرقية للإتحاد السوفياتي خاصة في المناطق النائية للصناعة و تعويض السكان الأصليين في الأراضي الزراعية كجزء من سياسة الإتحاد خاصة سنة 1937-1944 و الوعي السائد لدى دول الاتحاد السوفياتي على أن الروس هم ممثلوا الإمبراطورية.

و لهذا لم يعتبر الروس الذين كانوا يشكلون أقلية عددية في جمهوريات الاتحاد السوفيتي ويختلفون عن غالبية السكان في لغتهم وثقافتهم نموذجا عاديا لتعريف الأقليات وفقا لشرائع القانون الدولي ومعايير تصنيف الأقليات حيث كانوا على العكس يتمتعون بسلطة سياسية و كانوا قادرين على التكاثر بكميات كبيرة و حافظوا على وعي السيطرة لديهم و أهمية لغتهم حتى و إن كانوا خارج بلدهم الأم، كما أن الإمتيازات الممنوحة للناطقين باللغة الروسية حتى وإن اختلف عرقهم

ساعدت على نشر اللغة الروسية على أوسع نطاق حتى و إن كان على حساب اللغة المحلية و بالتالي هيمنة الثقافة الروسية على المستوى الاجتماعي و السياسي.

يمكننا الاتفاق أن تحديد مصطلح "الروس" في هذه الحالة يشمل جميع الناطقين باللغة الروسية في الجمهوريات، بغض النظر عن الجنسية المذكورة في وثائقهم - الروسيون والأوكرانيون والبيلاروسيون واليهود وما إلى ذلك. كان لدى الجميع كل الفرص ليس فقط للعيش والعمل في جمهوريات الاتحاد السوفياتي السابقة، ولكن أيضًا للارتقاء في الوضع الاجتماعي دون معرفة لغتهم الأمّ. في الوقت نفسه، كان السكان من الجنسيات الأخرى محرومين من تلك الفرص، ليس فقط خارج جمهورياتهم الخاصة وإنما أيضًا داخلها. يجدر الإشارة إلى أن الإتحاد السوفياتي لم تمنح المزايا فقط لأولئك الذين يتحدثون الروسية، بل ألزمت جميع الشعوب بمعرفة هذه اللغة الرسمية والفعلية دون إلزام الروس في الجمهوريات بإتقان لغة الشعب الذي يعيشون وسطه[1].

الشكل رقم 4: جدول نسبة الروس في الجمهوريات السوفياتية السابقة وعلاقتهم بلغاتهم المحلية

Republic	Russian population in republic	Consider language of titular nationality their mother tongue	Fluent in titular national language	Are bilingual
Ukraine	22.1	1.6	32.8	77.2
Belarus	13.2	2.3	24.5	7.1
Uzbekistan	8.4	0.1	4.5	1.5
Kazakhstan	37.8	0.0	0.9	1.1
Georgia	6.3	1.3	22.5	1.6
Azerbaijan	5.6	0.2	14.3	1.1
Lithuania	9.4	4.4	33.4	2.6
Moldova	13.0	0.9	11.2	1.3
Latvia	34.0	1.2	21.1	4.0
Kyrgyzstan	21.5	0.1	1.2	0.2
Tajikistan	7.6	0.1	3.5	0.3
Armenia	1.6	1.6	32.2	0.4
Turkmenistan	9.5	0.1	2.5	0.2
Estonia	30.3	1.4	13.7	1.4

Source: The new Russian diaspora Russian minorities in the former soviet republics, Vladimir shlapentokh p 52-53.

[1]Emil Payin, "The Disintegration of the Empire and the Fate of the 'Imperial Minority'," in **The New Russian Diaspora: Russian Minorities in the Former Soviet Republics**, ed. Vladimir Shlapentokh, Munir Sendich, and Emil Payin (New York: Routledge, 2015), 52.

يوضح الجدول أعلاه نسبة الروس في الجمهوريات السوفييتية و نسبة اعترافهم باللغات المحلية للجمهوريات على أنها لغتهم الأم و تحكمهم بها إضافة إلى نسبة المتقنين للغة الروسية و المحلية معا ، نرى من خلال الجدول أن نسبة الروس مرتفعة بشكل خاص في كل من كازاخستان (37.8%) و التي تمثل أعلى نسبة و أوكرانيا و لاتفيا و إستونيا ، تليهم كل من قيرغيستان و بيلاروسيا و مولدوفا أما أدنى نسبة فهي في أرمينيا و التي تقدر ب(1.6%)، أما بالنسبة للروس الذين يعترفون باللغة المحلية لغتهم الأم فلا تكاد نسبتهم تتجاوز 4.4% في ليتوانيا و حتى أنها منعدمة في كازاخستان و شبه منعدمة في جمهوريات كأوزباكستان وقيرغستان وتاجكستان تركمنستان بنسبة لا تتجاوز 0.1% و هذا يعكس مدى تثبت الروس خارج بلدهم الأم بثقافتهم و لغتهم و هويتهم و رفض الاندماج الكامل في الجمهوريات السوفياتية، كما أن نسبة تحكمهم باللغة المحلية ضعيف إلى حد ما فتقدر ب 33.4% في ليتوانيا كأقصى تقدير و 0.9% في كازاخستان كأدنى تقدير، هاتان الدولتان تعكسان بشكل واضح آثار سياسات الإتحاد السوفياتي في الجمهوريات بشكل متفاوت، فنجد كازاخستان أكثر الجمهوريات تضمنا للروس و استعمالا للغة الروسية عكس ليتوانيا التي رغم وجود نسبة ضئيلة من الروس فيها و مع ذلك متحكمين و مندمجين أكثر مع الثقافة المحلية، ما نميزه من الجدول كذلك نسبة المتقنيين لكلا اللغتين الروسية و اللغة المحلية و التي تصل إلى أعلى قيمة في أوكرانيا بنسبة 77.2 % و أدنى قيمة ب 0.2% في كل من قيرغستان و تركمنستان. تدعم هذه الإحصائيات فكرة تمسك الروس بلغتهم إلى حد كبير وثقافتهم كأقلية مميزة، بل كما سبق وسميناها كأقلية إمبراطورية ذات وزن سياسي وثقافي داخل جمهوريات الإتحاد السوفياتي.

الفصل الثاني:

مظاهر توظيف الأقليات الروسوفونية في السياسة الخارجية الروسية

تمهيد:

تنشأ وتنتشر الأقليات بطرق مختلفة، فكما بإمكانها أن تنبع من هجرة طوعية للبحث عن الموارد الطبيعية، أو الأراضي او البحث عن طرق عيش كريمة، فيمكن لها أيضا أن تتشكل عن طريق قوة الإكراه لخدمة مصالح معينة، فالتركيبة المجتمعية بدورها في حركية دائمة خاصة، إن كانت في بيئة ملائمة لهذه العملية، والبعض منها يطرح أكثر من سواه في الوقت الحاضر مسائل سياسية تتعلق بإدارة الإقليم تبعا لتوزعها، ومسائل تتعلق بالقانون العام تبعا لثقلها النوعي، ومسائل استراتيجية تبعا للأخذ بعين الاعتبار تأثيرها على البنى الداخلية واستقرار الدول، وليس هناك قارة تخلو منها"[1].

بعد انهيار الاتحاد السوفيتي، وتغير خريطة العالم الحدودية، تعرض المجتمع الروسوفوني لتغييرات كبيرة، فاتسع وجوده بشكل أكبر من حيث الثقافة والدين والجنسية. وأصبح يشكل أقلية تشير إلى الأشخاص الذين يتحدثون اللغة الروسية. فقد تعممت هذه اللغة بشكل أكبر خلال فترة الاتحاد السوفياتي، وأصبحت لغة رسمية في الجمهوريات التابعة له، وبعد سقوطه، وجد الكثير من الروس أنفسهم يعيشون خارج بلدانهم الأصلية مثلما حدث في دول البلطيق، وأوكرانيا وبيلاروسيا، كما تفاجأ الكثيرون الذين يتحدثون الأوكرانية والبيلاروسية بوجودهم في مناطق أخرى غير موطنهم، وأصبح المجتمع الروسوفوني كغيره من الأقليات سواء اللغوية أو العرقية أو الدينية، عرضة لمختلف الرهانات السياسية.

ذكر الرئيس الروسي فلاديمير بوتين في العديد من الخطابات الأقليات الروسوفونية كمواطني روسيا الروحيين، والذين ينتمون إليها ولهم أحقية الحماية باعتبارها وطنهم الأم، فقد أكد على أهمية الحفاظ على الروابط مع المجتمعات الناطقة بالروسية خارج حدود روسيا الرسمية. كما تحدث عن الحاجة إلى تقديم الدعم والمساعدة للمواطنين الذين يرغبون في العودة إلى روسيا، وأسس في سبيل تحقيق أهدافه مؤسسة روسكي مير التي تعكس رغبته في تعزيز مصالح روسيا وشعبها في الداخل والخارج، وقد جاءت بطابع ثقافي هوياتي، إلا أن القوة العسكرية الروسية قد أخذت الحصة الكبرى في كل من جورجيا وأوكرانيا. سنحاول من خلال هذا الفصل إبراز مظاهر توظيف الأقليات الروسوفونية في الأزمات الحدودية التي جرت بين روسيا ودول الجوار، ومعرفة إن كانت مؤسسة روسكي مير قد شكلت حقا ضمن مشروع العالم الروسي قوة ناعمة لروسيا لخدمة مصالحها.

[1] جورج بيير، جيوبوليتيكا الأقليات، ترجمة عاطف علبي، بيروت، دار العلم للملايين، 1999، 8.

المبحث الأول: وضع الأقليات الروسوفونية بعد الحرب الباردة وظهور العالم الروسي

لقد برز مفهوم العالم الروسي أو روسكي مير باللغة الروسية في الخطاب الجيوسياسي لروسيا بعد نهاية الاتحاد السوفيتي، على الرغم من أن له جذور تاريخية طويلة، إلا أن مناقشة المصطلح على المستوى الأكاديمي واستخدامه العملي كان خلال رئاسة بوتين. ما يحمله المصطلح من دلالات لغوية وثقافية وحتى جيوسياسية جعلته محل جدل وغالبا ما ارتبط استعماله بدائرة صناعة القرار الخارجية لروسيا وفي خطابات السياسية الخارجية الروسية. اختلفت استجابة العديد من الدول التي كانت تابعة للمنظومة السوفييتية وحتى القيصرية سابقا للعالم الروسي، وهذا راجع إلى طبيعة العلاقات التي كانت تربطها تاريخيا مع روسيا، خاصة فيما تعلق بالجوانب الثقافية والعرقية، فكما استجابت لها بعض الدول إيجابا رآها البعض تحديا لسيادة الدولة كما هو الحال في أوكرانيا.

المطلب الأول: توزيع الأقليات الروسوفونية ما بعد الحرب الباردة

بعد تفكك الاتحاد السوفياتي، 25 مليون روسي وجدوا أنفسهم يعيشون خارج الحدود الجديدة لروسيا الإتحادية مما جعل تعامل الحكومة الروسية مع هؤلاء المواطنين موضوع نقاش داخلي في روسيا وأثار جدلا في الأوساط العلمية[1]، اتجهت الدول السوفياتية السابقة إلى الديمقراطية والاقتصاد الحر. تحولت أوكرانيا وبيلاروسيا وكازاخستان إلى دول مستقلة. في حين انضمت جورجيا وأرمينيا وأذربيجان إلى مجموعة الدول المستقلة، واستمرت روسيا في اللجوء إلى نمط سياسي يحكمه الرئيس ويدعم الاقتصاد الحكومي. كان التحول السياسي والاقتصادي بطيئا ومعقدا، مما أدى إلى اضطرابات اجتماعية وسياسية واقتصادية.

كان الانتقال من جمهوريات سوفياتية إلى دول مستقلة صعبا من ناحية التأقلم مع اللغة المحلية لبناء السياسة والاقتصاد، وكان ذلك لثلاثة أسباب، أولها أن السكان الناطقون باللغة الروسية استيقظوا في يوم من الأيام على واقع سياسي ولغوي ليس من صنعهم ووجدوا أنفسهم مهاجرين دون رغبتهم، وفي بعض الأحيان غير مرحب بهم فيما كانوا يعتبرونه بلدهم الأم. ولم تعد لغتهم التي كانت تستخدم في جميع أنحاء البلاد كافية لضمان فرص العمل والتعليم، ففي لاتفيا وإستونيا مثلا وجد الروس أنفسهم بلا جنسية ويواجهون خطر الترحيل. وقد أدى وجود هذه الفئة الناطقة بالروسية إلى تعقيد جهود بناء الدولة. أما السبب الثاني هو المستويات العالية من الأقليات

[1]Pieper, Moritz A. "Russkiy mir: The geopolitics of Russian compatriots abroad." **Geopolitics** 23, no. 3 (2018), 1, 2.

الروسوفونية في بيلاروسيا وكازاخستان وقرغيزستان وأوكرانيا خصوصا أولئك الذين يعيشون في المراكز الحضرية كالإطارات الرسمية التي كانت في كثير من الأحيان تملك مستويات ضعيفة في اللغة المحلية. العامل الثالث والأخير هو التعدد العرقي واللغوي للسكان، خاصة في التواصل بين العرقيات الصغيرة وسلطات الدولة، ففي جورجيا مثلا، كان استعمال اللغة الروسية في التواصل الشفوي والكتابي بين المجتمعات المحلية وسلطات الدولة أفضل من اللغة الجورجية، لأن السلطات الجورجية أكثر احتمالا لفهم الوثائق باللغة الروسية، أما في كازاخستان وقرغيزستان، لم تكن اللغات الرسمية متطورة بشكل كافٍ للقيام بجميع المهام الرسمية"[1].

[1]Aneta Pavlenko, "Multilingualism in Post-Soviet Countries: Language Revival, Language Removal, and Sociolinguistic Theory," **International Journal of Bilingual Education and Bilingualism** 11, no. 3-4 (July 2008): 283-285.

الشكل رقم 5: جدول يوضح أعداد ونسب الشعوب الأصلية والروس العرقيين والمتحدثين باللغة الروسية كلغة أم في جمهوريات الاتحاد السوفيتي في عام 1989 وفي الدول ما بعد السوفيتية في عام 1999-2004.

	1989	*1989*	*1989*	*1999–2004*	*1999–2004*	*1999–2004*
	Titulars	*Russians*	*L1 Russian speakers*	*Titulars*	*Russians*	*L1 Russian speakers*
Armenia	3,083,616	51,555	67,519	3,145,354	14,660	29,563
	93.3%	1.6%	2.0%	97.9%	0.5%	0.9%
Azerbaijan	5,804,980	392,304	529,723	7,205,500	141,700	N/A
	82.7%	5.6%	7.5%	90.6%	1.8%	
Belarus	7,904,623	1,342,099	3,274,235	8,159,073	1,141,731	
	77.9%	13.2%	32.3%	81.2%	11.4%	62.8%
Estonia	963,281	474,834	551,551	930,219	351,178	406,755
	61.5%	30.3%	35.2%	67.9%	25.6%	29.7%
Georgia	3,787,393	341,172	483,733	3,661,173	67,671	N/A
	70.1%	6.3%	9.0%	83.8%	1.5%	
Kazakhstan	6,534,616	6,227,549	7,800,575	7,985,039	4,479,618	N/A
	39.7%	37.8%	47.4%	53.4%	30.0%	
Kyrgyzstan	2,229,663	916,558	1,091,334	3,128,147	603,201	N/A
	52.4%	21.5%	25.6%	64.9%	12.5%	
Latvia	1,387,757	905,515	1,133,298	1,370,700	703,200	N/A
	52.0%	34.0%	42.5%	57.7%	29.6%	
Lithuania	2,924,251	344,455	444,390	2,907,300	219,800	277,318
	79.6%	9.4%	12.1%	83.5%	6.3%	8.0%
Moldova	2,794,749	562,069	1,008,486			
	64.5%	13.0%	23.3%	75.8%	5.9%	16.0%
Tajikistan	3,172,420	388,481	495,616	4,898,400	68,200	N/A
	62.3%	7.6%	9.7%	79.9%	1.1%	
Turkmenistan	2,536,606	333,892	421,332	N/A	N/A	N/A
	72.0%	9.5%	12.0%			
Ukraine	37,419,053	11,355,582	17,081,347	37,541,700	8,334,100	
	72.7%	22.1%	33.2%	77.8%	17.3%	29.6%
Uzbekistan	14,142,475	1,653,478	2,153,599	N/A	N/A	N/A
	71.4%	8.3%	10.9%			

Source: Aneta Pavlenko, "Multilingualism in Post-Soviet Countries: Language Revival, Language Removal, and Sociolinguistic Theory," International Journal of Bilingual Education and Bilingualism 11, no. 3-4 (July 2008): 284.

يوضح الجدول أعلاه عدد ونسبة الأقليات الروسوفونية في الجمهوريات السوفياتية قبل وبعد سقوط الإتحاد السوفياتي، حيث تصل أعلى نسبة للروسوفون من 1999 إلى 2004 في بيلاروسيا إلى 62.8%، بينما تصل إلى 29.7% في استونيا بمقابل 8% فقط في ليتوانيا وهذا ما يفسر فرق سياسات اللغة التي طبقت في دول البلطيق ونتائجها، أما في أوكرانيا فتصل نسبة الروسوفون إلى 29.6% وفي مولدوفا إلى 16%. نلاحظ من خلال الجدول أن نسبة هذه الأقليات قد نقصت مما كانت عليه قبل سقوط الاتحاد السوفياتي في أغلبية الدول وذلك راجع لعدة عوامل منها الهجرة والسياسات التي اتبعت في الدول المستقلة المعنية بهذه الأقليات وكذا طبيعة علاقاتها مع روسيا والغرب، و هذا ما يفسر تزايد نسبة الروسوفون في بيلاروسيا من 32.3% في 1989، حيث كانت مركز استقطاب للرسوفون بسبب سياساتها الموالية لروسيا آنذاك.

وسنتطرق كالتالي إلى أوضاع هذه الأقليات في دول الجوار الروسي والسياسات التي طبقت تجاههم:

1- الأقليات الروسوفونية في دول آسيا الوسطى

تشمل دول آسيا الوسطى الدول المسلمة التي كانت تابعة للاتحاد السوفياتي، كل من أذربيجان وأوزبكستان وكازاخستان، وقرغيزستان، وتركمانستان، وطاجيكستان. كانت اللغة الروسية هي اللغة السائدة والرسمية للحكومة مع وجود لغاتها الخاصة التي تم قمعها خلال الحكم السوفيتي. بذلت هذه الدول بعد الاستقلال الجهود لإعادة تأسيس لغاتهم الوطنية كلغة أساسية في الإدارة والتعليم، وتعزيز استخدامها في جميع جوانب الحياة.

ففي عامي 1989 و1990، أعلنت هذه الخمس دول لغاتهم الخاصة كلغاتهم الرسمية الوحيدة، وجعلوا الروسية هي لغة الاتصال بين الأعراق. وفي عام 1991، بدأت الأنظمة الجديدة تنفيذ هذه القوانين الخاصة بها. قامت أوزبكستان بتخفيض مرتبة الروسية إلى مرتبة اللغات الأقلية الأخرى عام 1995، وحولت أوزبكستان وتركمانستان لغتها من الأبجدية السيريلية إلى الأبجدية اللاتينية، وتم تقليل أعداد المدارس الثانوية التي تدرس اللغة الروسية، وتقليل استعمال الروسية في التعليم العالي إلى حد إغلاق كل المدارس الروسية كما حدث في تركمانستان، كما تقلصت وسائل الإعلام الروسية. نتيجة لذلك، انخفضت الكفاءة في هذه اللغة خاصة في الأجيال الأصغر سنا[1]. لكن رغم كل هذه التغييرات بقيت اللغة الروسية تستخدم على نطاق واسع في العديد منها. هذا الاختلال أدى إلى حدوث توتر في الطبقة الحاكمة بين تعزيز اللغة الوطنية والهوية التابعة لها أو الاستمرار في استخدام اللغة الروسية، مع الأخذ بعين الإعتبار الأقليات الروسوفونية الموجودة داخلها خاصة في

[1]Pavlenko, **"Multilingualism in Post-Soviet Countries,"** 296.

أوزبكستان وكازاخستان، والتي كان سببها الهجرات الكثيرة للروس في فترة ستالين، ورغم الجهود الوطنية، لم تتمكن دول آسيا الوسطى من التخلي كليا عن قيود الإرث التاريخي في ظل وجود الإعتبارات الجيوسياسية والمصالح الاقتصادية لروسيا في هذه المناطق. فنجد مثلا إعادة ترقية كازاخستان عام 1995 ومن ثم قرغيزستان عام 2000 اللغة الروسية إلى لغة رسمية في البلد.

بالإضافة إلى العوامل الديموغرافية والاجتماعية ، تأثرت التحولات اللغوية في آسيا الوسطى أيضا بالتحالفات الاقتصادية والسياسية، حيث حافظت حكومتا كازاخستان وقيرغيزستان على علاقات سياسية واقتصادية وثيقة مع روسيا، بينما توجهت حكومات أوزبكستان وتركمانستان وطاجيكستان، التي تتمتع بعدد كبير من المسلمين في البداية نحو الدول الإسلامية مثل تركيا وإيران، و بعد أحداث 11 سبتمبر 2001 في الولايات المتحدة الأمريكية، جذبت منطقة آسيا الوسطى اهتمام الغرب وخاصة الولايات المتحدة مما أجبر هذه الدول على صياغة سياسات خارجية تتوازن في علاقاتها مع روسيا والولايات المتحدة الأمريكية. وردت روسيا على هذا التطور من خلال تعزيز التعاون الاقتصادي والعلمي والثقافي مع أوزبكستان وطاجيكستان، ولا سيما في قطاع الطاقة[1].

2- الأقيات الروسوفونية في دول شرق أوروبا

واجه العديد من الروسوفون في دول شرق أوروبا كباقي الدول المستقلة عن الإتحاد السوفياتي تغييرات في وضعهم السياسي والاجتماعي، مثل أوكرانيا وبيلاروسيا ودول البلطيق، أصبح الناطقون باللغة الروسية أقليات واجهوا تحديات جديدة في استخدام اللغة والهوية الثقافية وفي المشاركة السياسية. بعضهم تم تهميشهم وتمييزهم بسبب سياسات الدول الجديدة، بينما حافظ الآخرون على مكانتهم وساهموا في التنوع الثقافي بسبب العلاقات الوثيقة التي تربط دولهم بروسيا.

فبين عامي 1988 و1990، أعلنت كل من بيلاروسيا وإستونيا ولاتفيا وليتوانيا ومولدوفا وأوكرانيا لغاتها الرسمية بأنها اللغات الرئيسية والوحيدة، وبدأوا في تنفيذ القوانين اللازمة بعد تحقيق الاستقلال. لم تحدث أي تغييرات كبيرة منذ ذلك الحين باستثناء اعتماد بيلاروسيا اللغة الروسية كلغة رسمية ثانية في عام 1995. وبحلول عام 2007، تمكنت إستونيا ولاتفيا وليتوانيا ومولدوفا وأوكرانيا من رفع مستوى استخدام اللغات الرئيسية ونشرها في جميع مجالات الحياة العامة. كما أتخذوا خطوات مهمة نحو تخليص الفضاء العام من اللغة الروسية مما أدى إلى انخفاض الكفاءة في اللغة الروسية بين السكان الأصليين، وتعد بيلاروسيا الأقل نجاحا في تحول سياسات اللغة إلى اللغة المحلية بينما ليتوانيا الأكثر نجاحا فيها[2].

[1]Pavlenko, **"Multilingualism in Post-Soviet Countries,"** 299.
[2]Pavlenko, **"Multilingualism in Post-Soviet Countries,"** 285.

أدى اعتماد الروسية كلغة رسمية ثانية في بيلاروسيا إلى إعاقة إحياء اللغة البيلاروسية بشكل فعال. حيث أصبحت تلعب دورا رمزيا في الوثائق والمستندات الرسمية والأماكن العامة فقط، فالتعليم الثانوي في بيلاروسيا باللغتين البيلاروسية والروسية ويحضر أغلبية الأطفال مدارس التعليم الوسيطة باللغة الروسية، كما يفضل السكان الأدب والتلفزيون ووسائل الإعلام باللغة الروسية. مما يجعل هذه الأوضاع اللغوية في بيلاروسيا ملجأ للمهاجرين الروسوفون من باقي دول الاتحاد السوفيتي سابقا. تمكنت أوكرانيا على عكس بيلاروسيا من جعل اللغة الأوكرانية اللغة الرئيسية في الحكومة والحياة السياسية والعامة لكن كانت اللغة الروسية متحكمة في شرق أوكرانيا ولم يقتصر استخدامها على الكبار فقط وإنما حتى الشباب والأطفال. قدم التعليم الثانوي في أوكرانيا باللغة الأكرانية بنسبة أكبر، وتم القضاء على المدارس الناطقة بالروسية في العاصمة كييف دون الأخذ بعين الإعتبار الأقليات الروسوفونية التي تتواجد فيها، أما التعليم العالي يتم تقديمه باللغة الأوكرانية وفي بعض المناطق، مثل شبه جزيرة القرم باللغة الروسية. كما يعمل المجال الإعلامي الرئيسي باللغتين الأوكرانية والروسية[1].

هناك مجموعة من العوامل ساعدت على نجاح اللغة الأوكرانية على حساب اللغة الروسية بعد تفكك الاتحاد السوفياتي، فقد عملت أوكرانيا على إعادة الاعتبار للهوية الأوكرانية مدعمة من قبل الحكومة و المؤسسات الإعلامية وكذا مساهمة التعليم و الأدب في تعزيز هذه الهوية، و عملت أوكرانيا على قطع العلاقات الثقافية و اللغوية مع روسيا و طورت من لغتها عن طريق إصدار قواميس و معاجم باللغة الأكرانية و برامج تدريس جديدة إلى جانب مساهمة الشعراء و الكتاب و الفنانين و المترجمين في نشر مؤلفاتهم باللغة الأوكرانية لدعم اللغة و توسيع نطاق استعمالها و بالتالي بلورة الثقافة الأوكرانية.

نجحت مولدوفا من جهتها في تحويل لغتها إلى الأبجدية اللاتينية، ولكن تم تثبيط تحول سياساتها اللغوية بسبب انفصال جمهورية ترانسنيستريا في 1990 عن مولدوفا بعد أن أعلن البرلمان المحلي استقلال المنطقة، وقد تلت ذلك حرب أهلية بين القوات الروسية المنتشرة في ترانسنيستريا والجيش المولدوفي الذي كان يريد استعادة السيطرة على المنطقة. تحظى هذه المنطقة بالدعم من روسيا واعتراف بعض الدول غير المعترف بها كقرة باغ وأبخازيا و أوسيتيا الجنوبية. ترتب عن هذا النزاع الهجرة الكبيرة للمتحدثين بالروسية من مولدوفا، لكن رغم هجرة الروسوفون والسياسات اللغوية المبذولة إلا أن استعمال اللغة الروسية بقي حاضرا على نطاق واسع في شوارع المدن المولدوفية، ويتم استخدام لافتات ثنائية اللغة في الأوساط الحضرية، وتظل مستويات الكفاءة في

[1]Pavlenko, **"Multilingualism in Post-Soviet Countries,"** 285, 286.

اللغة الروسية بين أغلبية المجتمع عالية بسبب التواجد الكبير للروس والأوكرانيين والعلاقات الاقتصادية والسياسية التي تربطها مع روسيا.[1]

فيما يخص دول البلطيق فقد عرفت نسبة نجاح كبيرة عن باقي الجمهوريات التابعة للاتحاد السوفياتي سابقا، وذلك لعدم اندماج مجتمعات هذه الدول مع المنظومة والثقافة الروسية منذ الإمبراطورية القيصرية. في إستونيا قدم التعليم الثانوي باللغة الإستونية بنسبة 82.3%، كما أنها كانت إلزامية في مدارس لغات الأقليات والتعليم العالي ووسائل الإعلام بالدرجة الأولى. أما في لاتفيا، فالإصلاح التعليمي عام 2004 وفر التعليم المزدوج لناطقي اللغة الروسية حيث تدرَّس حتى 60% من المواد باللاتفية، كما عملت قوانين إسناد الجنسية على تصعيب الأوضاع على الروسوفون، فقد منعت كلا الدولتين منح الجنسية للأحفاد الذين استقر أجدادهم بعد الدخول في الإتحاد السوفياتي، كما كان عليهم إجتياز اختبارات الجنسية واختبار اللغة المحلية مما صعب فرص عمل هذه الأقليات وظروف حياتهم الاجتماعية. أما ليتوانيا التي تعتبر الأكثر نجاحا بين هذه الدول في تطبيق التحول نحو اللغة الأم. فقد قدمت التعليم الثانوي باللغة الليتوانية، ونسبة الطلاب الذين يحضرون المدارس باللغة الروسية كانت تنخفض بشكل مستمر مقابل زيادة استعمال اللغة الإنجليزية كلغة أجنبية أولى والروسية في المرتبة الثانية.[2]

يجدر الإشارة إلى أن اختلاف نجاح سياسات اللغة و التحول نحو اللغة الأم و الهوية الوطنية كان مقيدا بعوامل تاريخية، ثقافية، اقتصادية و كذا تفاعل هذه الدول مع المنظومة الغربية و الوجود الروسي فيها، فدول البلطيق الثلاثة تمتعت بين عامي 1920 و 1940 تحت الإدارة السوفييتية بحرية استخدام لغاتهم المحلية في جميع الميادين مما أنتج مستويات عالية من الوعي و الولاء لهوياتهم و لغاتهم الأصلية، كما كانت مواقفهم كلها تتسم بالعداء نحو روسيا والتوجه السياسي الغربي الذي عزز انضمامها إلى الإتحاد الأوروبي في 2004 و إلى الحلف الأطلسي لخدمة أجندات غربية ضد التواجد الروسي في المنطقة.

أما بالنسبة لبيلاروسيا و أوكرانيا و بالرغم من النسب الكبيرة للأقليات الروسوفونية بعد تفكك الإتحاد السوفياتي على أراضيها، ينسب بعض الباحثين تفاوت السياسات اللغوية الكبير بين الدولتين إلى الأوضاع اللغوية لبيلاروسيا عندما كانت جزءا من الدوقية الكبرى لليتوانيا والكومنولث البولندية الليتوانية والإمبراطورية الروسية وبولندا، فمع نهاية القرن التاسع عشر، كانت المدن في هذه المنطقة تضم ناطقين باليديشية والبولندية والروسية، بينما كان 98% من البيلاروسيين الأصليين فلاحين يعيشون في الأرياف ولهذا لم تتمتع النهضة الوطنية البيلاروسية بقاعدة حضرية ولم تصل إلى نفس مستوى النهضة الأوكرانية. ونتيجة لذلك، اعتبر إنشاء جمهورية بيلاروسيا من

[1]Pavlenko, **"Multilingualism in Post-Soviet Countries,"** 286, 287.
[2]Pavlenko, **"Multilingualism in Post-Soviet Countries,"** 287, 288.

قبل السوفييت في عام 1919 ومضاعفة حجمها في عامي 1924-1926 أداة لخلق كيان زائف روسوفوني بدرجة كبيرة ذو ولاء تام لروسيا[1] .

3- الأقليات الروسوفونية في القوقاز

لقد تم إعلان لغات أرمينيا وأذربيجان وجورجيا الوطنية رسميا تحت النظام السوفياتي. عام 2007، نجحت الدول الثلاث في توسيع استخدام لغاتها المحلية في جميع المجالات العامة وقامت أذربيجان بالانتقال من الأبجدية السيريلية إلى الأبجدية اللاتينية مع تراجع استخدام اللغة الروسية، وكانت أرمينيا أكثر قدرة على تطبيق سياسة اللغة وجورجيا أقل واحدة.

عملت أرمينيا على الحماية القانونية لمتحدثي لغات الأقليات بضمان التعليم بلغاتهم الأم تحت رعاية الدولة، مع دراسة إجبارية للغة الأرمينية، إضافة إلى الحصول على بث تلفزيوني وإذاعي بهذه اللغات، وحرية استخدام لغاتهم في الأنشطة الدينية والاقتصادية والاجتماعية. واتخذت الحكومة الأرمينية في عام 2001 وثيقة بخصوص اللغة الروسية في النظام التعليمي والحياة الثقافية والاجتماعية في جمهورية أرمينيا[2]، كانت هناك بقاء بارز للغة الروسية كجزء من مجموعة اللغات للأرمن، مما مكن أرمينيا من الحفاظ على علاقاتها مع روسيا واستغلال الدعم العسكري والسياسي لها خاصة بسبب العداء التاريخي بينها وبين تركيا[3] والذي كان أحد أهم الأسباب لتقارب الدولتين إلى جانب الروابط الدينية والثقافية.

أذربيجان واحدة من الدول السوفييتة السابقة التي لم تقلل عدد مدارس اللغة الروسية بعد الإستقلال، ورغم إتاحتها المجال للغات الأقليات في التواصل والتعلم بها، إلا أن اللغة المحلية هي التي تلعب الدور الأكبر في جمبع مناحي الحياة السياسية والاجتماعية رغم تذبذب المواقف حول سياسات اللغة من حين لآخر. أما جورجيا فقد استخدمت اللغة الروسية كلغة إلزامية ثانية في المدارس، تم تخفيض عدد المدارس الناطقة بالروسية في البلاد بشكل كبير منذ عام 1991، وحتى عام 2001-2002، كان هناك 63 مدرسة ناطقة بالروسية في جورجيا. سياسة اللغة عرفت مراحل معقدة ويمكن إرجاع السبب إلى تعدد الأعراق في جورجيا وغياب الحافز الاقتصادي والاجتماعي،

[1]Pavlenko, **"Multilingualism in Post-Soviet Countries,"** 290.

[2]Pavlenko, **"Multilingualism in Post-Soviet Countries,"** 293.

[3] العداء بين تركيا و أرمينيا نابع من الإبادة الأرمنية، التي وقعت في فترة الإمبراطورية العثمانية خلال الحرب العالمية الأولى، فأرمينيا تأكد أنها أودت بحياة الملايين من شعبها، بينما تنفي تركيا هذا التوصيف وتعتبرها حربًا أهلية ومجاعة، إضافة إلى الصراع المسلح حول إقليم ناغورنو كاراباخ، المنطقة المتنازع عليها بين أرمينيا وأذربيجان، والتي تساند فيها تركيا حليفتها أذربيجان ضد أرمينيا، التي تسيطر على الإقليم، و كذا المصالح الجغرافية والسياسية والثقافية لتركيا في منطقة القوقاز، والتي تشكل تحديًا للنفوذ الروسي والإيراني في المنطقة، وتثير قلقًا لدى بعض دول الشرق الأوسط والخليج.

كذلك أحداث النزاع بين جورجيا وروسيا حول أبخازيا و أوسيتيا الجنوبية و التقارب الجورجي الغربي الذي أعاق توجه السياسة اللغوية في جورجيا[1].

المطلب الثاني: تطور سياسات الشتات / الدياسبورا الروسية في عهد يلتسن وبوتين قبل 2007

في عام 1992، انتقدت الحكومة الروسية إستونيا ولاتفيا بسبب سياسة الجنسية ضد الروسوفون وذلك بعد أن عبر كثيرون من الشخصيات السياسية الوطنية والشيوعية داخل روسيا عن تهميش السلطة السياسية للروسوفون وعدم اهتمامهم بمصير الروس والناطقين باللغة الروسية في الخارج، ورغم أن الأوضاع الداخلية في روسيا كانت متناقضة حول هذه المسألة، إلا أنها شكلت بداية إدراك روسيا للإمكانات التي يمكن أن توفرها الأقليات الروسوفونية خارج حدودها في صياغة سياساتها الخارجية. وقد أيد وعمل سيرجي كاراجانوف Sergei Karaganov [2]خبير السياسة الخارجية الروسية ومستشار بوريس يلتسين وفلاديمير بوتين بعد الحرب الباردة، بفكرة أن موسكو يجب أن تنظر إلى الروس الذين يعيشون في الخارج كأداة للحصول على نفوذ في تلك المناطق[3].

بدأت الحكومة الروسية تهتم بالأقليات الروسوفونية وقدمت سياساتها نحو "الخارج القريب" the near abroad ضمن أسس إنسانية، تدور حول الاهتمام بحقوق الروس في الثقافة واللغة والاقتصاد والتعليم والحقوق السياسية في الخارج. ووصل هذا الخطاب إلى مستوى جديد شكل الأرضية التي تدعم سياسة روسيا الخارجية نحو الأقليات عندما أعلن وزير الخارجية الروسي أندريه كوزيريف Andrei Kozyrev في سبتمبر 1993 لدى الجمعية العامة للأمم المتحدة أن روسيا تتولى "مسؤوليتها الخاصة" في حماية الناطقين باللغة الروسية، بما في ذلك ترانسنستريا ودول البلطيق. كما طلب كوزيريف من الأمم المتحدة إعطاء روسيا الأسبقية في مهام حفظ السلام في الجمهوريات السوفيتية السابقة في المستقبل. فبينما رفضت دول البلطيق هذا الإجراء وأجبرت الروس على الانسحاب في عام 1994، بقيت القوات الروسية متواجدة في جورجيا وأذربيجان، كما

---

[1]Pavlenko, **"Multilingualism in Post-Soviet Countries,"** 293- 296.

[2] سرجي كاراغانوف عمل كمستشار لكل من الرئيس بوريس يلتسين والرئيس فلاديمير بوتين في روسيا. سيرجي كاراغانوف هو مبتكر مذهب كاراغانوف، الذي ينص على أن موسكو يجب أن تتصرف كمدافعة عن حقوق الإنسان للروس الإثنيين الذين يعيشون في "الخارج القريب" بهدف اكتساب نفوذ سياسي في هذه المناطق، ودعم جهود بوتين لإعادة إحياء الموقف العالمي لروسيا من خلال توسيع منظمة التعاون شنغهاي، وإنشاء الاتحاد الاقتصادي الأوراسي، وتعزيز الشراكة الاستراتيجية لروسيا مع الصين، وهو يؤمن أن اتحاد أوراسيا الاقتصادي (EEU) ومبادرة الصين للحزام والطريق(OBOR) ، سوف يعملان معًا لتعزيز التكامل الاقتصادي في المنطقة. كما انتقد كاراغانوف سياسات الغرب تجاه روسيا، مؤكداً أن توسع الناتو والدعم الغربي للأنظمة المعادية لروسيا في المنطقة السوفيتية السابقة قد أضعفت مصالح الأمن الروسية وساهمت في تدهور العلاقات بين روسيا والغرب.

[3]Pieper, **"Russkiy mir,"** 8.

بدأ الجيش الروسي في الانتشار في ترانسنيستريا وأبخازيا وجورجيا، مما أدى إلى ترسيخ النفوذ الروسي في هذه التقسيمات الإقليمية الجديدة.[1].

تم إدراج مصطلح "المواطن الروسي " Compatriot رسميا في روسيا في القانون الاتحادي "بشأن السياسة الدولية تجاه المواطنين الروس في الخارج" المعتمد في 24 مايو 1999، وأتبعته العديد من التعديلات في عامي 2002 إلى 2003. و قد قامت إدارة بوتين بعقد مؤتمر المواطنين الروس في أكتوبر 2001 للتعامل مع الروس الشتات، و أكد في خطابه خلال المؤتمر محورية هذا الموضوع بعد انهيار الإتحاد السوفياتي ، فقد اعترف من جهة بدعمه الكامل للمواطنين الروس في نضالهم ضد التمييز و كسب حقوقهم المدنية في الدول المجاورة للحفاظ على لغتهم وثقافتهم، و من جهة أخرى أكد على أهمية هؤلاء المواطنين واحتياج روسيا مساعدة أبنائها في الخارج خلال مرحلة التعافي التي تشهدها الدولة و مسارها في البحث عن القوة، و أوضح أن ما يعرف المواطن الروسي خارج الحدود لا يشمل فقط وضعه القانوني بل هي مسألة تقرير الذات[2].

إضافة إلى مختلف الخطابات التي ضمنت مسألة حماية الأقليات الروسوفونية، بدأ الاهتمام بالجانب المؤسساتي من خلال دعم دور الهيئات المختصة بتعلم اللغة الروسية في الخارج بشكل تدريجي. وفي عام 2004، تم إنشاء وكالة لرعاية المواطنين المغتربين كجزء من وزارة الخارجية الروسية، ومن ثم تم إنشاء قسم في الوزارة مكلف بالتعامل والتنسيق مع المواطنين الروس في الخارج بمرسوم رئاسي في نوفمبر 2005. وأصبح وجود جاليات كبيرة في الدول غير الروسية في الفضاء السوفياتي السابق ميزة دائمة لسياسات الجوار الروسية[3].

من بين الإجراءات العملية إلى جانب قسم العلاقات مع الموطنين في الخارج في وزارة الخارجية، بعد عام 2006، تم إنشاء مجالس التنسيق الروسية في الخارج من أجل العمل مع وزارة الخارجية الروسية، و دعمت المؤسسات الحكومية مثل مركز الروس في الخارج الناطقين باللغة الروسية المقيمين في الخارج، وتحول المركز في سبتمبر 2008 إلى وكالة جديدة تسمى "الوكالة الفدرالية لشؤون دول الكومنولث المستقلة والأجانب والتعاون الإنساني الدولي"، و قد تجلى التواصل مع الأقليات الروسوفونية إلى جانب الوزارات من خلال استعمال اللغة الروسية كأداة سياسية موحدة كانت جوهر إنشاء مؤسسة "روسكي مير" Russkiy Mir سنة 2007[4].

[1]Pieper, **"Russkiy mir,"** 9.

[2] John O'Loughlin, Gerard Toal, and Vladimir Kolosov, "Who Identifies with the 'Russian World'? Geopolitical Attitudes in Southeastern Ukraine, Crimea, Abkhazia, South Ossetia, and Transnistria," **Eurasian Geography and Economics** 57, no. 6 (2016): 5-6.

[3]Pieper, **"Russkiy mir,"** 10.

[4]Pieper, **"Russkiy mir,"** 10, 11.

أصبحت مسألة حماية الأقليات الروسوفونية أكثر تعقيدا عندما تم ربطها بالمصلحة الوطنية الروسية، حيث أصبح كل تعد على المواطنين الروس في الخارج يستوجب تحرك صناع القرار الروس بهدف حمايتهم. وقد اعتبر الكرملين سنة 2008 ***"التمييز وقمع الحقوق والحريات والمصالح المشروعة لمواطني الاتحاد الروسي في الدول الأجنبية' كتهديدات رئيسية ليس فقط للمواطنين الروس في الخارج، ولكن أيضًا لمصالح الأمن الروسي وبالتالي، كتبت كريستينا كالاس سنة 2016: 'رفعت استخدامات 'حماية المواطنين الروس' و'حماية المصالح الوطنية' أسئلة حول الدور الذي يمكن أن يلعبه المواطنون المغتربون في خدمة 'مصالح الأمن الوطني' أيضًا"***[1].

المطلب الثالث: منظمة العالم الروسي "روسكي مير"

إستعملت روسيا اللغة من خلال مؤسسة العالم الروسي كوسيلة تميز مجتمعها وثقافتها عن غيرها من الثقافات الغربية، فخصوصية روسيا كدولة ذات إرث حضاري وثقافي وديني مميز عن الغرب مكنها من تعزيز هويتها خاصة في الدول المجاورة وبالتالي سهل عملية توظيف المتغير الثقافي الحضاري و الهوياتي بصفة عامة في السياسة الخارجية الروسية.

1- مفهوم العالم الروسي "روسكي مير" وأصوله التاريخية

يعتبر "العالم الروسي" Russkii mir أحد العديد من المصطلحات التي استخدمت تاريخيا لوصف دولة أو إمبراطورية روسيا كفضاء حضاري متميز، فقد وصفت العديد من المصادر في القرون الوسطى حضارة الروس أو روسيا القيصرية على أنها عالم روسي، أما الجذور التاريخية الحديثة له بدأت من إعلانه الأول في سانت بطرسبرغ في السبعينيات من القرن التاسع عشر. استخدمه بعض المثقفين، بما في ذلك الكاتب الكلاسيكي الروسي الكبير ألكسندر أوستروفسكي Alexander Ostrovskii (1823-1886)، والذي تطرق إليه بمفهوم روحي على أساس مجتمع للمسيحيين الأرثوذكس الذين تجمعهم العقيدة والتقاليد والطقوس المسيحية المشتركة. تميزت صياغته للمفهوم عن مذهب القومية السلافية Panslavism[2] ،وقد ظهر مصطلح العالم الروسي من جديد بعد انهيار الإتحاد السوفياتي الذي جعل روسيا تبحث عن فكرة وطنية تبرز من خلالها تميزها في سياق جيوسياسي محدد[3].

---

[1]Pieper, **"Russkiy mir,"** 10.

[2]القومية السلافية هي حركة تبلورت في أواسط القرن التاسع عشر، وهي أيديولوجية سياسية مهتمة بتطوير وتماسك ووحدة الشعوب المتحدثة باللغات السلافية. مارست الحركة تأثيرها الأكبر في بلاد البلقان، حيث حكمت الإمبراطوريات غير السلافية الشعوب السلافية الجنوبية لقرون.

[3]O'Loughlin, Toal, and Kolosov, **"Who Identifies with the 'Russian World'?"** 3.

ويقال إن نشر "روسكي مير والروسي العابر للحدود" Russkiy Mir and the Transnational Russianلبيتر شيدروفيتسكي Pyotr Shchedrovitskiy عام 2000، قد ساهم في تسييس المصطلح، فوفقا لمفهومه، يتألف "العالم الروسي" من شتات لغوي متنوع ومجتمعات عابرة للحدود التي يمكن للدولة الروسية استخدامها للحصول على موارد مالية واقتصادية، وفي مقاربة شيدروفيتسكي، فإن الروس في الخارج لا يشكلون مجتمعا لغويا فحسب، بل هم أيضا قوة جيو-ثقافية يمكن استخدامها من قبل الحكومة الروسية كما يصف المحلل السياسي أنديس كودورس Andis Kudors مفهوم "العالم الروسي" على أنه "هيكل فوق الدولة يتألف من روسيا والشتات الروسي العابر للحدود والمجتمعات الناطقة باللغة الروسية الأخرى والتي تعتبر روسيا مركزًا ثقافيًا وروحيًا لها"[1].

لقد عزز استخدام المصطلح كما سبق وذكرنا في الفصل الأول وجود ال 25 مليون روسي والذين ينتمون إلى الأقليات الروسوفونية خارج حدود روسيا، مثل الروس في آسيا الوسطى ومولدوفا والذين دخلوا في صراعات عرقية في حين وجد آخرون أنفسهم ضحايا قوانين صارمة في الدول الجديدة المستقلة خاصة التي انتهجت سياسة عدائية ضد روسيا كدول البلطيق. أما في دول كأكرانيا وكازاخستان والتي تملك نسبة كبيرة من الروسوفون فقد منحهم هذا الاختلاف عن باقي المواطنين في دولهم فرص عمل وامتيازات اجتماعية وحتى تعاطف واضح من قبل الحكام الروس في سياستهم الخارجية.

تقاطع مصطلح العالم الروسي مع العديد من المفاهيم في بدايات توظيفه في السياسة الخارجية الروسية، حيث أشارت الوثائق الحكومية الروسية إلى الروس المتواجدين خارج روسيا بأسماء متعددة مثل "الروس الأصليين" ethnic russians"ناطقو لغة روسية" russian speakers، "الروس الثقافيين cultural russians "مواطنين روس compatirots، "المواطنون الذين يعيشون في الخارج" countrymen abroadأو "رجال القبيلة الرفقاء" fellow tribesmen. تعكس هذه الحالة من المرونة الاصطلاحية عدم وضوح من الذين يجب تضمينهم و ماهي الخصائص التي يجب أن يتمتعوا بها لحصرهم ضمن سياسة الدولة، و قد فضلت الحكومة الروسية فيما بعد استعمال مصطلح "المواطنون الروس" لكونه شاملا للصفات السابقة و محايدا و يضم جميع الناطقين باللغة الروسية من الروس الأصليين، وأولئك الذين تربطهم علاقات وطيدة مع وطنهم الأم و الجماعات العرقية التي لها رابط ثقافي وتاريخي مع روسيا وتم الإشارة إليهم ب"المواطنين الروس" و بتعبير أوسع كل ما يندرج تحت مسمى "العالم الروسي"[2].

[1]Pieper, **"Russkiy mir,"** 11.
[2]Pieper, **"Russkiy mir,"** 7.

2- نشأة منظمة روسكي مير

مؤسسة روسكي مير "Русский мир" أو "العالم الروسي" هي منظمة ثقافية روسية تهدف إلى تعزيز اللغة والثقافة والقيم الروسية حول العالم وتتلقى تمويلاً من الحكومة الروسية. تم إنشاء المؤسسة عام 2007 لمواكبة اهتمام العالم بالتراث الثقافي واللغوي الروسي بعد انهيار الاتحاد السوفيتي، وتعزيز الروابط بين الأقليات الروسوفونية في خارج روسيا. وكذلك لمواجهة الانطباع الخاطئ حول ضعف النفوذ الروسي في العالم، ومنه توظيف الدبلوماسية الثقافية كوسيلة لتعزيز المصالح الروسية. تقوم المؤسسة بنشاطات متنوعة كتنظيم الفعاليات التعليمية والثقافية. ولها فروع في العديد من البلدان، بما في ذلك الولايات المتحدة وألمانيا والصين. كانت أنشطة المؤسسة مثيرة للجدل في بعض البلدان، خاصة في أوكرانيا، حيث اتهمت بالترويج للدعاية الروسية.

لقد ظهرت مؤسسة روسكي مير حسب موقعها الرسمي، بسبب بروز ظاهرة العالم الروسي في مركز إهتمام الأوساط الأكاديمية والعامة وسمح الاستقرار الذي تحقق في روسيا في السنوات الأخيرة بإعادة التركيز على أهمية وقيمة العالم الروسي، ليس فقط لأولئك الذين يعتبرون أنفسهم مشاركين في هذا العالم، ولكن أيضًا للحضارة الحديثة بشكل عام. وأصبح من الواضح أنه يجب اتخاذ خطوات جادة لحفظ وتعزيز اللغة والثقافة الروسية في العالم الحديث. وقد بلغت هذه المناقشات ذروتها عندما أكد خطاب الرئيس الروسي فلاديمير بوتين إلى الجمعية الفيدرالية في أفريل 2007 بأهمية هذه الخطوة، حيث جاء في خطابه، ***"اللغة الروسية لا تحتفظ فقط بطبقة كبيرة من الإنجازات العالمية الفعالة، بل هي أيضا الفضاء الحي لملايين الأشخاص في العالم الناطق باللغة الروسية، وهي مجتمع يتجاوز إلى حد كبير روسيا نفسها. كإرث مشترك للعديد من الشعوب، فإن اللغة الروسية لن تصبح أبدًا لغة الكراهية، أو العداوة، أو نبذ الأجانب، أو العزلة". ويضيف "في رأيي، نحن بحاجة إلى دعم مبادرة علماء اللغة الروس لإنشاء مؤسسة وطنية للغة الروسية، الهدف الرئيسي منها سيكون تطوير اللغة الروسية في الداخل، ودعم برامج دراسة اللغة الروسية في الخارج، وبشكل عام الترويج للغة والأدب الروسيين في جميع أنحاء العالم."***[1]

تأسست بتوقيع مرسوم رئاسي في جوان 2007 من طرف الرئيس بوتين كمشروع مشترك لوزارة الخارجية الروسية ووزارة التعليم والعلوم، وهي مدعومة بالأموال العامة والخاصة، يترأس مؤسسة "روسكي مير" فياتشيسلاف نيكونوف Vyacheslav Nikonov، عميد كلية التاريخ والعلوم السياسية في الجامعة الدولية في موسكو ومؤسس مؤسسة بوليتي. يكما يتألف مجلس أمناء

[1]Russkiy Mir Foundation, "About Us," Russkiy Mir Foundation, accessed December 5, 2022, https://russkiymir.ru/en/fund/about/.

المؤسسة من أكاديميين روس مشهورين وشخصيات ثقافية ومسؤولين مدنيين متميزين.[1] يتواجد مركز المؤسسة الرئيسي في موسكو وله فروع في سانت بطرسبورغ، وفرع الشرق الأقصى.[2]

تهدف المؤسسة إلى تعزيز اللغة الروسية كميراث وطني لروسيا وجانب مهم من الثقافة الروسية والعالمية، ودعم برامج تدريس اللغة الروسية في الخارج، وبالتالي إعادة ربط المجتمع الروسي في الخارج بوطنهم، وتشكيل روابط جديدة وأقوى من خلال برامج ثقافية واجتماعية وبرامج التبادل والمساعدة في الانتقال إلى روسيا وفقًا لما جاء في موقعها الرسمي كما أنها تعنى بنشر السلام في العالم خلال دعم وتعزيز وتشجيع تقدير اللغة والتراث والثقافة الروسية.[3]

تستند مؤسسة روسكي مير على ثلاثة معايير أساسية في نشاطاتها وهي اللغة الروسية، ثقافة وتراث روسيا، والفئة المستهدفة، فاللغة الروسية وفق ما جاء موقع المؤسسة هي في قلب الثقافة والمجتمع الروسي، ولقرون طويلة، خدمت كلغة الدبلوماسية والتجارة في العديد من الدول الأوروبية والآسيوية، وقد أسهم المجتمع الروسي بالعديد من الإنجازات الفنية والموسيقية والأدبية والعلمية في الثقافة العالمية. عبر تاريخها الغني والمتنوع، فكانت روسيا موطناً لفنانين وكتاب وملحنين وموسيقيين عظماء، مثل روبليف وكاندينسكي، تشايكوفسكي وشوستاكوفيتش، بوشكين وسولجينيتسين. واليوم تستمر هذه التقاليد الغنية مع جيل جديد من الكتاب والفنانين والأكاديميين الموهوبين الذين ينشرون ويوحدون اللغة والثقافة الروسية في جميع أنحاء العالم. أما المؤسسة فتستهدف العالم الروسي وهو أكبر من إقليم روسيا الاتحادية، 143 مليون شخص يعيشون داخل حدوده. فالملايين من الروس سواء من الناحية العرقية أوالناطقين باللغة الروسية، يشكلون أكبر شتات غرفه العالم فعائلاتهم وأحفادهم منتشرين في جميع أنحاء العالم فتُعيد مؤسسة روسكي مير ربط هذا الشتات بوطنهم عن طريق البرامج الثقافية والاجتماعية. كما يتضمن العالم الروسي الملايين من الذين اختاروا اللغة الروسية كمادة دراسية، وأولئك الذين تطور لديهم تقدير لروسيا وتراثها الثقافي الغني.[4]

[1]Russkiy Mir Foundation, "Russkiy Mir Foundation."
[2]Russkiy Mir Foundation, "Foundation Branches," Russkiy Mir Foundation, accessed December 5, 2022, https://russkiymir.ru/en/fund/foundation-branches.php.
[3]Russkiy Mir Foundation, "Russkiy Mir Foundation."
[4] Russkiy Mir Foundation, "Russkiy Mir Foundation."

المبحث الثاني: تحول الخطابات السياسية الى سياسات عسكرية خلال النزاعات (الحرب في جورجيا 2008 وضم شبه جزيرة القرم 2014)

لقد تم توظيف مصطلح "المواطنين الروس" في الخطابات السياسية الروسية خلال كل من الأزمة الجورجية عام 2008، والأوكرانية عام 2014، وكانت تستخدم كإطار لتبرير النهج الروسي في الدول المجاورة، كما تم الاستفادة من سياسة الشتات في السياق التطوري لمفهوم "العالم الروسي" الأوسع، حيث ساهمت الخطابات السياسية حول حماية المواطنين الروس المتمثلين في الأقليات الروسوفونية، في تعزيز التوجهات الجيوسياسية لروسيا، وبالمقابل زيادة التوترات بشأن إقليمي أبخازيا وأوسيتيا الجنوبية المنفصلين عن جورجيا والذين أغلبيتهم هم ناطقون باللغة الروسية، كما جاءت أزمة ضم شبه جزيرة القرم التي وقعت في عام 2014 بعد مطالبة القوات الروسية و انفصالها عن أوكرانيا وساهمت في تأزم الأوضاع بين روسيا ودول الجوار والغرب فكانت لها تبعات هامة على المستوى الإقليمي والدولي.

المطلب الأول: روسكي ميركقوة ناعمة

يشير مصطلح القوة الصلبة Hard power في العلاقات الدولية إلى قدرة دولة ما على استخدام الوسائل المادية كالأدوات العسكرية والاقتصادية للتأثير على سلوك أو مصالح دول أخرى، ويندرج ضمنها كل التكتيكات العسكرية أو العقوبات الاقتصادية التي تهدف إلى تحقيق هدف سياسي أو اقتصادي استراتيجي. وغالبا ما يتم استخدام مصطلح القوة الصلبة مقابل مصطلح القوة الناعمة Soft power الذي يشير وفق تصور جوزيف ناي Joseph Nye [1] إلى قدرة دولة على التأثير على سلوك الآخرين من خلال الثقافة والقيم والعلاقات الدبلوماسية.

ويصف جوزيف ناي القوة:" ***بعبارة أدق فإن القوة هي القدرة على التأثير في سلوك الآخرين للحصول على النتائج التي يتوخاها المرء".*** [2]

كما يشير إلى معنى القوة الذي حدده السياسيون بامتلاك محددات صلبة كالقوة العسكرية والمحددات الطبيعية كالآتي: ***"والسياسيون العمليون والناس العاديون كثيرا ما يجدون مسائل السلوك والدوافع هذه معقدة أكثر من اللازم. وهكذا يتجهون إلى تعريف آخر للقوة فيحددونها ببساطة بأنها امتلاك***

---

[1] جوزيف ناي جونيور هو عالم سياسي وباحث وأستاذ أمريكي في جامعة هارفارد. وهو معروف بعمله في العلاقات الدولية وتطوير مفهوم "القوة الناعمة". كتب ناي العديد من الكتب والمقالات في العلاقات الدولية، بما في ذلك "القوة الناعمة: وسيلة نحو النجاح في السياسة العالمية" و "مستقبل القوة". كما شغل منصب عميد كلية كينيدي للحكومة في جامعة هارفارد وعدة مناصب حكومية منها جوزيف ناي شغل عدة مناصب حكومية منها مساعد وزير الدفاع للشؤون الأمنية الدولية في عهد كلينتون ورئيس مجلس الاستخبارات الوطني.

[2] جوزيف س.ناي، **القوة الناعمة: وسيلة النجاح في السياسة الدولية**، ترجمة: محمد توفيق البجيرمي، (الرياض: مكتبة العبيكان، 2007)،20 .

القدرات أو الموارد التي يمكنها أن تؤثر على النتائج. وبناءً على ذلك فإنهم يعتبرون بلدا ما قويا إذا كان لديه عدد سكان و إقليم جغرافي كبير نسبيا، وموارد طبيعية واسعة وقوة اقتصادية، وقوة عسكرية، واستقرار اجتماعي، وميزة هذا التعريف الثاني هي أنه يجعل القوة تبدو مادية ملموسة أكثر، وقابلة للقياس، ويمكن التنبؤ بها، ولكن لهذا التعريف مشاكل أيضا، فعندما يعرف الناس القوة بأنها مرادفة للموارد التي تنتجها فإنهم يواجهون أحيانا مفارقة كون أفضل المتمتعين بالقوة لا يحصلون دائما على النتائج التي يريدونها."[1]

فالقوة وفقا لناي لا تقتصر فقط على كل ما هو مادي، بل هناك نوع آخر من القوة، والذي يسميه القوة الناعمة، تشير هذه الأخيرة إلى قدرة البلد على جذب الآخرين إلى ثقافته وقيمه وسياساته عبر وسائل غير قهرية مثل الأيديولوجيا والدبلوماسية الثقافية. وبالتالي يمكن أن تعزز القوة الناعمة بشكل كبير تأثير الدولة وسمعتها الدولية. وكما جاء في كتابه: ***"...وباختصار إذا تقرر سلوكي من خلال جاذبية يمكن ملاحظتا، ولكنها غير ملموسة – فإن القوة الناعمة تكون شغّالة. وذلك ان القوة الناعمة تستخدم نوعا مختلفا من العمل (وهي ليست قوة القسر ولا المال) لتوليد التعاون – وهي الانجذاب إلى القيم المشتركة، والعدالة، ووجود الإسهام في تحقيق تلك القيم. ومثلما لاحظ آدم سميث بأن الناس تقودهم يد خفية عندما يتخذون قراراتهم في سوق حرة، فإن قراراتنا في سوق الأفكار كثيرا ما تشكلها القوة الناعمة – وهي انجذاب غير ملموس يقنعنا بمسايرة أغراض الآخرين دون حدوث أي تهديد صريح أو مبادلة"***[2].

كما يؤكد جوزيف ناي على ترابط القوتين الصلبة والناعمة، لأنهما معا من جوانب قدرة الإنسان على تحقيق أهدافه بالتأثير على سلوك الآخرين، والاختلاف بينهما يكمن في طبيعة السلوك والموارد المستعملة، فالأولى ترتكز على الإرغام أو الإغراء، أما الثانية فترتكز على جاذبية الثقافة والقيم التي تؤدي إلى التعاون الطوعي، ويشير إلى أن الاقتصاد القوي لا يقتصر على تقديم عقوبات فقط وإنما يمكن أن يكون مصدرا للجاذبية[3]

إذا وضعنا ما جاء به جوزيف ناي من تعاريف وخاصة فيما تعلق بالقوة الناعمة في الاعتبار، فإن روسيا بكل ما تملكه من محددات ثقافية وأيديولوجية في وقت سابق، مكنها من استخدام قوة ناعمة في فترة ما، لكنها بسبب ترجيح استخدام القوة العسكرية والاقتصادية على حساب القوة الثقافية للتأثير في سياسة دول الجوار على وجه الخصوص، أثرت على سياستها الخارجية وقل اعتبار روسيا كدولة مؤثرة. فحتى مع ما تملكه من مقومات القوة الناعمة ومع تأسيس منظمة روسكي مير، لم تتفوق في مهامها على ما تقوم به القوة الصلبة الروسية وبالتالي فقدت مصداقيتها، وهذا ما جعل الغرب يتهم هذه المؤسسة بدعم طموحات روسيا التوسعية، خاصة بعد حرب أوكرانيا الأخيرة التي في 2022، حيث فرض الاتحاد الأوروبي عقوبات على مؤسسة روسكي مير بشأن الغزو

---

[1] ناي، **القوة الناعمة**، 21.

[2] ناي، **القوة الناعمة**، 27.

[3] ناي، **القوة الناعمة**، 27، 28.

الروسي لأوكرانيا في نفس السنة، إلى جانب "الوكالة الفدرالية لشؤون دول الكومنولث المستقلة والأجانب والتعاون الإنساني الدولي" (Rossotrudnichestvo).

وكما جاء في تصريح 21 جويلية 2022 ***"تم إنشاء مؤسسة "روسكي مير" وتم تمويلها من قبل حكومة الاتحاد الروسي. استخدمت الحكومة الروسية المؤسسة لتعزيز مصالحها في الدول السوفيتية السابقة. هدفها الرسمي هو تعزيز اللغة والثقافة الروسية عالميًا، ولكن تم استخدام المؤسسة كأداة تأثير مهمة من قبل الكرملين الذي يروج بقوة لأجندة متمحورة حول روسيا في الدول السوفيتية السابقة، والتي ترفض شرعية أوكرانيا كدولة مستقلة وتدعي ضرورة توحيدها مع روسيا. نشرت مؤسسة "روسكي مير" دعاية مؤيدة للكرملين ومعادية لأوكرانيا، وبررت العدوان العسكري غير المبرر من روسيا ضد أوكرانيا. وفي بياناتها الرسمية، دعمت المؤسسة الضم غير القانوني للقرم وسيفاستوبول والاعتراف بالانفصاليين المعروفين بـ "جمهوريات الشعب" في منطقة دونباس من قبل الاتحاد الروسي. ولذلك، فإنها مسؤولة عن دعم الأعمال التي تقوض أو تهدد سلامة إقليم وسيادة واستقلال أوكرانيا. كما أنها استفادت من حكومة الاتحاد الروسي المسؤول عن ضم القرم وعدم استقرار أوكرانيا"***[1].

فروسيا تملك كل المعايير المطلوبة لتلعب على الجانب الثقافي بسبب عاداتها وتقاليدها وأدبها الكلاسيكي والفنون والموسيقى المختلفة عن الثقافات الأخرى، وكذا اكتشافاتها العلمية وإنجازاتها الرياضية وعلاقاتها الدبلوماسية القوية مع العديد من البلدان، ودورها في المنظمات و المحافل الدولية، إلا أنها وبسبب تاريخها الدموي وسياسات الاقتصادية والاجتماعية خاصة في الفترة السوفياتية، لم تتمكن من توظيف القوة الناعمة. أشار جوزيف ناي إلى ذلك من خلال ذكره أعمال القمع والغزو التي قام بها الاتحاد السوفياتي "***...ولقد كان لدى الإتحاد السوفياتي ذات مرة كثير من القوة الناعمة، ولكنه فقد الكثير منها بغزوه لهنغاريا وتشيكوسلوفاكيا. ولقد راحت القوة السوفييتية الناعمة تنحط حتى مع استمرار نمو موارده الاقتصادية والعسكرية الصلبة..."***[2]، وذكر في موضع آخر أن الثقافة السوفييتية قد حد من تصديرها تأثير الثقافة الغربية، وعدم تماشي الادعاءات السوفياتية مع ما يحدث داخل الاتحاد السوفياتي بسبب النزعة الستالينية، كما انتقص منها تباطؤ النمو الاقتصادي فيما بعد، وعجز الاقتصاد المخطط مركزيا عن التماشي مع الأسواق وعصر المعلومات.[3]

الولايات المتحدة الأمريكية كانت ترى في الإتحاد السوفياتي منافسها الأول في مصادر القوة الناعمة، الذي سخر كل الوسائل الممكنة من أجل إقناع باقي العالم بجاذبية نظامه الشيوعي، خاصة بعد مقاومته لهتلر في أوروبا و دعمه للمناطق المُستَعمَرة في إفريقيا و آسيا ضد الاستعمار

[1]Council of the European Union, "Council Implementing Regulation (EU) 2022/1270 of 21 July 2022 Implementing Regulation (EU) No 269/2014 Concerning Restrictive Measures in Respect of Actions Undermining or Threatening the Territorial Integrity, Sovereignty and Independence of Ukraine," Official Journal of the European Union L 193 (July 21, 2022): https://eur-lex.europa.eu/legal-content/EN/TXT/PDF/?uri=CELEX:32022R1270&from=EN.

[2]ناي، **القوة الناعمة**، 30.

[3]ناي، **القوة الناعمة**، 116.

الأوروبي، كما استخدمت موسكو الأحزاب الشيوعية المحلية لخدمة مصالحها و أنفق الاتحاد السوفياتي ميزانية ضخمة على برامج الترويج لثقافته و الدعاية ضد المنظومة الغربية، كما دعم نموه الاقتصادي و تسابقه في العلم والمجال الفضائي مع الولايات المتحدة الامريكية، لتأكيد مكانة البحث العلمي بالنسبة للاتحاد السوفياتي، إضافة إلى البرامج التعليمية و الفنون و تفوقها في الألعاب الرياضية، غير أن طبيعة النظام السوفياتي المغلقة من ناحية و تفوق التأثير الأمريكي العالمي في الأفلام و التلفزيون جعل الثقافة الشعبية و المنتجات المحلية تتراجع بشكل كبير، كما أثبتت نتائج استطلاعات الرأي في العديد من الدول الأخرى كإيطاليا و فرنسا و بريطانيا و ألمانيا حول جاذبية الإتحاد السوفياتي أنها لم تتجاوز 32% عام 1950، و 21% عام 1981 لدى الإيطاليين بدرجة أكبر في كلا السنتين، و لم ترتفع المعدلات حتى عام 1989 عندما غير ميخائيل غورباتشوف Mikhail Gorbachevالسياسات السوفياتية ووضع نهاية للحرب الباردة بنسبة تصل إلى 65% من جانب إيطاليا كأعلى تقدير و ارتفعت بنسبة كبيرة للألمان ب 71% بينما كانت لا تتعدى 7% و 8% في 1950و1981 على الترتيب، و هذا ما أثر إيجابا(البريستريكا وغلاسنوست لغورباتشوف) حسب جوزيف ناي على القوة الناعمة السوفيتية.[1]

لقد كانت روسيا بعد سقوط الاتحاد السوفياتي تسعى إلى إعادة بناء سياساتها الداخلية والخارجية، وكانت معظم الأعمال الغربية خاصة الامريكية منها في ذلك الوقت تدرك مدى أهمية هذه المرحلة بالنسبة لروسيا، وبالتالي وظفت جميع الوسائل لهدم تطلعاتها لإعادة إحياء أمجاد الاتحاد السوفياتي، وهذا ما أبرزته في الجانب المعرفي والأكاديمي الذي كانت تتحكم فيه الولايات المتحدة الامريكية، كأعمال فرنسيس فوكوياما Francis Fukuyamaحول نهاية التاريخ والإنسان الأخير عام 1992، و تفوق القيم الغربية بطابع إنساني عالمي. كذلك ما نلاحظه في نظرة جوزيف ناي لروسيا وقوتها كمنافس للولايات المتحدة الأمريكية، حيث دعمت أفكاره هذا الطرح وركزت على الجوانب العسكرية التي حالت دون تفوق الثقافة السوفياتية في حين كانت الولايات المتحدة الامريكية تقوم بالمثل في زيادة ترسانتها العسكرية خلال الحرب الباردة، هذا وإضافة إلى التركيز على التأثير الإيديولوجي للاتحاد السوفياتي والذي كانت تقوم به كذلك الولايات المتحدة الأمريكية لزيادة العداء ضد روسيا من خلال الدعاية والإعلام.

كما أنه ولدعم موقفه، فقد استعمل ناي استطلاعات الدول الغربية المستعمِرة فقط وهمش آراء الدول التي جذبتها الإيديولوجية السوفييتية والتي ذكرها سابقا كالدول الإفريقية والآسيوية التي كانت مستعمَرة من القوى الغربية، فنتائج الاستطلاع ليست كافية لقياس جاذبية القيم السوفييتية مادامت العينة غير شاملة لكافة الدول التي كان لديها احتكاك مع الاتحاد السوفياتي. فالكفة كانت ستكون لصالح الاتحاد السوفياتي بالنظر إلى عدد الدول المستعمَرة في

[1] ناي، **القوة الناعمة**، 113-116.

ذلك الوقت وعدد الدول المستعمِرة. هذا وإلى جانب أن التراث الروسي مازال موجودا وذا صدى واسع في الأدب والفنون والعلوم رغم ما ذكره التاريخ وحتى الحاضر عن روسيا من أعمال عدائية ووحشية. بالتالي فإن روسيا تملك متطلبات القوة الناعمة رغم عدم توظيفها الدائم لهذه الوسائل في سياستها الخارجية في ظل تطويق مستمر وتحكم غربي للوسائل الإعلامية.

يشير الخبراء الروس إلى أن هدف "العالم الروسي" ليس مختلفًا عن معاهد أخرى ثقافية مثل المجلس البريطاني ومعهد جوته الألمانيGoethe Institute والفرانكوفونية الفرنسية the French Francophonie. ووفقًا لهذا الرأي، فإن التركيز الأساسي للمؤسسة على اللغة الروسية لا يتجزأ عن مهمة "القوة الناعمة" الأوسع لتعزيز نفوذ روسيا، بما أن تعزيز اللغة والثقافة هما جزء لا بد منه في السياسة الثقافية للدولة. وعلى الرغم من ذلك، يصف ممثل مؤسسة "العالم الروسي" بأنها مبادرة مدعومة من الحكومة ليس فقط لتعزيز استخدام اللغة الروسية، ولكن كوسيلة للسياسة الخارجية الثقافية الروسية لخلق روابط متعددة بين الأرض الأم (روسيا الاتحادية) والمتحدثين باللغة الروسية في الخارج. فهي تسعى إلى "تغريب" الروس المنتشرين في الخارج من خلال تنمية الهوية والانتماء وخلق ما سماه فايست Faistبـ"مساحة اجتماعية عابرة للحدود". مفهوم "العالم الروسي" كمصطلح أصبح له طابع سياسي جديد خاصة في سياق الحرب الروسية الجورجية سنة 2008 والأزمة الأوكرانية عام 2014، حيث كان هذا المفهوم مُوحدا يربط الشتات بالدبلوماسية الثقافية الرسمية، ولكن بسبب الرهانات الجيوبوليتيكية تحوّل إلى مصدر توتر بين روسيا والغرب وإلى تبرير للتدخلات العسكرية[1].

المطلب الثاني: الأزمة الجورجية سنة 2008

في أوت عام 2008، خاضت روسيا حربًا استمرت خمسة أيام ضد جورجيا وفازت فيها، ويمكن اعتبار هذا الصراع القصير دراسة حالة لسياسة روسيا الخارجية والأمنية، والتي برزت فيه أهمية الأقليات الروسوفونية على أرض الواقع أدت إلى استخدام القوة والعمل العسكري في دول الجوار الروسي. هذه التطورات أدت إلى تأثر العلاقات السياسة بين جورجيا وروسيا والغرب الذي كان له دور مباشر في الأزمة.

بدأ النزاع بتفجير قوات جورجية لجسر في إقليم أوسيتيا الجنوبية المتنازع عليه بين البلدين، في محاولة لاستعادة السيطرة على هذا الإقليم الذي كان تحت حكم الانفصاليون الموالين لروسيا. قامت الحكومة الروسية بالتدخل فأرسلت قواتها إلى الإقليم المتنازع عليه وقصفت شمال غرب جورجيا، وسيطرت على عدة مواقع فيها. انتهى النزاع بوساطة منظمة الأمن والتعاون في أوروبا، ووافقت روسيا على انسحاب جزئي للقوات الموجودة في جورجيا، واعترفت بأوسيتيا

[1]Pieper, **"Russkiy mir,"** 12, 13.

الجنوبية وأبخازيا كدول مستقلة إلا أنهما إقليمان تدعي جورجيا أحقيتها ولا تعترف باستقلالهم معظم الدول.

كانت الأزمة عبارة عن تراكم أحداث تاريخية وسياسية معقدة وأدت إلى أول حرب منذ بداية القرن الواحد والعشرين، من بين أسبابها:

- النزاعات الإقليمية، حيث كان هناك نزاع إقليمي حول مناطق جنوب أوسيتيا وأبخازيا المنفصلة التي كانت تسعى إلى الاستقلال عن جورجيا. ودعمت روسيا مطالبهم.
- التوترات التاريخية، فجورجيا وروسيا لهما تاريخ طويل من التوترات والصراعات يعود إلى قرون. وقد خاض البلدين حروباً بشأن نزاعات إقليمية في الماضي.
- الطموحات السياسية، حيث كان الرئيس الروسي فلاديمير بوتين يهدف إل استعادة نفوذ روسيا في المنطقة وإظهار قوتها. وكان موقف جورجيا المؤيد للغرب يُنظر إليه كتحدي للطموحات السياسية لروسيا.
- تكديس القوى العسكرية، فقد كانت روسيا تزيد من وجودها العسكري في أبخازيا وجنوب أوسيتيا، مما أثار القلق في جورجيا. كما أن انتشار جورجيا العسكري رداً على الانتشار الروسي وُصف على أنه استفزازي من قِبل روسيا.

بعد سقوط الاتحاد السوفيتي، واجهت جورجيا التي أصبحت مستقلة صراعاً داخلياً على السلطة، بالإضافة إلى انتفاضات انفصالية في أبخازيا وجنوب أوسيتيا وأجاريا. وبما أن الغرب لم يول القضية اهتماما أكبر، اضطرت جورجيا إلى الموافقة على شروط روسيا، بالإضافة إلى أنها أصبحت عضواً في رابطة الدول المستقلة عام 1993. كان على جورجيا أن تقبل وجود القواعد العسكرية الروسية على أراضيها مقابل تنازل روسيا عن مزيد من تفككك الأراضي الجورجية. وبعد الثورة الوردية[1] في نوفمبر 2003 التي أدت إلى استبدال إدوارد شيفردنادزه Eduard Shevardnadze بميخائيل سعاكاشفيلي Mikhail Saakashvili كرئيس لجورجيا، أعلن هذا الأخير استعادة وحدة جورجيا الإقليمية كواحدة من أولوياته الرئيسية في فترة حكمه. ولكن لم يتم تحقيق هذا الهدف سوى في حالة إقليم أجاريا. بينما ظلت المناطق الانفصالية الأخرى المتمثلة في أبخازيا وجنوب أوسيتيا مستقلة فعليا، وطالب البرلمان الجورجي مرات عديدة انسحاب القوات الروسية للحفاظ على السلام

[1] الثورة الوردية هي ثورة وقعت في جورجيا في عام 2003، وكان الهدف منها هو إخراج الرئيس الحاكم في ذلك الوقت إدوارد شيفرادزه من منصبه، بسبب فساده واستبداده للسلطة. وقد نجحت الثورة في إطاحة الحكومة وسيطر على السلطة في البلاد الرئيس الجديد مخايل ساكاشفيلي. سميت بالوردية بسبب ما ميزها من إلقاء الورود على الجنود والشرطة والمسؤولين الحكوميين، كرمز للسلمية والتغيير الديمقراطي.

من هذه المناطق للحد من دعم روسيا لأبخازيا وأوسيتيا الجنوبية، ولتسريع اندماج جورجيا مع الغرب، ولم يتم التوصل إلى تسوية للمناطق المتنازع عليها بدون موافقة روسيا[1].

من الناحية الاقتصادية فقد نجحت جورجيا سنة 2003 في تحقيق معدل نمو اقتصادي عالٍ، وذلك بفضل الاستثمارات في إنشاء خط أنابيب النفط باكو-تبليسي-جيهان. ولكن نتيجة فشل الحكومة في جميع جوانب العملياتية، حدث عجز الميزانية العامة بمبلغ 90 مليون دولار، أي 15 % من الإيرادات المتوقعة. وفي نهاية عام 2003، بلغ إجمالي الديون الداخلية غير المدفوعة لرواتب الموظفين ومعاشات المتقاعدين في القطاع العام، التي تراكمت طوال فترة أزمة الميزانية، 120 مليون دولار. فكان نصف السكان يعيشون تحت مستوى الفقر. هذا التدهور الجذري للأوضاع الاجتماعية أدى إلى تعكير كفة الرضا مع إدارة شيفردنادزه بدرجة كافية لتمهيد الطريق لثورة الورود[2]. كما كانت هذه السنة التي بدأ اهتمام الغرب فيها ودعمهم لجورجيا يتزايد، مما أثار التوتر والنزاع بين روسيا وجورجيا وأدى إلى الثورة وتتالي الأزمات بعدها.

1- أبخازيا

كان تاريخ أبخازيا في جنوب القوقاز على مدى قرون مضطربًا. ففي القرن السادس عشر، غزت الإمبراطورية العثمانية المنطقة وأصبحت أبخازيا جزءًا منها، وفي القرن التاسع عشر، أصبحت تحت السيطرة الروسية بعد الحرب الروسية التركية، خلال هذه الفترة، عانى السكان الأبخازيون بشدة من الاستيلاء على الأراضي، وغيرها من أشكال الاضطهاد، أما مع القرن العشرين، أصبحت أبخازيا جمهورية ذاتية ضمن جورجيا السوفيتية في عام 1921. خضعت للعديد من أعمال التطهير خلال عهد ستالين، وفي أواخر الثمانينيات وأوائل التسعينات، أدت التوترات بين الأبخازيين والجورجيين الإثنيين إلى صراع عنيف من 1992-1993، أدى إلى نزوح مئات الآلاف من الناس، وتصبح أبخازيا دولة مستقلة بشكل فعلي في القرن الحادي والعشرين لكنها غير معترف بها من قبل المجتمع الدولي سوى عدد قليل من الدول.

كانت أبخازيا خلال الحقبة السوفيتية منطقة ذاتية الحكم تقع في الشمال الغربي من جورجيا، بعاصمتها سوخومي وتضم ما يقرب من 550،000 نسمة، بعد إعلان جورجيا للاستقلال عام 1991 واستبدال الدستور الذي صدر في عام 1978 بدستور عام 1921، الذي لم يكن يوضح وضع أبخازيا، أعاد المجلس الأعلى الأبخازي دستورها لعام 1925 الذي منحها وضعًا متساويا سياسيا مع جورجيا، مما أدى إلى مواجهة عنيفة سنة 1992، كانت نتيجتها إجبار القوات الأبخازية بمساعدة

[1]Marcel de Haas, **Russia's Foreign Security Policy in the 21st Century: Putin, Medvedev and beyond** (New York: Routledge, 2010), 327.

[2]Vladimer Papava, "The Political Economy of Georgia's Rose Revolution," **Orbis** 50, no. 4 (2006): 660–61.

روسيا انسحاب القوات الجورجية من أبخازيا عام 1993،و تشريد ما بين 200،000 و 300،000 شخص. بعدها نشرت قوات حفظ السلام التابعة لروسيا والأمم المتحدة في أبخازيا، ورغم وقف إطلاق نار في ماي 1994، لم يتم تحقيق أي حل جذري حول القضية وتكررت أعمال العنف والجريمة المنظمة ضد المسؤولين الأبخازين من جهة وجنود حفظ السلام الروس وكذلك شخصيات الأمم المتحدة من جهة أخرى، وتواصلت المفاوضات بين أبخازيا وجورجيا تحت إشراف روسيا والأمم المتحدة، وفي عام 2003، ارتفعت التوترات بينهما مجدداً وبقيت المنطقة الانفصالية مستقلة، لكنها لم تعترف بها أي دولة قبل 2008، و كانت روسيا توزع جوازات سفر روسية على الأبخاز بصفة متزايدة، لتوثق علاقاتها مع أبخازيا التي كانت ترى في روسيا الخيار الوحيد لتحقيق أهدافها.[1]

2- أوسيتيا الجنوبية

أوسيتيا الجنوبية مثلها مثل أبخازيا، هي منطقة في جنوب القوقاز ويعود تاريخها إلى عدة قرون. ففي القرن الثامن عشر، استقر الأوسيتيون الذين ينحدرون من الأصل الإيراني في المنطقة، وانقسموا إلى مجموعتين، الأوسيتيون الشماليون الذين يعيشون داخل الإمبراطورية الروسية، والأوسيتيون الجنوبيون الذين يعيشون داخل الإمبراطورية الفارسية، وفي القرن التاسع عشر، أصبحت أوسيتيا الجنوبية جزءًا من الإمبراطورية الروسية، وبعد ثورة 1917، أصبحت منطقة ذاتية الحكم داخل الاتحاد السوفيتي. خلال الحرب العالمية الثانية، تم احتلال أوسيتيا الجنوبية من قبل ألمانيا النازية، لكن تم تحريرها سريعًا من قبل الاتحاد السوفيتي ، و بعد انهيار هذا الأخير، سعت أوسيتيا الجنوبية إلى الاستقلال عن جورجيا، التي كانت حينذاك بلدًا مستقلا حديثًا، وفي عام 1992، اندلعت صراعات دامية بين القوات الجورجية والانفصاليين في المنطقة، أدت المعارك إلى اتفاق هدنة في نفس السنة، ولكن التوترات بينها وبين جورجيا استمرت إلى غاية 2008، حين شنت جورجيا هجومًا على أوسيتيا الجنوبية، من أجل استعادة السيطرة على المنطقة، لكن تدخلت روسيا عسكريا، وبعد صراع قصير، اعترفت بها كدولة مستقلة. لم تتلق أوسيتيا الجنوبية اعترافا من قبل العديد من الدول، ووضعها مازال متنازعا عليه.

في ديسمبر 1990، قامت جورجيا بإلغاء الحكم الذاتي لأوسيتيا الجنوبية كرد فعل على جهودها المستمرة للحصول على الاستقلال، وعندما قامت أوسيتيا الجنوبية بخطواتها الأولى نحو الانضمام إلى جمهورية أوسيتيا الشمالية الذاتية في روسيا، قامت القوات الجورجية بغزو المنطقة. استمرت الصراعات حتى جوان 1992، عندما تم وقف إطلاق النار بوساطة روسية. وأدى هذا الصراع إلى نزوح ما يقرب من 25،000 جورجي وبين 40,000 إلى60،000 أوستي جنوبي، ومنذ ذلك الحين، حدثت صدامات بشكل منتظم ولم يتم التوصل إلى تسوية بين الأطراف، بعد السيطرة على أجاريا، وضع الرئيس الجورجي ساكاشفيلي أوسيتيا الجنوبية أولوية له، حيث سعى من خلال

[1]de Haas, **Russia's Foreign Security Policy**, 330.

شعبيته في الحركة الثورية بالإضافة إلى الضغوط الاقتصادية على أوسيتيا الجنوبية إلى تقويض الأطماع الانفصالية ،غير أن الأوضاع ازدادت عنفا، وبعد ضغط قوي من روسيا والولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي، تم سحب القوات الجورجية من منطقة النزاع، وفي جانفي 2005، قدم ساكاشفيلي محاولة ثالثة لاستعادة المنطقة بالمطالبة بتغيير القوات الروسية بالقوات الغربية، إلا أنه فشل، بالمقابل قدمت روسيا المساعدات المالية لأوسيتيا الجنوبية ومنحت الجنسية الروسية لحوالي 90% من سكانها، اعتبرت جورجيا هذه الخطوة تهديدا، كما زاد الوضع تعقيدا بعدما أصدر إقليم شمال أوستيا الروسي، بالتعاون مع أوسيتيا الجنوبية المنفصلة، إعلانًا مشتركا في سعيهم للحفاظ على وحدة أوستيا في 18 سبتمبر 2005، اعتبر هذا الإعلان كدليل إضافي على رغبة روسيا في مواصلة دعم المناطق الانفصالية في جورجيا كاستراتيجية متعمدة لمنعها من اندماجها مع الغرب. وفي أوت 2008، صرحت روسيا في خطاباتها على أن قوات حفظ السلام الخاصة بها كانت تحمي مواطنيها، أين كان الروس يحتلون مناصب عليا في حكومة أوسيتيا الجنوبية.[1]

شهدت الحرب بين روسيا وجورجيا عدة تداعيات، فمئات الأشخاص فقدوا حياتهم وتعرض العديد من الآخرين للإصابات، وأصبح الآلاف من الأشخاص نازحين ولاجئين بسبب النزاع. كما تأثر الاقتصاد وتضررت البنية التحتية من منازل ومناطق صناعية وطرقات في جورجيا. أما سياسيا وأمنيا فقد تراجعت العلاقات بين روسيا وجورجيا بشدة، وأدانت الأمم المتحدة ومنظمات دولية أخرى الحرب واستخدام القوة من قبل كل من روسيا وجورجيا. كما زاد وعي المجتمع الدولي بالطموحات الجيوسياسية لروسيا واستخدامها للقوة لتحقيق أهدافها. وقد ساهم الوجود الكبير للأقليات الروسوفونية في أبخازيا وأوسيتيا الجنوبية في تعزيز التدخل العسكري لروسيا لحماية أقلياتها كما جاء في مختلف خطاباتها السياسية.

[1]de Haas, **Russia's Foreign Security Policy**, 332- 333.

الشكل رقم6: خريطة تمثل التقسيم الإداري لجورجيا والمناطق الانفصالية (أوسيتيا الجنوبية و أبخازيا)

Source: Stephan Jones, Georgia: A Political History since Independence (London: Routledge, 2016), 16.

تمثل الخريطة الحدود التي تفصل بين كل من أبخازيا وأوسيتيا الجنوبية عن جورجيا، والتي تقع في الحدود الجنوبية لروسيا مما يسهل عليها نشر قوات حفظ السلام في هذه المناطق ويفسر انتشار اللغة الروسية بكثرة بين السكان الأبخازيين والأوسيتيين الجنوبيين.

المطلب الثالث: ضم شبه جزيرة القرم في 2014

بدأت أزمة شبه جزيرة القرم بين روسيا وأوكرانيا عقب الثورة الأكرانية عام 2014 المعروفة بثورة الكرامة[1] التي أدت إلى عزل الرئيس فيكتور يانوكوفيتشViktor Yanukovych في فبراير 2014، دخلت القوات الروسية القرم، وهي إقليم أوكراني على البحر الأسود يحتوي أغلبية سكانية روسية، وبدأت في الاستيلاء على منشآتها الرئيسية معلنين أنهم يحمون الروس الأقلية فيه من القوميين الأوكرانيين. أدانت الحكومة الأوكرانية هذا التدخل العسكري باعتباره تعديا على سيادة الدولة

[1] ثورة الكرامة (Revolution of Dignity) هي الاسم المطلق على الثورة التي وقعت في أوكرانيا عام 2014. وسميت بهذا الاسم بسبب رغبة المتظاهرين في تعزيز كرامة الشعب الأوكراني وتحسين حياتهم الاقتصادية والاجتماعية والسياسية. وقد قام المتظاهرون بالاحتجاج على الفساد السياسي والاقتصادي في البلاد وطالبوا بإصلاحات جذرية في النظام السياسي والقانوني والاجتماعي. وقد شهدت تلك الأحداث استخداماً للعنف من قبل الأمن الأوكراني والقوات الموالية للحكومة السابقة لكن المتظاهرين قاوموا بصمود وأسفروا عن تغيير النظام الحكومي بعد استقالة الرئيس السابق في فبراير 2014.

وخرقا للقوانين الدولية، وتم تنظيم استفتاء في شبه جزيرة القرم، حيث اختار الأغلبية من الناخبين القرميين الانفصال عن أوكرانيا والانضمام إلى روسيا في مارس 2014. ولم يتم الاعتراف بالضم من قبل أوكرانيا ومعظم الدول على رأسهم الولايات المتحدة الأمريكية والإتحاد الأوروبي، مما أدى إلى توترات وفرض عقوبات على روسيا زاد من توتر العلاقات مع المنظومة الغربية، وما زالت الأزمة مستمرة في الحرب الروسية الأوكرانية بعد الضم إلى يومنا هذا.

السبب الرئيسي في ضم القرم عام 2014 كان الاضطرابات السياسية في أوكرانيا التي أدت إلى عزل الرئيس الأوكراني الموالي لروسيا فيكتور يانوكوفيتش، والذي تم استبداله بحكومة موالية للغرب. وقد اعتبرت روسيا هذا التغيير في السلطة تهديدا لها، حيث كانت ترى أوكرانيا كجزء من نطاق نفوذها وكحاجز ضد القوى الغربية. اعتبر الرئيس الروسي فلاديمير بوتين ضم القرم أنه وسيلة لحماية السكان الروس فيها واستعادة السيطرة الروسية التاريخية على المنطقة. بالإضافة إلى أن الأسطول الروسي في البحر الأسود متمركز في مدينة سيفاستوبول، مما جعل ضم القرم مسألة استراتيجية لروسيا.

ويمكن تفسير الأسباب وراء هذه الخطوة وفق العناصر التالية:

- الأغلبية الروسية في القرم والناطقين باللغة الروسية، فقد كانت هذه المنطقة تحتوي على أغلبية روسية من ناحية السكان وانعكس ذلك في نتائج الاستفتاء، فأنصار روسيا في القرم طالبوا بالانضمام إليها في الأشهر التي تلت احتجاجات 2014 في أوكرانيا.
- الإنتماء الحضاري لشبه الجزيرة القرم حيث كانت تاريخياً جزءاً من روسيا وتختلف حضارتها عن الغرب الأوكراني الأكثر أوروبية
- رغبة في تحقيق النفوذ، حيث يوجد في القرم ميناء بحري استراتيجي في مدينة سيفاستوبول، وقاعدة الأسطول الروسي في البحر الأسود، وهذا يضيف إلى روسيا تحكما أكبر في المناطق الإقليمية.
- كانت العلاقات بين روسيا وأوكرانيا متوترة منذ زمن طويل، وكانت تلك الخطوة تعزز إلى حد كبير موقف روسيا واستقرارها في المنطقة.

تم التصديق على الضم من قبل البرلمان الروسي، وعلى الرغم من أن هذا الإجراء قوبل بانتقادات من الغرب والمجتمع الدولي، إلا أن روسيا قامت فعليا بتطبيق هذا القرار وتطلعت إلى إنشاء جمهورية القرم. فأدى هذا الوضع إلى أزمة وتصاعد التوتر السياسي والتاريخي الطويل بين روسيا وأوكرانيا بشأن شبه جزيرة القرم، وأُدينت أفعال روسيا بشكل كبير، ففرضت الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي عقوبات اقتصادية واسعة النطاق على روسيا. بالمقابل، اقتربت أوكرانيا من الغرب، ووقعت على اتفاقات تجارية اقتصادية مع الاتحاد الأوروبي. كما أدت الأزمة أيضًا إلى

نزاعٍ عسكري مستمر في شرق أوكرانيا بين القوات الحكومية الأوكرانية والانفصاليين المدعومين من روسيا. واستمر النزاع مع اتفاقات هدنة متقطعة الأوقات ومفاوضات سلام مستمرة إلى أن وصلت إلى الاشتباكات العسكرية كما هي عليه الآن، وبسبب أزمة القرم وتدهور العلاقات بين روسيا والغرب، تأثرت حياة المواطنين القرميين، مما أدى إلى تغيير كبير في وضعهم القانوني والاجتماعي والاقتصادي. وقد أعربت المنظمات الدولية لحقوق الإنسان عن قلقها بشأن قمع المعارضة السياسية والرقابة على وسائل الإعلام وانتهاك حقوق الأقليات، وخاصة الطوائف التترية القرمية. كما أدى الضم إلى تشريد الآلاف من الناس وتعطيل الحياة اليومية.

لقد قوبل قرار الضم بردود فعل مختلفة، اعتبرته روسيا خطوة لتوحيد أراضيها ومناورة استراتيجية، فيما اعتبرته أوكرانيا والعديد من الدول الغربية وخصوصاً الولايات المتحدة، خرقاً للقانون الدولي وسيادة أوكرانيا، اقتصاديا، تضمن القرار ضم القرم العديد من الموارد الطبيعية والاقتصادية المهمة، مثل شبكات الطاقة والمواد الخام، مما يجعلها مهمة بالنسبة لروسيا من الناحية الاقتصادية، أما دبلوماسيا فقد وقعت الكثير من الدول الغربية على عقوبات اقتصادية ضد روسيا، تضمنت قطع العلاقات التجارية والحظر المالي وإجراءات العزل الدبلوماسي.

الشكل رقم 7: خريطة تمثل توزع الأقليات الناطقة باللغة الروسية كلغة أم في شبه جزيرة القرم لسنة 2001

Source : Al Jazeera America. "Map: Russian the Dominant Language in Crimea." Last modified March 14, 2014. http://america.aljazeera.com/multimedia/2014/3/map-russian-the-dominantlanguageincrimea.html.

تظهر الخريطة النسبة المئوية للسكان في شبه جزيرة القرم وسيفاستوبول الذين اعتبروا الروسية لغتهم الأم، بناءً على التعداد السكاني الأوكراني لعام 2001، حيث تتراوح من أقل من 60% إلى أكثر

من 90%، تشير الخريطة إلى أن الروسية هي اللغة المهيمنة في معظم أجزاء شبه جزيرة القرم وسيفاستوبول، خاصة في المناطق الشرقية والجنوبية. وتعد المناطق التي تحظى بأقل نسبة من المتحدثين بالروسية هي Pervomayske، Bakhchysarai، و Bilohirskحيث يتحدث التتار أيضًا بشكل واسع. وتعد المناطق التي تحظى بأعلى نسبة من المتحدثين بالروسية هي Kerch ، Sevastopol وYalta .

الفصل الثالث:

انعكاسات توظيف الأقليات الروسوفونية في السياسة الخارجية الروسية تجاه دول الجوار.

تمهيد:

اتسمت السياسة الخارجية الروسية بالديناميكية الدائمة، و رغم تعدد الوسائل و تغير البيئة الإقليمية والدولية، إلا أنها ظلت محافظة على نزعتها الإمبراطورية، ووظفت وفق معايير النظام الدولي الحالي مسألة حماية الأقليات، للإبقاء على مصالحها الاستراتيجية في الدول المجاورة لها، فكانت التصريحات الرسمية لمختلف القادة وصناع القرار الروس تعكس هذا التوجه، فتشكلت علاقات روسيا مع باقي الدول وفق التصور و الهوية التي تبنتها بعدما كانت تتأرجح بين الاتجاه التغريبي و الاتجاه الأوراسي مع بداية التسعينات من القرن الماضي، لكنها حُسمت مع مجيئ الرئيس الروسي الحالي فلاديمير بوتين منذ الأزمة الجورجية الروسية.

أحد المتغيرات الدولية التي تؤثر على عملية صنع القرار الروسي هو التخوف من احتمال توسع حلف الناتو الذي يمثل تهديدًا لروسيا ومصالحها، فقد ازداد عدد أعضائه بعد تجديد عقيدته سنة 2000 إلى أن وصل إلى دول أوروبا الشرقية، وقد أعربت روسيا بشكل متكرر عن قلقها إزاء توسع الناتو في القرن الحالي، وأقامت عدة مطالبات بإجراء مفاوضات حول هذا الموضوع، ومن جهته كان رد الناتو على أن توسعه متمثل في تعزيز الأمن والسلم في المنطقة، وذلك بعد أن عانت بعض دوله من الحروب والأزمات الداخلية في السنوات الأخيرة على غرار كوسوفو. غير أن هذا الخلاف تجسد على أرض الواقع في جورجيا وبعده أثناء ضم شبه جزيرة القرم في 2014، وكان ذلك بعدما عبرت أوكرانيا عن رغبتها في التحالف الرسمي مع المنظومة الغربية، لتتكرر الأحداث خلال 2022.

يتأثر الأمن القومي لروسيا بدول الجوار، جعل الأقليات الروسوفونية التي تعيش داخلها والتي تملك توجهات غربية على حساب النفوذ الروسي، تعاني من الأزمات بسبب التصادمات الروسية-الغربية، هذا وإلى جانب متغير الطاقة، بسبب امتلاك دول الجوار على شبكة انابيب حيوية لنقل الغاز الروسي إلى مختلف أنحاء أوروبا كجورجيا وأوكرانيا. والنزعة التوسعية التي لم تكن وليدة العصر بالنسبة لروسيا شكلت خطرا فعليا على هذه الدول، مما يجعل روسيا عرضة لتحديات سنتطرق إليها في فصلنا الأخير.

المبحث الأول: تداعيات مسألة الأقليات على الدول المجاورة لروسيا

أعرب الرئيس بوتين عن موقفه الحاسم في دعم "مواطنيه" خلال نضالهم من أجل اكتساب حقوقهم المدنية، ومحاربة التمييز الذي يتعرضون له في بلدانهم الرسمية، وكذا تثمين طموحاتهم في إبقاء لغتهم وثقافتهم الروسية. هذه المواقف أفرزت صراعا بين جورجيا وروسيا حول أوسيتيا الجنوبية وأبخازيا، وتمت إعادة تقسيم الأراضي المتنازع عليها، ورغم الخسائر البشرية والمادية التي عرفتها جورجيا إلا أنها عملت منذ تلك الفترة على تطوير اقتصادها، لكن تمسكها بالتقارب الغربي جعل الروسوفون في الاقليمين المنفصلين عرضة للتمييز، الأمر الذي عزز ضرورة وجود قوات حفظ السلام الروسية في المنطقة، أما أوكرانيا فقد عادت الأزمة إلى الواجهة كاستمرار لأحداث 2014، رغم استقرار الأوضاع نسبيا بعد الأزمة مباشرة.

المطلب الأول: الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في جورجيا

بعد الحرب التي وقعت في جورجيا عام 2008، شهدت البلاد تحسناً تدريجياً في الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية، عن طريق مجموعة من الإصلاحات عملت البلاد من خلالها على تنفيذ مجموعة من السياسات الاقتصادية لجذب الاستثمارات الأجنبية، وتحسين قطاع الأعمال. نتيجة لذلك شهد اقتصاد جورجيا نمواً مستقراً على مدار العقد الماضي، حيث بلغ معدل نمو الناتج المحلي الإجمالي من 2.4% سنة 2008 إلى 6.2% سنة 2010 وبقي مستقرا إلى حد ما، ووصل إلى 10.5% سنة 2021 حسب إحصائيات البنك الدولي[1]. ومع ذلك، فإن الاضطرابات الناجمة عن الحرب تركت آثاراً واضحة على بعض مناحي الحياة في البلاد وخاصة في مناطق الصراع.

من الناحية الاقتصادية، تضررت البنية التحتية للبلاد وتأثرت الاستثمارات الأجنبية، وانخفض الناتج المحلي الإجمالي، فمعدلات الفقر والبطالة لا تزال مرتفعة، خاصة في المناطق الريفية. وقد نفذت الحكومة برامج اجتماعية متنوعة للتعامل مع هذه القضايا والاهتمام بالقطاع الخاص، فتقوم جورجيا الآن بإعادة بناء بنيتها التحتية وتعزيز اقتصادها، مثل الدعم المالي للأسر الضعيفة وبرامج التوظيف.

عام 2008، انحصرت خيارات الحكومة الجورجية في توجهين، إما المقاومة أو التراجع، وقد ترتب عن هذه الحرب إضافة إلى الخسائر البشرية، تدمير المدارس والجسور والموانئ والشحن، تم عرقلة التجارة وفقدت الإنتاجية الزراعية في سهل جوري. تم إحراق الغابات في بورجومي - خاراغالي وأودية أتيني من قبل طائرات روسية تبحث عن القوات الجوية الجورجية المختبئة، وتهدد قناة

[1] World Bank, "GDP Growth (Annual %) - Georgia," accessed January 10, 2023, https://data.albankaldawli.org/indicator/NY.GDP.MKTP.KD.ZG?locations=GE.

أنابيب BTC بالقرب منها بأعمال القصف الروسية، وعلى الرغم من أن تدفق النفط تعطل لفترة قصيرة فقط، إلا أن القنابل أثارت شكوكا حول أمان قنوات تمرير الطاقة في المنطقة القوقازية الجنوبية. تعرضت جورجيا لأضرار بقيمة 1.2 مليار دولار في اقتصادها، وانخفضت احتياطات البنك الوطني بنسبة 40%، وسقط تصنيف الائتمان للبلاد بشكل كبير وهو ما جعل المستثمرين الأجانب ينهون أعمالهم في مصافي النفط ومحطات الحبوب والفنادق، وقد أكدت هذه الحرب الضعف الاقتصادي لجورجيا، بما في ذلك اعتمادها على تدفقات الرأسمال لتمويل عجز الميزانية.[1]

من الناحية الاجتماعية، فقد تسببت الاضطرابات في نزوح عدد كبير من السكان، وأدت إلى انتهاك حقوق الإنسان وتدمير الممتلكات مما اضطر إلى تدخل مساعدات دولية للتعامل مع الأزمات. فحسب برنامج الأمم المتحدة الإنمائي UNDP التابع للأمم المتحدة في مجال التنمية الدولية، فقد تسببت الأزمة في البداية في نزوح حوالي 150 ألف شخص من قراهم. وألحقت أضراراً بالبنية التحتية المحلية، وأثرت على الأعمال الزراعية، وتركت الكثير من الناس، النازحين والسكان المحليين، بدون مصدر للدخل وقد تم تقديم دعم مالي قدره 4.4 مليون يورو من الاتحاد الأوروبي و1.2 مليون دولار من أموال برنامج الأمم المتحدة الإنمائي الخاص للنازحين لإعادة بناء حياتهم بعيداً عن منازلهم[2].

ومع ذلك، قامت الحكومة الجورجية بجهود لمساعدة اللاجئين والمهجرين على العودة إلى مناطقهم، وإعادة بناء مجتمعهم وبيئتهم. كما عملت جورجيا على تحسين حقوق الإنسان والحكم الديمقراطي، وحققت تقدماً كبيراً في السنوات الأخيرة رغم أن الفساد وحرية الإعلام والتمييز ضد الأقليات لا تزال من بين المسائل المثيرة للقلق في الدولة.

كان وضع الناطقين باللغة الروسية في جورجيا بعد عام 2008 معقدة للغاية. حيث يعيش الكثيرون من الأقليات الروسوفونية في كل من أبخازيا وأوسيتيا الجنوبية. حصل الكثيرون منهم في هذه المناطق على الجنسية الروسية ولديهم علاقات وثيقة مع روسيا، والحكومة الجورجية لا تعترف بهذه المناطق، ولديها قدر محدود من السيطرة عليها، لذلك يواجه الكثيرون من الناطقين باللغة الروسية في أبخازيا و أوسيتيا الجنوبية صعوبات في الوصول إلى خدمات الحكومة الجورجية، أما بالنسبة للروسوفون الذين يعيشون في أجزاء أخرى من جورجيا، فقد حدث توتر بينها وبين الحكومة والمجتمع الجورجي عقب الحرب. ويواجه البعض منهم كل أشكال التمييز والتهميش.

على الرغم من أن بعض الآثار لا تزال قائمة من الحرب التي وقعت في جورجيا عام 2008، إلا أن الدولة حققت تقدماً كبيراً منذ حرب تلك الفترة، ما بقاء ما يجب العمل عليه لتحسين الظروف الاقتصادية والاجتماعية في البلاد.

---

[1]Stephan Jones, **Georgia: A Political History since Independence** (London: Routledge, 2016), 243.

[2] UNDP Georgia, "A Year After the War," UNDP Georgia, August 7, 2009, https://www.undp.org/georgia/stories/year-after-war.

المطلب الثاني: تبعات ضم شبه جزيرة القرم على الأوضاع السياسية والأمنية في أوكرانيا

إن الأزمة السياسية والعسكرية بين أكرانيا وروسيا الحالية، تعتبر استمرارا لمخرجات ضم شبه جزيرة القرم في 2014 لروسيا والنزاع في المناطق الشرقية لأكرانيا، وتستمر الحكومة الأوكرانية في مواجهة تحديات اقتصادية وسياسية وأمنية منذ ذلك الحين، أسفر عنها آلاف الوفيات وتهجير واسع النطاق.

كان انضمام شبه جزيرة القرم لروسيا، رد فعل على أزمة الحكم في أوكرانيا، والتي نتجت عن التقارب الأكراني مع الاتحاد الأوروبي، و قد قدم الرئيس بوتين حجج مماثلة للرئيس الأوكراني التي تم تقديمها في جورجيا عام 2008، بشأن حماية المواطنين الروس خارج حدود روسيا، و ركز بشكل أكبر على المحدد اللغوي مما أثار إحساسا ثقافيا أكثر تأثيرا على أهمية الوطن الأم بالنسبة لهم، و على عكس ما حدث في جورجيا، التي أكدت فيها الحكومة الروسية على ضرورة حماية حاملي جوازات سفر روسية، لم تكن هذه السمة البارزة في أوكرانيا، لأن حجة التدخل كانت مبينة على الحاجة لحماية المواطنين الروس بسبب ممارسة السلطات الأوكرانية التمييزية ضد الناطقين باللغة الروسية. وكانت حكومة كييف المؤقتة في خطابات بوتين، تشكل تهديدًا للأقليات الروسوفونية والأقليات الدينية في أوكرانيا، وخاصة في الشرق والجنوب الشرقي، بما في ذلك القرم. وزعمت روسيا أن القوى الوطنية والقومية في كييف كانت تقمع الروس على الأساس العرقي واللغوي.[1]

لقد حاول البرلمان الأوكراني إلغاء اللغة الروسية كلغة رسمية في 23 فبراير 2014، وإلى جانب كونها محاولة فاشلة، فقد عززت بذلك خطابات روسيا حول التضييق على أقليات أوكرانيا الروسوفونية، وعليه كان من الضروري التدخل باسم حماية هذه الأقليات وكان نفس السرد منطبقا عام 2008 حول المسؤولية الروسية الإنسانية لحماية أقلياتها.[2]

"وتشير لارا ريازانوفا كلارك Lara Ryazanova-Clarke أن 'الناطقين باللغة الروسية في القرم وشرق أوكرانيا يتم تصنيفهم على أنهم ينتمون إلى أمة العالم الروسي الممزقة' ، والتي تعرفها ب 'تسليح اللغة' . ففي خطابه التاريخي في 2014 بمناسبة ضم القرم، أشار الرئيس بوتين إلى 'طموح الروس، وروسيا التاريخية لاستعادة الوحدة' وقارن "إعادة توحيد" القرم مع روسيا بإعادة توحيد ألمانيا في عام 1989 . في 17 أفريل 2014، وعبر مزجه المتعمد بين الروس والمتحدثين باللغة الروسية، شرح بوتين الإجراءات الروسية على النحو التالي: 'كان أكثر المخاطر الواضحة هي التهديد الذي يتعرض له السكان الناطقين باللغة الروسية، وأن هذه التهديدات كانت محددة بشكل مطلق وواضح. هذا ما جعل سكان القرم، والأشخاص الذين يعيشون هناك، يفكرون في مستقبلهم ويطلبون مساعدة روسيا. كان هذا ما دفعنا إلى اتخاذ قرارنا [...]."'"[3]

[1]Pieper, **"Russkiy mir,"** 17.
[2]Pieper, **"Russkiy mir,"** 17.
[3]Pieper, **"Russkiy mir,"** 17-18.

لم يكن ضم القرم فقط مطالبة بسيطة لمزيد من السلطة على الأراضي في سياق التوترات الروسية الغربية، بل كانت انتهاكًا للقانون الدولي ومبادئ السلامة الإقليمية المدرجة في ميثاق الأمم المتحدة، واتفاقية هلسنكي لعام 1975 وميثاق باريس لعام 1990، وكانت أيضًا انتهاكًا لبيان بودابست لعام 1994، الذي اعترفت فيه روسيا "باستقلال وسيادة وحدود أوكرانيا الحالية" مقابل انضمامها إلى معاهدة عدم الانتشار النووي، كوسيلة لنزع ما تبقى من أسلحتها النووية الموروثة عن الاتحاد السوفيتي.[1]

لقد اتهم الغرب روسيا بالتناقض في سياستها الخارجية فمن جهة تدعوا روسيا إلى الاحتكام بمبادئ القانون الدولي في احترام سيادة الدول، ومن جهة أخرى تنشر قواتها العسكرية لدعم الأقليات الروسوفونية خارج حدودها، وقد وجد المحللون أن هذا التناقض بين الخطاب والسلوك ليس نتيجة مفاجئة فقد بررت روسيا هذا الاختلاف بقيام الغرب بنفس السلوك وكان التدخل في كوسوفو أبرز مثال على ذلك.

تنطلق سياسة روسيا الخارجية تجاه دول الجوار من مفهوم "التعاون الإنساني"، إلا أن المقاربة الأخرى تتمثل في استخدام روسيا شتاتها في الخارج بعد تفكك الاتحاد السوفياتي لتحقيق أهدافها الجيوسياسية في المنطقة، ويكتب روث ديرموند Ruth Deyermond في هذا السياق عن نهج ثنائي للسيادة تتبعه روسيا، تحدد من خلاله نموذج "ما بعد الاتحاد السوفيتي" الذي تكون فيه سيادة الدول المجاورة لها غير ثابتة. ويؤديه في هذا الطرح فيونا هيل Fiona Hill وكليفورد جادي Clifford Gaddy بأن رؤية بوتين للشؤون الخارجية مشروطة بمنظوره للعلاقات الأمريكية الروسية، وأنه يرى روسيا على أنها القوة السيادية الوحيدة التي تحيط بها دول بـ "سيادة غير ثابتة"، ولاحظ الباحثون أن خطاب روسيا حول السيادة وسلامة الأراضي، المعبر عنه في دبلوماسيتها العامة الرسمية، لم يتم تنفيذه بشكل متسق في سياساتها تجاه جيرانها في المنطقة.[2]

فبعد ضم شبه جزيرة القرم، أظهرت روسيا أن سيادة أوكرانيا قابلة للتفاوض. وفي سياق تصورها لـ "العالم الروسي"، استطاعت التأثير من خلال العامل اللغوي الذي يجمع المواطنين الروس وكذا الثقافة والشعور بالانتماء إلى هوية واحدة وأحقية الحماية من الوطن الأم المتمثل في روسيا.

استعادت الحكومة الروسية الآن مصطلحًا تم استخدامه خلال فترة الإمبراطورية القيصرية، للتأكيد على التراث المشترك بين روسيا وجنوب شرق أوكرانيا تحت السيطرة الإدارية لروسيا ،حيث ربطت الحكومة الروسية سياستها في أوكرانيا بتصور لـ "العالم الروسي" الذي لا يقتصر على حدود روسيا الاتحادية فحسب، وكان هذا الاستخدام متعمدا و له دلالات سياسية،

[1]Pieper, **"Russkiy mir,"** 18.

[2]Pieper, **"Russkiy mir,"** 19.

ولم يعد خطاب روسيا حول الشتات مرتبطًا بالعلاقات الخارجية مع جيرانها المباشرين فحسب كما كان عليه الحال في التسعينات، بل شمل جميع المتحدثون باللغة الروسية، بأهداف سياسية جيوبوليتيكية. وارتبط العالم الروسي بفكرة جذب الشتات وتوحيدهم لتبرير الحدود الجديدة التي يتم رسمها. فمن خلاله تستغل روسيا وجود هذه الأقليات سياسيا[1].

على الرغم من الإشارة إلى "العالم الروسي" في خطاب بوتين في مارس 2014 لتبرير سياسته في شبه جزيرة القرم، إلا أن روسيا لم تحاول بشكل دائم إعادة توحيد الرعايا الآخرين مع وطنهم. وهذا يشير إلى أن الحكومة الروسية كانت مدركة تمامًا لما ستكلفها سياستها في سمعتها، وأن المغامرات العسكرية في أراضٍ أجنبية أكثر تباينًا عرقيًا من القرم لن يكون من الممكن تبريرها. وحتى في حالات تكون فيها العرقيات أكثر وضوحا، فإن سياسة بوتين في إنكار المسؤولية السياسية والاستثمار بشكل كبير في العلاقات العامة للتستر على الضم الإقليم، تشير إلى أن الحكومة الروسية كانت تعلم أن مبرر حماية الرعايا كان مثيرًا للجدل للغاية. كما لا يرتكز على شرعية قانونية صلبة، وفي تبريرها لضمها لشبه جزيرة القرم فقد مزجت روسيا بين الجوانب العاطفية لمفهوم الشتات كاللغة والثقافة والروابط التاريخية وبين التهديدات "الفاشية[2]."

[1]Pieper, **"Russkiy mir,"** 20.
[2]Pieper, **"Russkiy mir,"** 21.

الشكل رقم 8: خريطة تمثل توزع الأقليات الناطقة باللغة الروسية كلغة أم في أوكرانيا لسنة 2001

Source : Al Jazeera America. "Mapping Ukraine's Identity Crisis." Last modified February 24, 2014. http://america.aljazeera.com/multimedia/2014/2/mapping-ukraine-sidentitycrisis.html.

تُظهر الخريطة نسبة المتحدثين باللغة الروسية كلغة أم في أوكرانيا لسنة 2001، حيث نلاحظ من خلالها أن نسبتهم عالية في شرق أوكرانيا والجنوب الشرقي فتتراوح من 66% فما فوق، بينما تنخفض بنسبة كبيرة في غرب البلاد وشمالها حيث تتحدث اللغة الأوكرانية أكثر فتقل النسبة عن 10%، ومن أهم المدن التي تتحدث الروسية فيها بشكل واسع Donetskو Luhansk و Sevastopolأين يحدث النزاع الحالي في أوكرانيا.

كانت السلوكيات الخارجية الروسية تجاه جورجيا في 2008 عبارة عن تحذير لجميع الجمهوريات السوفيتية السابقة الأخرى، بسبب العوامل التاريخية و الجغرافية التي تربطها بها وكذا وجودها داخل نطاق نفوذها الطبيعي، فأوكرانيا، مع ميولها الغربية وطموحات الانضمام إلى حلف الناتو، أكثر عرضة للتدخل الروسي، كما أن شبه جزيرة القرم كانت لفترة ما بلداً روسياً؛ الجزء الشرقي من البلاد يحتوي سكان من أصل روسي وروابط ثقافية قريبة لروسيا؛ كما أن الاقتصاد قد استُهدف أكثر من مرة بالابتزاز الطاقوي.[1] "***وقال بوتين للرئيس بوش في قمة الناتو في بوخارست في أفريل***

[1]**International Crisis Group**, Russia vs Georgia: The Fallout, Europe Report N°195 (Brussels: International Crisis Group, 2008), 17.

2008: "أنت تفهم، جورج، أن أوكرانيا ليست حتى دولة! ما هي أوكرانيا؟ جزء من أراضيها هو شرق أوروبا، والجزء الآخر، الأكثر أهمية، تبرعنا به من عندنا!".[1]

فالخطاب الصريح الواضح الذي أكده الرئيس الروسي بوتين في 2008، والذي لم يتضمن فقط عدم الاعتراف بالسيادة الكاملة لأوكرانيا وإنما هددها بمحوها من الخريطة إن انضمت إلى حلف الناتو بشكل رسمي، كان أبرز ملامح التوجهات الروسية الصارمة بمستقبل أوكرانيا، والذي تجلى في ضم شبه جزيرة القرم وانعكس يتأزم الأوضاع الأمنية والسياسية في أكرانيا.

يشكل التدخل العسكري الروسي في أوكرانيا الذي بذأ في السنة الماضية والذي لا يزال قائما إلى يومنا هذا أكبر تهديد للسلام والأمن في أوروبا منذ نهاية الحرب الباردة، وكان خطاب بوتين في 21 فيفري 2022 حادا بشكل خاص، إلا أنه ردد بشكل أكبر أن الروس والأوكرانيين يشكلون "شعب واحد" وأن تاريخهم المشترك يعني أنهم يجب أن يشاركوا نفس المصير السياسي اليوم. مثل ما وصف الروس والأوكرانيين بأنهم "شعب واحد" في خطابه سنة 2008 وفي مارس 2014 إلى البرلمان الروسي (الدوما)، الذي أعلن فيه ضم شبه جزيرة القرم، وعاد إلى نفس الموضوع في السنوات التالية في خطابه قبل التدخل في أوكرانيا و الذي صرح فيه أن الدولة الأوكرانية الحالية هي نتاج ما أنشأه الاتحاد السوفيتي ويجب تغيير اسمها ليحمل اسم مُنشئها زعيم الثورة البلشفية فلاديمير لينين[2].

المطلب الثالث: تأثير العوامل الخارجية على صناعة القرار الروسي في مسألة الأقليات الروسوفونية.

تؤثر العوامل الخارجية بشكل كبير على صناعة القرار الروسي في السياسة الخارجية، وذلك بسبب موقع روسيا الجغرافي المهم وتاريخها الحافل ودورها في العديد من الشؤون الدولية، فردود الفعل من طرف الدول المجاورة لروسيا، كانت متباينة بخصوص الحرب الجورجية الروسية وهذا ما يعكس السياسات التي تربط روسيا بها، ومدى تأثيرها في القرارات على المستوى الإقليمي و كذا تبعاتها و أخذها بعين الإعتبار السياق الدولي الذي تتحرك فيه.

على عكس جورجيا وأوكرانيا، تتمتع دول البلطيق بحماية انضمامها إلى الاتحاد الأوروبي وحلف شمال الأطلسي، ولكنها تعاني أيضًا من ضعف وجود جماعات عرقية روسية كبيرة. وزادت مطالبة موسكو بأن حقوق تلك الجماعات تتعرض للاستغلال في سياق ادعاءاتها بشأن التزاماتها الدستورية، وتفسيرها لمطالب المسؤولية للحماية في جورجيا. فالعديد من المسؤولين الروس والإعلام والمواطنين العاديين على حد سواء في الدوائر الرسمية الروسية، يشيرون إلى أن الصراع في جورجيا

[1] **International Crisis Group**, Russia vs Georgia, 17.
[2] Jeffrey Mankoff, "Russia's War in Ukraine: Identity, History, and Conflict," **Center for Strategic and International Studies**, April 2022, 2.

ليس بين روسيا وجورجيا، بل بين روسيا والغرب. وبالمثل تشير وسائل الإعلام الغربية. يعزز الصراع الروسي الجورجي خطوط الانقسام بين تلك الدول التي تريد علاقات وثيقة مع الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي، وتلك التي تبقى ضمن نطاق نفوذ روسيا، ففي بيان مشترك، دعا رؤساء الدول الثلاث البلطيقية وبولندا الاتحاد الأوروبي وحلف الناتو لمواجهة السياسة الامبريالية التعديلية الروسية في شرق أوروبا، وفي 14 أوت 2008، وقّعت بولندا والولايات المتحدة اتفاقًا بشأن إقامة قاعدة صاروخية مضادة في بولندا بعد 18 شهرًا من المفاوضات. وأكد وزير الخارجية البولندي أن هذا الاتفاق هو نتاج "وضع دولي جديد". وأعلنت أوكرانيا استعدادها لجعل أنظمة الإنذار المبكر بالصواريخ متاحة للدول الأوروبية بعد الصراع بين روسيا وجورجيا. وكرد فعل روسي، تم نشر الصواريخ البالستية قصيرة المدى (SS-21) في جنوب أوسيتيا ردًا رمزيًا على الأوضاع في المنطقة،[1]

"...أوضح مسؤول في رابطة الدول المستقلة بعد الدخول العسكري لروسيا في جورجيا أن "روسيا تظهر الآن وجهها الحقيقي... وسنصبح حقًا مستقلين عندما يضعف اقتصادهم". والدرس الذي تعلمناه هو ضرورة الحفاظ على سياسة خارجية متوازنة مع كل من روسيا، والولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد الأوروبي..."[2]

من جهة أخرى، على الرغم من أن أذربيجان هي حليف قريب لجورجيا وأنها فقدت إيرادات طاقة كبيرة منذ 8 أوت 2008، إلا أن الرئيس الأذربيجاني لم يصدر أي بيان حول الصراع الجورجي الروسي، أما في آسيا الوسطى، فقد أبدت ولاءها لروسيا، فكان تسامح من جانب تركمانستان وكازاخستان لإجراء صفقات مع غازبروم، بالإضافة إلى تعزيز عام لمنظمة التعاون شنغهاي(SCO) ، التي تلعب روسيا دورًا رئيسيًا فيها.

روسيا مهتمة أيضًا بإعادة النظر في الإطار الأوسع للأمن الأوروبي، حيث دعا الرئيس ميديفيديف في خطابين رئيسيين في يوليو 2008 إلى التفاوض على معاهدة جديدة بشأن الأمن الأوروبي لإنشاء "نظام أمني مفتوح وجماعي حقًا" و أنه يجب عليه التحدث في الوقت الحالي عن [مفهوم] فضاء يورو أطلسي واحد من فانكوفر إلى فلاديفوستوك"، وقال السفير الروسي لحلف شمال الأطلسي ديمتري روجوزين Dimitri Rogozine أن روسيا ترغب في عقد منتدى دولي يضم منظمة الأمن والتعاون في أوروبا وحلف شمال الأطلسي والاتحاد الأوروبي والدول المستقلة ومنظمة معاهدة الأمن الجماعي، لم يكن هناك سبب لعدم مناقشة هذه القضايا ما لم تتخذ موسكو أسلوب المواجهة، مثل ما حدث مع فكرة الاتحاد الأمني الأوروبي السوفيتي القديمة التي تحولت إلى عملية هلسنكي. فيجب أن يكون هناك تعامل مع روسيا بدلاً من المحاولات في عزلها من طرف الغرب[3].

[1] **International Crisis Group**, Russia vs Georgia, 18.
[2] **International Crisis Group**, Russia vs Georgia, 18-19.
[3] **International Crisis Group**, Russia vs Georgia, 19.

التفاعلات المحيطة بروسيا سواء مع الجهة الغربية والإتحاد الأوروبي والولايات المتحدة الأمريكية أو مع الجهة الشرقية، تؤثر على صناعة القرار الروسي في السياسة الخارجية من عدة جوانب من بينها، العلاقات بالدول التي تعتبرها روسيا منافسة لها أو تتعارض معها في بعض القضايا الدولية على رأسها أعضاء حلف الناتو، وتوسعه منذ الحرب الباردة إلى يومنا هذا.

إن سؤال التوسع الذي يسعى إليه حلف الناتو وطبيعته أساسي لفهم الأزمة التي حدثت في جورجيا. فمن جانبها، تسعى روسيا إلى معاقبة دولة واحدة بسبب طموحاتها للانضمام إلى الناتو، وتحذير الدول الأخرى، وخاصة أوكرانيا، من عدم اتباع نفس السياسة، إضافة إلى إظهار عدم فاعلية الناتو. فقد أتاحت محاولة جورجيا التوسع في أوسيتيا الجنوبية، إبراز تهور حكومة تبليسي، واستعداد روسيا لاستخدام القوة الساحقة ضد أي تهديد يشكل خطرا على مصالحها الأساسية، وأيضًا خطورة سلوك دول شركاء قديمة سابقا في الاتحاد السوفيتي في الانضمام إلى الناتو. فتعارض روسيا منذ فترة طويلة التوسع الشرقي لحلف الشمال الأطلسي، الذي يعتبر انتهاكًا صارخًا حسب روسيا من طرف الرئيس بوش الأب تعهده بعدم توسيع حلف الناتو ليشمل الدول السابقة السوفيتية. كانت روسيا مضطرة نتيجة ضعفها آنذاك، للموافقة على انضمام دول البلطيق، لكن بعد مرحلة تعافيها، وضعت روسيا خطا لمنع حدوث توسع إضافي في أوكرانيا وجورجيا، وتزداد اعتراضاتها نظرًا للمواقع الاستراتيجية لهذين البلدين على حدودها. وعلى الجانب الآخر، تعتبر جورجيا الانضمام إلى الناتو من بين الطرق لضمان أمنها ضد جارها. فكان انضمام جورجيا إلى الناتو أحد أولويات سياسات ساكاشفيلي بعد الاستيلاء على السلطة وكرس جهودا كمرشح للإنضمام لكن روسيا منعت كل خطوة لهذا الصدد[1].

بالإضافة إلى ذلك، يمكن أن تؤثر العوامل الاقتصادية على صناعة القرار الروسي في السياسة الخارجية، فالجهات الرسمية وغير الرسمية، مثل الحكومة والبرلمان والرئاسة والصحف والمشاورات العامة معنية بسلوكها الخارجي، إذ تسعى روسيا إلى الحفاظ على مصالحها الاستراتيجية في المنطقة والتأثير على توجه الأحداث فيها، و تعد طرق نقل أنابيب الغاز التي تستغلها روسيا عنصرا أساسيا في سياستها الخارجية، نظرا لاعتماد اقتصادها على جزء كبير من مداخيله، كما يعد همزة وصل بينها و بين أوروبا و باقي الدول المجاورة التي تستورد بشكل كبير النفط و الغاز الروسي.

يعتبر عبور الطاقة مساهمًا مهمًا في الاقتصاد الجورجي ويساعدها في الحصول على النفط والغاز اللازم للاستهلاك المحلي، كما أن جورجيا بلد عبور مهم للنفط والغاز، وهي الطريق الرئيسية الوحيدة لنقل النفط القزويني إلى الأسواق العالمية والتي لا تمر عبر روسيا. يتم نقل النفط المنتج في أذربيجان عن طريق خط أنابيب باكو-تبليسي-جيهان(BTC) ، وخط أنابيب باكو-سوبسا. وعربات السكك الحديدية إلى موانئ جورجيا، ويأخذ خط الأنابيب باكو-تبيليسي-أرضروم الغاز المنتج في

[1] **International Crisis Group**, Russia vs Georgia, 10-11.

أذربيجان إلى مدينة إرضروم التركية، كما تستورد جورجيا الغاز من روسيا وتنقل الغاز المصدر إلى أرمينيا. وحوالي 12% من كهربائها قادم من روسيا وأرمينيا، والعديد من شركات الشبكة الكهربائية لجورجيا هي شركات روسية.[1]

حكام جورجيا كما يشير ستيفن جونز Stephan Jones دائما ما يواجهون خيارات أمنية صعبة ومحدودة، حيث تقع جورجيا ضمن منافسة دولية على ممر الطاقة في جنوب القوقاز ومنطقة البحر الأسود، والمفاوضات حول الانضمام إلى الحلفاء في تحالف رابطة الدول المستقلة وحلف الشمال الأطلسي، ووجود جنود أجانب في جورجيا، بما في ذلك الروس والأميركيين، والصراعات مع حركات الانفصال - جميعها إعادات تجسيد للقضايا الأمنية الوطنية التي طالما تعرض لها حكام جورجيا منذ العصور الوسطى، فقد جلب الموقع الجغرافي لجورجيا حسبه من جهة فوائد، حيث تعمل تيبيلسي كمركز تجاري ونقل في المنطقة ، وساحل البحر الأسود لجورجيا يتيح الوصول إلى التجارة الأوروبية، ففي نهاية القرن التاسع عشر، كانت باتومي واحدة من المحطات الرئيسية للنفط في العالم، كما أن توسع الاتحاد الأوروبي في بلغاريا ورومانيا عام 2004 جعل جورجيا دولة مجاورة له، وقد شجعت الشبكات الطاقوية مثل ممر النقل أوروبا - القوقاز - آسيا (TRACECA)ونقل النفط والغاز بين الدول و إلى أوروبا(INOGATE) ، الزعماء الجورجيين على التفكير في جورجيا على أنها "محور جغرافي" بين الشرق والغرب. فتصدّر أذربيجان وأرمينيا بضائعهم من خلال جورجيا، وهي شريك تجاري هام لإيران ووسط آسيا لوصول المنتجات التي تصدر إلى الأواق الأوروبية، تم تعزيز التوجه الغربي لجورجيا من قبل بريطانيا والولايات المتحدة مع خط الأنابيب عبر جنوب القوقاز، وعبر تحويل جورجيا من التحالف مع روسيا إلى التحالف مع تركيا والغرب، فقد أدى تموضعها في منافسات الطاقة بين روسيا والولايات المتحدة إلى عواقب وخيمة، وفي حرب 2008، قصفت روسيا بالقرب من خطوط الأنابيب للنفط والغاز في جورجيا، ليس لتدميرها ، ولكن لإظهار ضعف ممر الطاقة في جنوب القوقاز، فكانت دوافع روسيا لغزو جورجيا متعددة، وكان أهم ما فيها أهمية الجيواقتصادية للمنطقة[2].

[1] **International Crisis Group**, Russia vs Georgia, 13.

[2] Jones, **Georgia**, 246.

المبحث الثاني: تأثير سياسة الهوية واللغة على العلاقات الروسية مع دول الجوار

إن التجربة التاريخية المتراكمة التي مرت بها روسيا الإتحادية، جعلها تدرك أهمية وخطورة المناطق الواقعة في آسيا الوسطى والقوقاز، ما جعلها تبني سياستها الخارجية وفق المنظور الذي يمنح روسيا حرية وأحقية التحرك في مجالها الحيوي، فمصلحتها الوطنية مرتبطة بهويتها، وأدى هذا الترابط إلى التأثير على مجمل علاقاتها في البيئة الدولية، غير أن هذا الاختيار فرض على روسيا قيود داخلية وخارجية وفق ما تمليه قواعد النظام الدولي.

المطلب الأول: السياسة الخارجية الروسية وفق الطرح البنائي

الطرح البنائي في العلاقات الدولية يؤكد دور الأفكار والمعايير والإنشاءات الاجتماعية في تشكيل سلوك الدول والجهات الأخرى في النظام الدولي. وتقول إن الواقع الاجتماعي والسياسي للنظام الدولي لا يتحدد بواسطة القوى المادية وحدها، وإنما يتشكل أيضًا بواسطة المعتقدات المشتركة والهويات والمعايير الاجتماعية التي تشكل سلوك الأفراد والدول. وبحسب البنائيين، يمكن أن تؤدي الأفكار والقيم إلى ظهور معايير ومؤسسات جديدة، التي من ثم يمكن أن تساعد في تشكيل سلوك الدول وتوازن القوى في النظام الدولي.

لقد برر الرئيس الروسي بوتين عملياته العسكرية في أوكرانيا بتوسع حلف شمال الأطلسي و ما يشكله من خطر أمني في المنطقة، و بالإضافة إلى المبررات الجيواقتصادية التي سبق وذكرناها في المطالب السابقة المتعلقة بأهمية الموقع الحيوي لأوكرانيا و حتى جورجيا، إلا أن الخطاب الروسي الذي أعلنه بوتين منذ بداية الاشتباكات الروسية الاكرانية الحالية كما أشار إليه جيفري منكوف ركز على قضية أساسية أكثر وهي شرعية الهوية الأوكرانية والدولية نفسها. يعكس هذا الخطاب رؤية من رؤى بوتين القائلة بضرورة وحدة قوية بين السلاف الشرقيين - الروس والأوكرانيين والبيلاروسيين - والذين يعود أصلهم إلى Kievan rus المشترك، ويوحي بأن الدول الحديثة لروسيا وأوكرانيا وبيلاروس يجب أن تشترك في مصير سياسي واحد اليوم ومستقبلا. كما يشير إلى أن هويات الشعب الأوكراني والبيلاروسي المتميزة هي نتيجة للتلاعب الأجنبي وأن هوياتهم الوطنية المستقلة هي وهمية وبالتالي هشة وبأن الغرب بصفته المنافس الإمبريالي لروسيا يستخدم أوكرانيا (وبيلاروسيا) كجزء من "مشروع مكافحة روسيا"anti-Russia project" .[1]

لقد شهدت أوكرانيا خلال العقود الثلاثة الماضية حسب جيفري مانكوف وخاصة منذ "ثورة الكرامة" عام 2014 والضم الروسي لشبه جزيرة القرم والتدخل في دونباس - تماسكًا كبيرًا للهوية المدنية الأوكرانية والتي لا تضم فقط هذه الأمة المدنية الأوكرانية المتحدثين باللغة الأوكرانية في

[1]Mankoff, **"Russia's War in Ukraine"**, 1.

الجزء الغربي من البلاد، ولكن أيضًا الشرق الروسي الناطق باللغة الروسية و.نشأ جيل في أوكرانيا المستقلة التي على الرغم من عيوبها ، حافظت على ديمقراطية راسخة أكثر توجها نحو القيم الأوروبية بشكل كبير بسبب تدخل روسيا العدواني، أما فيما يخص روسيا فقد بقيت بنظره مهووسة بطموحها نحو قوتها كامبراطورية حيث غالبا ما يستحضر بوتين الإمبراطورية الروسية و شعبها في خطاباته خاصة الأصول السلافية الارثوذوكسية والذي أطلق عليه المؤرخ تيموثي سنايدر Timothy Snyder "سياسة الخلود"، وهي الاعتقاد بجوهر تاريخي ثابت[1].

يعيد جيفري منكوف سبب التدخل الروسي العسكري في أوكرانيا والذي سماه بالغزو الروسي في كثير من المواضع إلى عودة الهوية الأوكرانية في السنوات الأخيرة و تقاربها مع العالم الغربي الأوروبي الذي تعتبره روسيا مصدر تهديد أو كما سماها عودة أوكرانية أوكرانيا، فيقول" ***بينما أصبحت أوكراني أكثر أوكرانية بشكلٍ متزايد خلال السنوات الأخيرة، المسؤولون الروس والمحللون (القليل منهم من تكبد عناء تعلّم اللغة الأوكرانية) كانوا غير مدركين لتلك التغييرات"***[2]، فالوضع الحالي قي أوكرانيا حسبه قد جعل المواطنين الأوكرانيين من جميع المناطق و الخلفيات اللغوية أكثر اتحادا وبالتالي فشل روسيا في السيطرة على أوكرانيا بشكل دائم.

تركيز الرئيس الروسي بوتين ي خطاباته على فكرة الوحدة التاريخية ودعم الهوية الروسية و كذا تحليل مانكوف الذي يشير إلى صراع الهويات دليل على أهمية هذا المتغير كعامل رئيسي في فهم الصراع الروسي الأوكراني بصفة خاصة و السياسة الخارجية الروسية تجاه دول الجوار بصفة عامة. فالنظرية البنائية تنظر إلى الهوية باعتبارها عاملا مهما في تحديد سلوك الأفراد والدول في النظام الدولي. وهي تشمل عدة عناصر مثل الدين واللغة والتاريخ والثقافة والجغرافيا والقيم التي تترجم على شكل مصالح تتحرك الدول على أساسها.

تعد الهوية العنصر الجوهري الذي ركزت عليه البنائية و أهملته جميع النظريات التفسيرية ، حيث يتم الانتقال من المستوى الداخلي المتعلق بالافكار الى المستوى الدولي المتعلق بطبيعة توجهات الدول سواء نحو الصداقة و التعاون أو نحو الحرب و العداوة، فعلى سبيل المثال، يؤدي الانتماء الديني أو الثقافي إلى تشكيل رؤية مشتركة لدى الدول المنتمية لنفس المجموعة مما يؤدي إلى تعزيز علاقاتهم وتعاونهم في العديد من المجالات و تؤثر العوامل الثقافية بشكل مباشر و غير مباشر على الهوية و تستجيب الدول لمطالبها ، و هذا ما يفسر بروز قضايا الأقليات بعد الحرب الباردة و تنامي الحروب الداخلية القائمة على أسباب طائفية أو انتماءات عرقية و ثقافية معينة.

وفي مقالته" "الفوضى هي ما تصنعه الدول: البناء الاجتماعي للسياسة القوية" لألكسندر واندت Alexander Wendt والذي يشكل جوهر الطرح البنائي في تحليل العلاقات الدولية، يرد فيه

[1]Mankoff, **"Russia's War in Ukraine"**, 1-2.
[2]Mankoff, **"Russia's War in Ukraine"**, 3.

على الاعتقاد السائد بأن النظام الدولي هو بطبيعته فوضوي، ويؤكد أن الدول يمكنها اختيار النظر إلى الآخر على أنه إما عدو أو حليف وبالتالي يتحدد سلوكها وسياساتها. وكما يقول ويندت" ***الهويات هي أساس المصالح. الفاعلون ليس لديهم "تعريف" عن المصالح التي يحملونها بشكل مستقل عن السياق الاجتماعي؛ بل إنهم يحددون مصالحهم في عملية تحديد المواقف"[1]***. بالتالي طبيعة العلاقات بين الدول ليست محسومة كما جاءت في النظريات الوضعية. حيث ان الفوضى التي تنشأ فيها الهويات التي تحدد مصالحها ما هي الا من صنع الدول.

كما ركزت النظرية البنائية على ما يعرف باستخدام اللغة، استفاد البنائيون بما يعرف ب " المنعطف اللساني " في الفلسفة والذي يكمن في إعطاء اللغة والكلمة معناها المادي، واللغة تقوم على قواعد يجب معرفة كيفية استغلالها لإحداث التغيير من خلال الخطاب الذي يشير الى مجموعة من الممارسات التي يتم من خلالها انتاج المعنى. يستعمل العديد من القادة و الرؤساء و الثوريون الخطاب كأداة لتحقيق أهداف سياسية ، عسكرية ، اقتصادية و تكثر الخطابات العرقية أو ذات الطابع الديني اللتان تعدان من أقوى أنواع الخطابات الى كسب الرأي العام و تحريك مكنونات المستمعين و تسمح بالتعبير بدلا عنهم و توجيههم الي سياقات و انفعالات لم يدعوا اليها بالضرورة ، و قد تمكنت العديد من الشخصيات منذ قيام البشرية باستخدام الخطاب في النزاعات و ذلك بالأخذ بعين الاعتبار العامل الزمني و المكاني و استغلاله على أكمل وجه لتحقيق مكاسب شخصية أو قومية و قد استعمل هتلر كمثال الخطاب في ضم النمسا الى المانيا باستغلال الخلفيات العرقية التي تجمع البلدين كما أنه كسب تأييد الشعب الألماني في أشد الأوقات صعوبة بعد تحطم ألمانيا وبالتالي ضمن دعمهم خلال الحرب العالمية الثانية . والخطاب في يوغسلافيا الذي أدى الى نشوب نزاعات قائمة على التفرقة رغم ان أن الكروات والصرب والمسلمون كانت تعبر عن هوية مشتركة " السلافيون الجنوبيون " كانت تعيش في سلام.

ونلمس استغلال هذا المتغير في السياسة الخارجية الروسية تجاه دول الجوار، فالخطابات السياسة لصناع القرار الروس و على رأسهم بوتين تدعوا إلى دور الهوية الروسية في صناعة القرار الروسي الذي يؤثر على توجهات الرأي العام داخل الدول المعنية بخدمة المصلحة الروسية و من خلال تركيزها على نشر اللغة الروسية سواء من خلال الخطابات أو المؤسسات المعنية كروسكي مير، فهي تعزز من احتمالية قبول هذا البناء الاجتماعي الذي يغذيه التاريخ المشترك لروسيا و الدول المجاورة لها و هذا بعد تتابع سياسات الترويس بداية مع الإمبراطورية إلى الهجرة التعسفية التي شهدتها فترة ستالين أثناء الاتحاد السوفياتي وكذا سياسات اللغة في تلك الفترة.

[1] Alexander Wendt, "Anarchy is what states make of it: the social construction of power politics," **International Organization** 46, no. 2 (1992): 398.

وحسب جيفري مانكوف فإن التركيز الذي يوليه بوتين والنخب الروسية لمسألة وحدة روسيا الأوكرانية البيلاروسية على تفسير أسباب الصراع الحالي، ولماذا كانت موسكو مستعدة لخوض حرب كبيرة الحجم على حدودها رغم عدم وجود تهديد عسكري مباشر من أوكرانيا أو الناتو. كما أنه يشير إلى أن طموحات موسكو تتجاوز منع انضمام أوكرانيا إلى حلف الناتو وتمتد إلى طموح أكثر شمولية لهيمنة أوكرانيا بشكل سياسي وعسكري واقتصادي. كما يساعد على تفسير استراتيجية روسيا العسكرية التي رغم استطلاعات الرأي التي أظهرت أعدادًا كبيرة من الأوكرانيين مستعدين لحمل السلاح للدفاع عن بلادهم ضد الروس إلا أن الجزء الشرقي من أوكرانيا كان أكثر إقبالا على الاندماج مع النفوذ الروسي بسبب العلاقات المشتركة الثقافية واللغوية والدينية وغيرها مع روسيا. فرهان موسكو حسبه لم يكن مستحيلاً تمامًا نظرًا لحداثة التحول وثبات العلاقات العائلية والروابط الأخرى التي تجمع الحدود الروسية-الأوكرانية. ومع ذلك، فإن حرب روسيا تعثرت لأن الاعتبار الروسي بشأن ضعف الهوية الأوكرانية كان خاطئا.[1]

ويعتبر هذا التضارب الهوياتي الروسي الأوكراني نتاجا لمسارات تاريخية تمت دراستها بمنظور مختلف في كل من الدولتين تجسدت في منظمتيهما التعليمية و تحليلهما للوقائع التاريخية كذكرى هولودومور، التي تعني يمكن ترجمتها باللغة الأوكرانية " الإبادة بالجوع "، فهولود تعني "الجوع" و مور قتل أو إعدام، فهذه الحادثة التي وقعت في الفترة الستالينية لم يتم ذكرها عند الروس بسبب الرقابة التي فرضتها الدولة، حيث اعتبرتها جزء من سياسة عامة شملت طبقة الكولاك أو الملاك الصغار، و بالمقابل نظرت إليها أوكرانيا بسبب اسهامات الأوكران المتواجدين في الغرب عموما، على أنها إبادة جماعية هدفت إلى القضاء على العرق الأوكراني. فهذا السرد لمختلف الأحداث مرتبط برهانات وتحديات سياسية يوظف في مختلف الخطابات واستخدمته أوكرانيا على وجه الخصوص لتشكيل هويتها الوطنية وبالتالي تحديد توجهات سياساتها نحو روسيا.[2]

المطلب الثاني: التوجه التوسعي لروسيا الاتحادية وانعكاس هذا الطرح على الوضع الداخلي الروسي

إن طموحات الرئيس بوتين العالمية قد دعمها امتلاك روسيا للعناصر الاستراتيجية المطلوبة في التفاعلات الدولية كسوق النفط والغاز وتجارة السلاح، وكذا صوت روسيا في مجلس الأمن بعضويتها الدائمة وحق الفيتو الذي تستخدمه لتحقيق أهدافها وكذا تركيبتها السكانية وثقافتها

[1] Mankoff, **"Russia's War in Ukraine"**, 1-2.

[2] علي لوراري، حميد رامي، "حروب الذاكرة: مقاربة بنائية اجتماعية لفهم النزاع الأوكراني الروسي"، **مجلة السياسة العالمية** 6، رقم 2 :(2022)، 27.

وتاريخها، فهي مصادر قوة تتحكم بها في سياسات الدول الأخرى وتبسط من خلالها نفوذها. ويمكن القول إن السياسة الخارجية الروسية عادة ما تتسم بنهج سياسي يعطي الأولوية للمصالح الوطنية واعتبارات التوازن السلطوي فوق الأيديولوجيا أو الأخلاق. فقد سعى زعماء روس في كثير من الأحيان إلى سياسات عملية تهدف إلى تعزيز تأثير روسيا وأمنها وحماية مصالحها الاقتصادية والاستراتيجية.

إن شواهد التاريخ الروسي تشير إلى أن أي اقتراب عسكري يسعى لغزو موسكو، يستدعي إعادة نهوض القوة الروسية من جديد، ليس فقط لإيقاف الغزو العسكري، وإنما لتحقيق توسع وانتشار عالمي للقوات الروسية، فقد أعقب محاولة غزو موسكو من قبل نابليون بونابرت عام 1812، القضاء على الجيش النابليوني و التوغل الروسي في الأراضي الأوروبية و ضم أقاليم أوكرانيا و روسيا البيضاء(بيلاروسيا) والقوقاز، و عندما حاولت الجيوش النازية الألمانية غزو موسكو عام 1941، نهضت القوات الروسية لطرد الألمان و التوسع من جديد على حساب الأراضي الأوروبية، فضمت إليها منطقة كايلينا الفنلندية، ومولدافيا و بيسارابيا من رومانيا و دول البلطيق، كل من استونيا ولاتفيا و ليتوانيا.[1]

فدعوة الولايات المتحدة الأمريكية لدخول أوكرانيا إلى حلف الناتو عام 2014، ومحاولة التقرب الغربي الجورجي، جعلت روسيا تشعر بهذا الخطر الذي يهدد مجالها الحيوي، علما أن كل من جورجيا وأوكرانيا لا تبعد عن العاصمة موسكو، مما عزز ردة فعلها المتكررة تاريخيا في ضم أراضي إليها والتوسع بقوة أكبر نحو الغر، كما حدث في شبه جزيرة القرم وشرق أوكرانيا حاليا.

كما أن التدخل في جورجيا كان نقطة تحول في علاقات روسيا مع جيرانها والمجتمع الدولي في نطاقه الواسع. وقد تميز بالثقة بالنفس والعدوانية، والاستعداد لدفع المواجهة إلى الحد الأقصى وتجاهل الرأي الدولي. فقد اعتمدت روسيا المدفوعة بالنمو السريع الذي حققته ثروتها الوطنية بفضل النفط والقطاع الطاقوي، أنها يجب أن تمارس تأثيرا حاسما على التفاعلات الدولية. وعلى مدى عقدين تقريبًا، أبدى الكرملين اهتمامًا بالتعاون والاندماج مع المؤسسات الغربية غالبا تبعا لشروطها، لكنه يعود الآن إلى اعتماد متغير القوة بإصراره على التحرك بقواعده الخاصة. كما أنها على استعداد لتخاطر بقبول درجة من العزلة الدولية، إذا اعتبرت هذه التكاليف ضرورية لتحقيق هدفها في ضمان أمنها على حدودها، حيث أن جيرانها من الدول تقبل طوعا أو إكراها خياراتها المتعلقة بطبيعة تفاعلها مع الاتحاد الأوروبي والولايات المتحدة الأمريكية.[2]

توظيف روسيا لمسألة الأقليات الروسوفونية، للعب دورها في الجوار الأقليمي، لا ينبع فقط من المحددات الخارجية و من ما تحمله من قدرات عسكرية و سياسية، فيمكن أن تلعب التركيبة

[1] شنافة، **"المسعى الروسي لضبط الدور العالمي"**، 177.

[2] **International Crisis Group**, Russia vs Georgia, 16.

المجتمعية دورا بارزا في دعم توجهات الدولة الخارجية، فإضافة إلى السكان، نجد ثقافتهم المتجذرة حتى على مستوى الطبقة الحاكمة، فالمجتمع الروسي لا يزال يؤمن بأهمية روسيا ومكانتها كقوة قيادية، ويعتقد العديد من الباحثين كألكسندر دوغين، أن إعادة بناء الإمبراطورية الروسية هي فقط الصيغة الوحيدة للوجود اللائق و الطبيعي للشعب الروسي وعلى أنه الإمكانية الوحيدة للوصول برسالته التاريخية و الحضارية إلى أبعد مدى.[1]

رغم أن تاريخ روسيا كله عبارة عن تمدد و توسع إلا أن هذه الطموحات التوسعية يمكن أن تنعكس داخليا بشكل سلبي عن طريق خلق انقسامات بين الأعراق التي تشكل روسيا حاليا، فقد عبر بوتين عن اتهاماته للغرب و حلف الشمال الأطلسي بأنهما يسعيان إلى تفكيك روسيا في العديد من التصريحات، ومن بينها ما صرحبه مؤخرا خلال اجتماع لمجلس العلاقات بين الأعراق في جنوب روسيا شهر ماي الماضي 2023 أن ***"الغرب يحاول بنشاط بث التفرقة بين المجموعات العرقية المختلفة التي تعيش في روسيا، وتقسيم البلاد إلى دول متعددة"*** و أضاف ***"لقد قرر خصومنا أن تعدد الجنسيات في روسيا هو نقطة ضعفنا، وهم يبذلون قصارى جهدهم لتقسيمه"***[2] وتعددت هذه الخطابات خاصة بعد الهجوم العسكري الأخير الذي شنته روسيا على أوكرانيا.

ولم تكن هذه المرة الأولى التي طرحت مسألة تقسيم روسيا، فقد تنبأ المحللون السياسيون منذ تفكك الاتحاد السوفياتي عام 1991 كالباحث الأمريكي إيلان بيرمان Ilan Berman ، وخبير في شؤون روسيا والشرق الأوسط في مؤلفه Implosion: The End of Russia and What It Means for America (انهيار: نهاية روسيا وماذا يعني ذلك لأمريكا) في عام 2013، حيث تناول التحديات التي تواجه روسيا مثل التدهور الديمغرافي والفساد والإرهاب والانفصالية وكيف تؤثر على استقرارها.

لا يمكن استبعاد مسألة تقسيم روسيا وفقا لعدة أسباب محتملة نذكر منها:

- **الأزمة الديمغرافية** بسبب انخفاض معدلات المواليد وارتفاع معدلات الوفيات وشيخوخة السكان والهجرة، مما قد يؤدي إلى نقص في القوى العاملة ومشاكل اجتماعية وتوازنات عرقية.
- **التنوع العرقي والإقليمي** بسبب وجود أكثر من 100 مجموعة عرقية و85 كيانًا فيدراليًا، بعضها لديه لغات وثقافات وأديان وتاريخ خاص به، مما قد يغذي المشاعر القومية والمطالب بالحكم الذاتي أو الاستقلال. خاصة وأن التاريخ قد شهد على نجاح هذه الحركات في الشيشان عام 1991، حيث أعلنت استقلالها عن الاتحاد السوفيتي بعد انهياره، لكن روسيا لم تعترف بهذا الإعلان واعتبرتها جزءا من أراضيها، مما أدى إلى تصعيد الأزمة ونشوب حرب بين الطرفين

[1] دوغين، "**أسس الجيوبولتيكا**"، 256.

[2] CNNبالعربية. "بوتين: الغرب يحاول تقسيم روسيا إلى دول عرقية." آخر تحديث: 20 مايو / أيار 2023. https://arabic.cnn.com/world/article/2023/05/20/putin-accuses-the-west-of-trying-to-divide-russia-into-ethnic-states.

في 1994، أدت إلى مقتل عشرات الآلاف من المدنيين والمقاتلين من كلا الجانبين انتهت بالسماح للشيشان بالحصول على حكم ذاتي مؤقت داخل روسيا غي 1996. ومع مجيئ بوتين إلى الحكم في عام 2000، استعادت روسيا السيطرة على معظم أراضي الشيشان بعد حملة قصف شديدة دمرت العاصمة غروزني وأودت بحياة المزيد من المدنيين. وقد كان هذا الرد بمثابة تحذير لكامل المناطق الأخرى التي تسعى إلى الانفصال خاصة المسلمة منها كداغستان ذات الأغلبية المسلمة التي شهدت عدة اضطرابات.

إضافة إلى الضغط الخارجي من الدول المجاورة والمنظمات الدولية، التي قد تستغل ضعف روسيا وتدعم قوى المعارضة أو الجماعات الانفصالية خاصة بعد الأحداث الأخيرة في أوكرانيا.

من جهة أخرى وفي إطار التوسع الروسي يمكن أن يتجه الاهتمام إلى مولدوفا التي تعتبر نقطة مهمة في الأزمة الأوكرانية الحالية، وإن كانت لا تدخل بصفة مباشرة فيها، حيث أن مولدوفا هي جمهورية سوفيتية سابقة وتحتفظ بعلاقات وثيقة مع روسيا رغم تعقدها، وهي تشترك في الحدود مع أوكرانيا و تملك نسبة أقليات روسوفونية هامة. إضافة إلى أنها سعت أيضا إلى تكامل أوثق مع الاتحاد الأوروبي، مما وضعها في صراع مع مصالح روسيا. إضافة إلى إقليم ترانسنيستريا المنفصل عن مولدوفا فهو مدعوم من طرف روسيا، ويعتبر مصدرا للتوتر والاضطراب في المنطقة. مما يجعل مولدوفا تترقب الأزمة الأوكرانية لوضع سياسات تتعامل بها مع روسيا في ظل هذه المتغرات الحالية.

فترانسنيستريا هي جزء من المنطقة التاريخية المعروفة باسم نوفوروسيا، التي كانت جزءا من الإمبراطورية الروسية والاتحاد السوفيتي. وتحتفظ بالهوية والثقافة الروسية، وتستخدم اللغة الروسية والعملة الروسية والتعليم الروسي. كما تحتوي قاعدة عسكرية روسية في المنطقة، حيث تضم كمية كبيرة من الجنود الروس والأسلحة والذخيرة. وتعتبر روسيا هذه القوات ضرورية لحفظ السلام وحماية حقوق المواطنين الروسوفون في ترانسنيستريا. كما أن دعم موسكو للانفصاليين في ترانسنيستريا مرتبط مباشرة بمشروع الكرملين الأوراسي والذي أعلنت موسكو من خلاله نيتها ببناء 'منطقة اقتصادية أوراسية' في ترانسنيستريا، كرد مباشر على جهود الاتحاد الأوروبي ومولدوفا لجذب ترانسنيستريا من خلال التعاون الاقتصادي.[1]

[1] Marcel H. Van Herpen, Putin's Wars: The Rise of Russia's New Imperialism, 2nd ed. (Lanham: Rowman & Littlefield, 2015), 75.

الشكل رقم 9: خريطة تمثل موقع إقليم تر انسنيستريا المنفصل عن مولدوفا

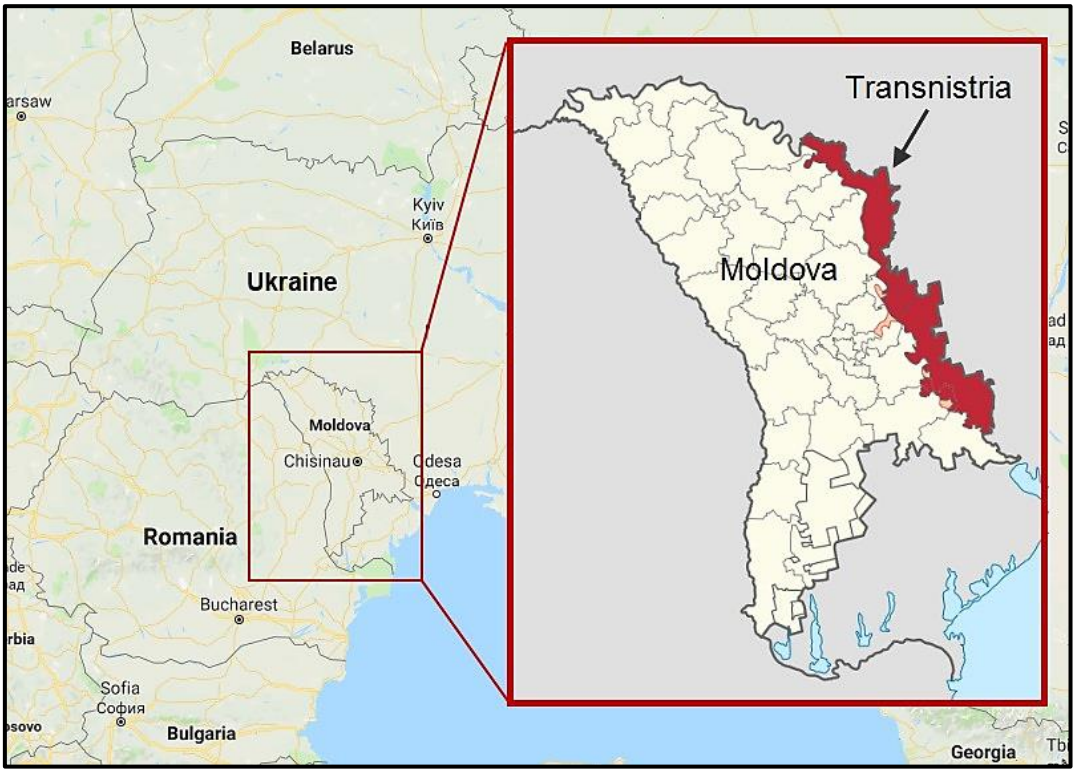

Source : Patowary, Kaushik. "Transnistria, The Country That Doesn't Exist." Amusing Planet. May 21, 2018. https://www.amusingplanet.com/2018/05/transnistria-country-that-doesnt-exist.html.

توضح هذه الخريطة موقع إقليم ترانسنيستريا المنفصل عن مولدوفا و التي تدعمه روسيا عسكريا و سياسيا، ويجعله موضعه استراتيجيا لروسيا لوجوده في جنوب أوكرانيا وبقربه من مدينة أوديسا، حيث تستعمل روسيا ترانسنيستريا كعامل ضغط سياسي على مولدوفا وأوكرانيا، اللتان تسعيان إلى التقارب مع الاتحاد الأوروبي والناتو خصوصا في ضوء الصراع في دونباس.

المطلب الثالث: العوائق والتحديات المستقبلية في السياسة الخارجية الروسية تجاه دول الجوار

توجد عدة عوائق وتحديات مستقبلية قد تواجه السياسة الخارجية الروسية في توظيف مسألة الأقليات الروسوفونية، ومن بينها:

1- العوائق التاريخية، فقد جمعت دول الجوار وروسيا علاقات امتدت من الفترة القيصرية التي شهدت سياسات ترويس حادة مع نهايات القرن التاسع عشر، وتبتعها أعمال التطهير و الإبادة و التهجير في الفترة السوفياتية، فرغم محاولات روسيا إخفاء هذا الماضي الدموي والتلاعب بسياسات الذاكرة إلا أن جميع الدول التي عرفت طمسا لهوياتها قد شكلت

موقف عدائي ثابت ضد روسيا، خاصة الواقعة في الجهة الغربية لروسيا، وقد كانت جميع التدخلات في سبيل إعادة المكانة الدولية لروسيا بعد الحرب الباردة، عسكرية أكثر منها ثقافية، ويقول ناي في هذا الصدد: ***"وبعض البلدان قد تنجذب إلى بلدان أخرى ذات قوة صلبة بواسطة أسطورة كونها لا تقهر، وكونها شيئا حتميا، ولقد حاول هتلر وستالين تطوير أساطير من هذا النوع...ويشهد على ذلك التحكم السوفيتي ببلدان أوروبا الشرقية".***[1]

2- انعدام الثقة بين روسيا ودول الجوار، خاصة بعد مجريات الأزمة في أوكرانيا الحالية، كما أن الإعلام الغربي قد ساهم بشكل بارز في تشويه صورة روسيا أمام باقي الدول، وهذا ما يجعل من الصعب على روسيا تحقيق التعاون والتفاهم مع هذه الدول في المستقبل.

3- تصاعد التوترات بين روسيا والدول الغربية، بما في ذلك العقوبات الاقتصادية المفروضة على روسيا، التي تحد من قدرة روسيا على التجارة والشراكة مع الدول الأخرى، وهذا يؤثر على استقرار الاقتصاد الروسي. ومع تراكم هذه السياسات ضد روسيا منذ الحرب الجورجية الروسية في 2008 وضم شبه جزيرة القرم في 2014، وحتى أزمة أوكرانيا الحالية، يمكن أن يؤدي إلى زيادة عزلتها عن المجتمع الدولي وتقليص دائرة التعاون معها. وهذا يعني أن روسيا ستحتاج إلى تعزيز العلاقات مع العديد من الدول الأخرى في المستقبل لتقليل التوترات والحفاظ على مكانتها كقوة عظمى في الساحة الدولية.

4- التفاعل المتزايد والتوتر الجيوسياسي في المنطقة الأوراسية، الشرق الأوسط، والبحر الابض المتوسط.

حيث تسعى روسيا لتعزيز تأثيرها الجيوسياسي والاقتصادي وتحقيق أهدافها الاستراتيجية في المنطقة، إلى الوصول الدائم إلى المياه الدافئة التي فقدت خلال انهيار الاتحاد السوفياتي، وتأمين القواعد السورية، وتطوير شبكة من القواعد الروسية للاستفادة منها في حالة الأزمات، وتعتبر تركيا دولة مهمة بالنسبة لروسيا رغم الاحتكاكات الإقليمية المتعددة في جنوب القوقاز و وسوريا وقبرص وليبيا والصحراء الكبرى، وذلك لتأمين وصولها للبحر المتوسط، إضافة إلى سعي الكرملين إلى القضاء على الأعمال الإرهابية والجماعات المسلحة في شمال القوقاز، لتقديم روسيا كبديل موثوق وآمن عن الولايات المتحدة الأمريكية.[2] وعدم التوصل إلى اتفاق دائم في هذه المناطق، قد يؤدي إلى تفاقم العلاقات مع دول الغرب وزيادة الضغط الدولي على روسيا.

5- التنافس على الموارد الطبيعية وخاصة الغاز والنفط، مما يرفع من مستوى التوتر بين روسيا ودول أخرى تسعى للاستفادة من هذه الموارد، فالاعتماد على الأسواق النفطية جزء هام من الاقتصاد الروسي، ومن القرارات السياسية في منطقة القوقاز وشرق أوروبا عامة،

[1] ناي، **القوة الناعمة**، 29 -30.

[2] Fondation Méditerranéenne d'Etudes Stratégiques, **Atlas stratégique**, 238.

وهذا يمكن أن يؤثر على الأمن والاستقرار في هذه الدول ويؤدي إلى احتمالية حدوث صراعات جديدة.

6- التحديات الداخلية التي يواجهها الرئيس الروسي فلاديمير بوتين، بما في ذلك الاحتجاجات المناهضة للحكومة والمطالبة بالديمقراطية، مما يمكن أن يحدث قطيعة بين سلطة الدولة والمجتمع الروسي خاصة بعد التغييرات الاجتماعية والاقتصادية و نمط الاستهلاك المحلي الذي طرأ عن العقوبات الغربية على روسيا، مما يعيق السلوكات الخارجية لروسيا لتحقيق مصالحها.

7- بمكن أن تتعرض روسيا للضغوط الدولية في المجالات السياسية والاقتصادية والتجارية والتقنية، وقد تؤثر هذه الضغوط على سياسة البلاد الخارجية وتعاملها مع الدول الجوار والعالم بشكل عام و يؤثر على مصداقية مؤسساتها الثقافية في تفعيل دورها كمنظمة روسكي مير، التي يمكن أن يصير دورها رمزيا فقط من خلال اعتبارها أداة تلجأ إليها الدولة استكمالا لعناصر قوتها العسكرية، فكما يعبر عنها جوزيف ناي ***".. كما أن القوة الآمرة قد تستخدم أحيانا لإقامة مؤسسات تعتبر مشروعة وقانونية فيما بعد"[1].***

8- تنامي الهويات المحلية للدول المجاورة لروسيا على حساب الهوية الموحدة التي يدعو إليها الرئيس الروسي في خطاباته، كما حدث في أوكرانيا.

فيعد تبني أيديولوجية أو سياسة حكم قائمة على التمييز العرقي طريقا لجعل الهوية أداة في أيدي صناع القرار، وبما أن النخب الجديدة الحاكمة في دول الجوار الروسي تربت في فترة الاتحاد السوفياتي، فهي متمكنة من الأساليب التي كان معمول بها لتسيير العلاقات العرقية بما يخدم توجه الدولية. فقد ترك انهيار الاتحاد السوفياتي فراغا أيديولوجيا رهيبا، و هو ما أدى إلى تبني القومية العرقية في حكم الدول، لكن هذه الاستراتيجية لا تملك قاعدة صلبة تعتمد عليها روسيا في خدمة مصالحها، فالجمهوريات السوفياتية السابقة كانت تمتلك نخب و أدبيات تستطيع من خلالها تحسين الحس القومي لدى مواطنيها وبالتالي تشكيل قطيعة مع ما ورثته عن الإتحاد السوفياتي، رغم أن دول آسيا الوسطى تجد صعوبة في تخطي هذه المرحلة وبناء هوية محلية ثابتة بسبب دور هذا الأخير في بناء هذه الكيانات بحدودها الحالية، ولا يتحقق ذلك إلا بإعادة كتابة التاريخ و الاشتغال على الذاكرة.[2]

"وكما يرى O.Roy أن' منطق الجمهوريات الوسط آسيوية هو خلق شرعية قومية جديدة وثابتة، لكنها مضطرة في نفس الوقت أن لا تقطع (القطيعة) مع المرحلة السوفييتية قطعا كليا لأنها (أي المرحلة

---

[1] ناي، **القوة الناعمة**، 28.

[2] علي لراري، "الطاهرة العرقية والأمن في آسيا الوسطى: الأزمة العرقية في كازاخستان نموذجا"، أطروحة دكتوراه، كلية العلوم السياسية والعلاقات الدولية، جامعة الجزائر 3، 2015-2016، 237.

السوفييتية) هي التي اخترعت هذه الجمهوريات من عدم وبالتالي فهي جزء من مسار شرعنتها""[1]، لكن رغم هذه التبعية الذي وضعها التاريخ إلا أن إمكانية تعزيز الهويات المحلية تعد محتملة وهذا ما شهدناه مع زيادة الوعي الأكراني بتفرده عن الهوية الروسية، كما أن الجمهوريات الغربية عكس الشرقية التابعة سابقا للاتحاد السوفياتي، لم تكن لها نفس الخلفية التاريخية، كدول البلطيق التي استطاعت تكوين هوياتها المحلية رغم السياسات اللغوية التي فرضت عليها سواء في الفترة القيصرية أو السوفياتية و هذا ما عزز توغل الغرب من خلال حلف الناتو و الاتحاد الأوروبي واقترابه من الحدود الروسية.

باختصار، يمكن القول أن السياسة الخارجية الروسية تواجه عدة تحديات وصعوبات إقليمية و دولية، وتحتاج إلى استراتيجية دبلوماسية مواكبة للتحديات القادمة، بعيدا عن الاعتماد البحت على الأساليب العسكرية في الدفاع عن مصالحها في ظل عصر قوة الإعلام و الدعاية و تنامي أساليب القوة الناعمة.

[1] لراري، **"الظاهرة العرقية والأمن"**، 237-238.

الخاتمة

تستمد روسيا دورها الإقليمي والدولي انطلاقا مما تملكه من محددات باطنية وسطحية، مادية ومعنوية تسمح لها بتحقيق أهدافها الجيواستراتيجية عن طريق سياستها الخارجية. فقد شهدت روسيا عقب استقلالها وسقوط الاتحاد السوفياتي أزمات على كافة الأصعدة، إلا أنها استطاعت تخطي هذه المرحلة عن طريق مجموعة من الإصلاحات التي تكيفت بها مع متغيرات النسق الدولي الجديد وأصبحت من أهم فواعله.

لا يمكننا فهم دولة روسيا بمواصفاتها ومقدراتها الحالية دون الرجوع إلى التاريخ وإلى أول كيان كان يمثلها ألا وهو روسيا القيصرية، ثاني أكبر إمبراطورية بعد المغول تحكم معظم أجزاء أوراسيا، والتي استمرت في التوسع حتى نهاية القرن الثامن عشر حيث اندلعت الثورة البلشفية. تميزت هذه الإمبراطورية بتعدد عرقي ولغوي وديني كبير وتعاملت على أساسه السلطة الروسية بدرجات متفاوتة مع مختلف المناطق التابعة لها. تم استيعاب الشعوب غير الروسية في الإمبراطورية لتعزيز روح القومية ومنع أي شكل من أشكال الانقسامات والفتن، فتم وضع سياسات محددة تجاه هذه الأعراق تمثلت بشكل رئيسي في عمليات الترويس، والتي تعني نشر اللغة والثقافة الروسية في المناطق غير الروسية، وتغيير هوية تلك الأعراق من غير روسية إلى روسية.

لم تحقق هذه السياسات نجاحا كبيرا إلا في النصف الثاني من القرن السابع عشر، ولم تكن هذه الجهود مثمرة بشكل خاص في الدول والمناطق التي كانت تعرف مستويات عالية من الوعي، فكانت أقل عرضة لعمليات الترويس، كدول البلطيق ومنطقة القوقاز وأوكرانيا، على عكس بيلاروسيا ودول آسيا الوسطى على رأسها كازاخستان. وقد كان حفاظ بعض الدول على اللغة الروسية على حساب لغتها الأم مقترن بالتفاعلات الدولية والرهانات الجيوسياسية، مثل طبيعة العلاقات التي تربطها مع الغرب، فكانت دول البلطيق تحارب اللغة الروسية بسبب تقاربها مع دول أوروبا، وكذلك الحال مع أرمينيا التي تعاملت مع روسيا فقط لاعتبارات مصلحية بسبب عدائها مع تركيا.

جاءت المرحلة السوفييتية أكثر دموية وإسهاما في تشكيل أقليات روسوفونية خاصة أثناء حكم ستالين ضمن ما يعرف بحملات التهجير وعمليات التطهير والإبادات الجماعية مع مطلع الثلاثينات إلى غاية الخمسينات من القرن العشرين. فشهدت هذه الحملة موجات هجرة كبيرة للروس نحو كازاخستان وأوكرانيا أين تتواجد الأراضي الخصبة للزراعة، وإلى المناطق النائية كسيبيريا في أقصى الشمال الشرقي من أجل الصناعة، العنصران الأكثر أهمية في الاقتصاد السوفياتي الاشتراكي آنذاك، صاحبتها بالمقابل مجازر عرقية في هذه المناطق لتعويض السكان الأصليين، مما أحدث اختلال في التركيبة المجتمعية وبرز الناطقون باللغة الروسية في كل أنحاء

الاتحاد السوفياتي. لكن على الرغم من انتشار اللغة واختلاط الأعراق، إلا أن الروس حافظوا على مكانتهم خلال الحكم السوفياتي وتمت معاملتهم كـ " أقلية إمبراطورية "، كانت لهم امتيازات اجتماعية وسياسية فكانوا في أعلى مناصب الحكم، ولم يتقن إلا فئة ضئيلة منهم لغات الجمهوريات السوفياتية المحلية رغم عيشم وسط سكانها.

أدى سقوط الاتحاد السوفياتي ونشأة روسيا المستقلة إلى بروز الأقليات الناطقة بالروسية، والتي أصبحت تدعى على المستوى السياسي و الاكاديمي بالأقليات الروسوفونية، اختلفت نسبتها من دولة إلى أخرى، هاته الأقليات التي راحت ضحية تقسيمات حدودية، وجدت نفسها في بيئة جديدة و تحت سياسات دول غير معتادة على طرق حكمها، مما عرضها لأشكال التضييق و جعل روسيا تتأخذ إجراءات لحماية حقوقها و الدفاع عن مصالحها، فأصبحت الخطابات السياسية التي تحوي مسألة الروسوفون تُصرح في كل مرة تقوم بها الدول الغربية بالتوسع نحو روسيا عن طريق حلف الناتو، الحلف الذي اعتبرته روسيا مهددا لوجودها كقوة عظمى تفرض سيطرتها على المنطقة الأوراسية.

استطاعت مؤسسة روسكي مير كأداة من أدوات القوة الناعمة النشاط في العديد من الدول المجاورة، فهدفها في توحيد العالم الروسي، اعتبره الغرب أداة تبريرية للطموحات التوسعية الروسية، وقد عزز هذا الاعتقاد استعمال القوة من طرف روسيا خلال الصراع الجورجي الروسي حول المناطق الانفصالية، وتم تكراره أثناء ضم شبه جزيرة القرم والأزمة الأكرانية الحالية مع إقليم دونباس كجزء من العالم الروسي، رغم العقوبات التي تفرضها المنظومة الغربية على روسيا في كل مرة إلا أنها استمرت في نفس المسار المراد وصوله.

تعامل روسيا مع دول الجوار مختلف عن باقي المناطق وبقي ثابتا منذ نشأة الإمبراطورية الروسية إلى يومنا هذا، ومسألة الأقليات ماهي إلا أداة من أدوات روسيا توظفها في سياستها الخارجية الحالية تكيفا مع قيم وأوضاع النظام الدولي الحالي، كما أن الدول التي استهدفتها روسيا ليس سببها هوياتي محض، وإنما روسيا تتحرك في الدول التي تعتبرها مناطق حيوية لعبور الموارد الطاقوية خاصة الجهة الغربية نحو أوروبا.

في الأخير يمكننا القول إن الصراع الذي تخوضه روسيا هو صراع وجودي وحتمي مادام الغرب محافظا على مبادئه، وأن طبيعة الهوية الروسية التوسعية وارتباطها بالمصلحة الوطنية، كلها عوامل مؤثرة تسمح بتفسير أسباب توظيف روسيا للأقليات الروسوفونية في سياستها الخارجية الروسية، والتي تكون بثلاث طرق:

أولا: بدعم حركات انفصالية في بعض الدول التي تضم أقليات روسوفونية، مثل أبخازيا وأوسيتيا الجنوبية في جورجيا، والقرم وشرق أوكرانيا. حيث ساعدت روسيا هذه الحركات عسكريًا

وسياسيًا ودبلوماسيًا، وأقامت علاقات معها، وأصدرت جوازات سفر روسية لمواطنيها، وفي بعض الحالات، ضمتها إلى أراضيها.

ثانيا: عن طريق تعزيز الهوية والثقافة الروسية التي حافظت بواسطتها على اتصال وتبادل مع الأقليات الروسوفونية في الدول المجاورة، من خلال إنشاء منظمات ومؤسسات ومشاريع تروج للهوية والثقافة واللغة الروسية. على رأس هذه المبادرات مؤسسة روسكي مير، التي تدعم التعليم والبحث والإعلام باللغة الروسية تنظم فعاليات ثقافية ورحلات لشباب الأقليات الروسوفونية إلى روسيا.

وثالثا وأخيرا فهي عن طريق استغلال التمييز والصراع التي تتعرض لها الأقليات الروسوفونية في بعض الدول، تبرر تدخلاتها في شؤون هذه الدول. وتدعي تحمل مسؤولية حماية مصالح هذه الأقليات، وأنها تستجيب لطلباتهم أو مطالبهم. كما أن روسيا استخدمت أيضًا وسائل الإعلام والدعاية لتضخيم أو تزييف الوضع الحقيقي لهذه الأقليات، وتشويه صورة الدول التي تنتمي إليها، بالتالي بث العداء والخوف بينهم.

قائمة المراجع

أ/ المراجع باللغة العربية:

1- الموسوعات والمعاجم:

1. الموسوعة السياسية، عبد الوهاب الكيالي وآخرون، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الجزء الأول،1985.
2. موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، عبد الوهاب المسيري، (القاهرة: دار الشروق، المجلد الأول، 2003).
3. معجم بلاكويل للعلوم السياسية، فرانك بيلي، دبي، ترجمة ونشر مركز الخليج للأبحاث، 2004.

2- الكتب:

4. النعيمي، أحمد. السياسة الخارجية. بيروت: دار المستقبل، 2010.
5. بوقارة، حسين. السياسة الخارجية: دراسة في عناصر التشخيص والاتجاهات النظرية للتحليل، (الجزائر: دار هومه، 2012).
6. بيير، جورج. جيوبوليتيكا الأقليات، ترجمة عاطف علبي، بيروت، دار العلم للملايين، 1999.
7. دوغين، ألكسندر. أسس الجيوبولتيكا، ترجمة: عماد حاتم، (بيروت: دار الكتاب الجديد المتحدة)، 2004.

   ناي، جوزيف س. القوة الناعمة: وسيلة النجاح في السياسة الدولية. ترجمة محمد توفيق البجيرمي. الرياض: مكتبة العبيكان، 2007.
8. هنتنجتون، صامويل. صدام الحضارات: إعادة صنع النظام العالمي، ترجمة: طلعت الشايب، (بغداد: دار سطور، ط2، 1999).

3- الدوريات و المجلات:

9. الرواي، عبد العزيز مهدي. "توجهات السياسة الخارجية الروسية في مرحلة ما بعد الحرب الباردة". دراسات دولية 10، 35 (31 يناير/كانون الثاني 2008).
10. زلاقي، حبيبة. "نظرية الدور بين الأصول الإجتماعية والتوظيف في التحليل السياسي." مجلة العلوم القانونية والسياسية،17:(2018).
11. شنافة، صباح ن. "المسعى الروسي لضبط الدور العالمي وإعادة التوازن الدولي في القرن الواحد والعشرين". مجلة الأكاديمية العربية المفتوحة في الدنمارك 21 :(2018).
12. لافروف، سيرجي والشيخ، نورهان السيد عبد الحميد. "العودة إلى العالم: توجهات السياسة الخارجية الروسية". ترجمات استراتيجية 40 :(2008).
13. لوراري، علي و رامي،حميد . "حروب الذاكرة: مقاربة بنائية اجتماعية لفهم النزاع الأوكراني الروسي"، مجلة السياسة العالمية 6، رقم 2 :(2022).

4- الأطروحات الجامعية والرسائل:

14. أمبارك رافع، "الثابت والمتغير في سياسة روسيا الخارجية تجاه دول آسيا الوسطى دراسة حالة كازاخستان 1991-2012" (مذكرة لنيل شهادة الماجستير، قسم العلوم السياسية والدراسات الدولية، كلية العلوم السياسية والعلاقات الدولية، جامعة الجزائر 3، 2013).
15. علي لراري ، "الطاهرة العرقية والأمن في آسيا الوسطى: الأزمة العرقية في كازاخستان نموذجا"، أطروحة دكتوراه، كلية العلوم السياسية والعلاقات الدولية، جامعة الجزائر 3، 2015-2016.

5- المو اقع الإلكترونية:

16. CNN بالعربية. "بوتين: الغرب يحاول تقسيم روسيا إلى دول عرقية." آخر تحديث: 20 مايو / أيار 2023. https://arabic.cnn.com/world/article/2023/05/20/putin-accuses-the-west-of-trying-to-divide-russia-into-ethnic-states.

ب/المراجع باللغات الأجنبية:

1. Books :

17. Coene, Frederik. The Caucasus: An Introduction. New York: Routledge, 2009.
18. Christian, David. A History of Russia, Central Asia and Mongolia. Volume II: Inner Eurasia from the Mongol Empire to Today, 1260-2000. Hoboken, New Jersey: Wiley-Blackwell, 2018.
19. de Haas, Marcel. Russia's Foreign Security Policy in the 21st Century: Putin, Medvedev and beyond. New York: Routledge, 2010.
20. Fondation Méditerranéenne d'Etudes Stratégiques. Atlas stratégique de la Méditerranée et du Moyen-Orient. Toulon : Institut FMES, 2022.
21. Grand Atlas 2023, Frank Tétart, (Paris : Éditions Autrement, 2022).
22. Harnisch, Sebastian, Cornelia Frank and Hanns W. Maull, eds. Role Theory in International Relations: Approaches and Analyses. New York: Routledge, 2011.
23. Herpen, Marcel H. Van. Putin's Wars: The Rise of Russia's New Imperialism. Second edition. Lanham: Rowman & Littlefield, 2015.
24. Hosking, Geoffrey. Russia: People and Empire, 1552-1917. Cambridge: Harvard University Press, 1998.
25. Jones, Stephan. Georgia: A Political History since Independence. London: Routledge, 2016.
26. Kappeler, Andreas. The Russian Empire: A Multiethnic History. Translated by Alfred Clayton. New York: Routledge Taylor & Francis Group, 2013.
27. Mankoff, Jeffrey. Russian Foreign Policy: The Return of Great Power Politics (New York: Rowman & Littlefield Publishers, Inc, 2009).
28. Naimark, Norman M. Stalin's Genocides. Princeton, New Jersey: Princeton University Press, 2010.
29. Shlapentokh, Vladimir, Munir Sendich, and Emil Payin, The New Russian Diaspora: Russian Minorities in the Former Soviet Republics, New York: Routledge, 2015.

2. Periodicals :

30. Mankoff, Jeffrey. “Russia’s War in Ukraine: Identity, History, and Conflict.” Center for Strategic and International Studies 2, April 2022.
31. Moritz A, Pieper, “Russkiy mir: The geopolitics of Russian compatriots abroad.” Geopolitics 23, no. 3 (2018).
32. O’Loughlin, John, Gerard Toal, and Vladimir Kolosov. “Who Identifies with the ‘Russian World’? Geopolitical Attitudes in Southeastern Ukraine, Crimea, Abkhazia, South Ossetia, and Transnistria.” Eurasian Geography and Economics 57, no. 6(2016)
33. Papava, Vladimer. “The Political Economy of Georgia’s Rose Revolution.” Orbis 50, no. 4 (2006).
34. Pavlenko, Aneta. “Multilingualism in Post-Soviet Countries: Language Revival, Language Removal, and Sociolinguistic Theory.” International Journal of Bilingual Education and Bilingualism 11, no. 3-4 (July 2008).
35. Wendt, Alexander. “Anarchy is what states make of it: the social construction of power politics.” International Organization 46, no. 2(1992)

3. Reports:

36. International Crisis Group. Russia vs Georgia: The Fallout. Europe Report N°195. Brussels: International Crisis Group, 2008.

4. Websites :

37. “Russophone.” n.d. Trésor de la Langue Française informatisé. Accessed June 6, 2023. http://atilf.atilf.fr/dendien/scripts/tlfiv5/visusel.exe?11;s=3443420000;r=1;nat=;sol=0;.
38. Council of the European Union. “Council Implementing Regulation (EU) 2022/1270 of 21 July 2022 Implementing Regulation (EU) No 269/2014 Concerning Restrictive Measures in Respect of Actions Undermining or Threatening the Territorial Integrity, Sovereignty and Independence of Ukraine.” Official Journal of the European Union L 193 (July 21, 2022 https://eur-lex.europa.eu/legal-content/EN/TXT/PDF/?uri=CELEX:32022R1270&from=EN.
39. European Union, “Quelles sanctions l’UE a-t-elle adoptées jusqu’à présent?” accessed June 7, 2023, https://europa.eu/sanctions-russia/index_fr.htmÉvolution historique de l’usage du mot « russophone »." n.d. La langue française. Accessed June 6, 2023. https://www.lalanguefrancaise.com/dictionnaire/definition/russophone#evolution-historique-de-lusage-du-mot-russophone.
40. Grenoble, Lenore and Adam Roth Singerman. “Minority Languages.” Oxford Bibliographies Online: Linguistics. Last modified February 25, 2014. https://www.oxfordbibliographies.com/abstract/document/obo-9780199772810/obo-9780199772810-0176.xml.
41. Patowary, Kaushik. “Transnistria, The Country That Doesn’t Exist.” Amusing Planet. May 21, 2018. https://www.amusingplanet.com/2018/05/transnistria-country-that-doesnt-exist.html.
42. Russkiy Mir Foundation. “Foundation Branches.” Russkiy Mir Foundation. Accessed December 5, 2022. https://russkiymir.ru/en/fund/foundation-branches.php.
43. Russkiy Mir Foundation. “Russkiy Mir Foundation.” Russkiy Mir Foundation. Accessed December 5, 2022. https://russkiymir.ru/en/fund/index.php.
44. UNDP Georgia. “A Year After the War.” UNDP Georgia. August 7, 2009. https://www.undp.org/georgia/stories/year-after-war.
45. World Bank. “GDP Growth (Annual %) - Georgia.” Accessed January 10, 2023. https://data.albankaldawli.org/indicator/NY.GDP.MKTP.KD.ZG?locations=GE.

46. World Bank. “Military expenditure (% of GDP) - Russian Federation.” World Bank Data. Accessed January 10, 2022. https://data.albankaldawli.org/indicator/MS.MIL.XPND.GD.ZS?locations=RU.